الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة العربي بن مهيدي
أم البواقـــي

كلية الآداب واللغات **قسم اللغة والأدب العربي**

محاضرات في النص الأدبي القديم(شعر)

المستوى :أولى ليسانس

السداسي : الأول

التخصص:جذع مشترك أدب عربي

إعداد الدكتور: قوراري السعيد

السنة الجامعية:2019/2018م
1440/1439هـ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

الأدب العربي هو جزء من تاريخ العرب المرتبط بشكل رئيس باللغة والثقافة العربية، من: شعر، وقصة، ورواية، ومسرحية، وكل هذه الأعمال تعرف بالأدب العربي، وتنقل صورة عنه لجميع شعوب العالم، لذلك ترجمت العديد من المؤلفات العربية لمختلف اللغات العالمية، حتى يتم اكتشاف الفكر العربي بشكل أوضح. استفادت منه العديد من الحضارات، وساهم في تطورها، ورقيها عبر الزمن، ومما لا شك فيه أن الأدب العربي كان الأساس للعديد من الأنواع الأدبية الأخرى المنتشرة في جميع أنحاء العالم. و هذه مجموعة من المحاضرات في مادة النص الأدبي القديم (شعر) موجهة بصفة خاصة إلى طلبة السنة الأولى من نظام **ل.م.د** في قسم اللغة والأدب العربي بجامعة العربي بن مهيدي أم البواقي .وفق المقرر الوزاري المتضمن مفردات مقياس النص الأدبي القديم (شعر) للسداسي الأول، حيث تضمن المقرر الموضوعات الآتية:

1	الشعر العربي القديم تاريخيا وجغرافيا
2	المعلقات مضامينها وأساليبها (نصوص من معلقة زهير بن أبي سلمى . معلقة امرئ القيس . معلقة عنترة)
3	شعر الصعاليك (نصوص...لامية العرب للشنفرى)...
4	الشعر في صدر الإسلام شعر الفتوحات
5	المراثي النبوية
6	شعر النقائض
7	الشعر العذري والشعر العمري
8	شعر الزهد والتصوف (نصوص من المشرق والمغرب. ابو العتاهية . ابن الفارض....
9	شعر الحماسة :نصوص لأبي تمام . البحتري. ..... الزوزني. الشاطبي. الحماسة المغربية لأبي الحجاج يوسف البياسي.. الكوراني.....
10	الشعر السياسي في المشرق والمغرب (الفتوحات.الخوارج.الشيعة.السجون..رثاء المدن..
11	الشعر الفلسفي وشعر الحكمة
12	الموشحات والأزجال
13	الشعر الأندلسي. (نصوص من أشعار ابن زيدون.....)
14	نصوص من الشعر الجزائري القديم. بكر بن حماد التيهرتي...

ولقد اعتمدت في تحضيري لهذه الدروس على جملة من المصادر و المراجع المختصة،إذ لا يمكن اختياري لها بالاعتباطي،وإنما كان نابعا من الرغبة في تقديم صورة صحيحة ومعمقة لهذه الموضوعات المقررة، مع العلم أن طلابنا قد أخذوا جل هذه الموضوعات في دراساتهم السابقة، لكن بإيجاز و تبسيط، وكم كنت حريصا على تقديم المعلومة بأسلوب سهل يمكن الطالب من استيعابها، ويجعله يتذوقها، والله أسأل أن ينفعني بما علمني ويزيدني علما .

بأم البواقي في :2018/12/03

د /السعيد قـــــورارري

المحاضرة 01: الشعر العربي القديم تاريخيا وجغرافيا :

أولية الشعر الجاهلي:

تعرضت المسيرة التاريخية لعرب ما قبل الإسلام لحالة من الإنقطاع أو الإنفصام التاريخي في حركة تطورها. لذا فليس من اليسير تحديد بداية العصر الجاهلي الأدبي بصورة يقينية دقيقة. ذلك أن أغلب المصادر التاريخية التي تناولت هذه الحقبة في الدراسة تتجه في معظمها إلى تقسيم عصر الجاهلية إلى قسمين:**1/ العصر القديم أو الجاهلية الأولى . 2/ الجاهلية الثانية قبيل الإسلام .**

ويميل هؤلاء إلى القول أن العصر القديم أو الجاهلية الأولى يمتد من فجر التاريخ إلى القرن الخامس(ق5) الميلادي، والجاهلية الثانية قبيل الإسلام، تمتد نت القرن الخامس المذكور إلى ظهور الإسلام وهي التي جاءنا عنها هذا الكم الأدبي، وهذا الإنقطاع الذي أشرنا إليه بين الجاهلية الأولى والجاهلية الثانية لم يكن انقطاعا تاما فقد كانت اللغة العربية والشعر العربي خاصة في تلك المرحلة التي لا يزيد عمرها عن مائتي سنة على مستوى راق من التطلع والتقدم، وهذا ما يدفعنا إلى القول ويقتضي بأن وراءها تاريخا طويلا استغرق قرونا عديدة سبقت فترة ما قبل القبل الإسلام شهدت ولادة حضارات متتالية لعل أهمها حضارة **سبأ** وكان موطنها **الجنوب الغربي من جزيرة العرب**. يقول **الأعشى** عن ذلك:

رُحَامٌ بَنَتْهُ لَهُمْ حِمْيَرٌ،	**إذَا جَاءَهُ مَاؤهُمْ لَمْ يَـــرِمْ**
فأروى الزّروعَ وأعنابها،	**على سعةٍ ماؤهمْ إذْ قسمْ**
فَعَاشُوا بِذَلِكَ في غِبْطَةٍ ،	**فَجَارَ بهِمْ جَارِفٌ مُنْهَزِمْ**
فطارَ القيولُ وقيلاتها،	**بيهماءَ فيها سرابٌ يطمْ**
فطاروا سراعاً وما يقدرو	**نَ منهُ لشربِ صبيٍّ فطمْ**[1]

[1]- الديوان . الأعشى، ميمون بن قيس بن جندل . ص :67.

ويبدو أن هذه الدول والحضارات القديمة لم تكن تعني في حس العربي ووجدانه الذي ينتمي إلى الفترة الجاهلية الثانية سوى آثار مطموسة وأطلال مدروسة وظلال باهتة، فإحساسهم بهذا التاريخ شبه غائب وسماعهم عنه يكاد يكون غامضا فلم يستطيعوا الإنتفاع بآثاره سواء في اليمن حيث قامت دول معين، سبأ، حمير، وفي الحجر: ثمود، حيان. وفي البتراء حيث قامت دولة الأنباط .

فإذا ما جئنا لتحديد تاريخ تقريبي لهذا الأدب فإن أول ما يطالعنا بهذا التحديد الذي ذهب إليه **الجاحظ** في نصه المشهور(**أما الشعر فحديث الميلاد، صغير السن، أول من نهج سبيله، وسهل الطريق إليه امرئ القيس بن حجر، ومهلهل بن ربيعة.. فإذا استظهرنا الشعر وجدنا له . إلى أن جاء الإسلام . خمسين ومائة عام، وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتي عام)** [1].

واعتمادا على ما جاء في نص الجاحظ المشار إليه فإن العصر الجاهلي عنده يبدأ قبل الإسلام بـ قرن ونصف قرن أو أبعد من ذلك بقليل وهو تاريخ يعود بنا إلى حدث ضخم شهدته الجزيرة العربية وكان له أثر على حياتها الأدبية و الإجتماعية وهو حرب البسوس، التي دارت رحاها بين قبيلتي بكر وتغلب التي استمرت كما يقال أربعين عاما[2]. أظهرت ثلة من الشعراء نهضوا بفن الشعر نهضة قوية فاشتد عوده و اكتمل بناؤه فاستوى على سوقه. حيث ظهرت القصيدة العربية الجاهلية الناضجة المكتملة التي تسيطر عليها مجموعة من التقاليد الفنية.

وإذا كان امرؤ القيس ومهلهل بن ربيعة الذين ذكرهما الجاحظ في نصه السابق هما أو من قصد القصيد وأبدع الشعر الناضج الذي بلغنا، فلا يعقل إذا ما جئنا نحتكم للمنطق و العقل أن يكونا أول

---

[1] – الحيوان. الجاحظ (أبو عثمان بن بحر)/. ت.محمد عبد السلام هارون. مطبعة مصطفى البابي الحلبي. القاهرة. ج1. ط2. ص74.

[2] – امرؤ القيس حياته وشعره . الطاهر أحمد مكي.. مكتبة الآداب. القاهرة. ط9. 2002. ص:52.

الشعراء الجاهليين، لأنهما من اليسير والسهل أن نتصور هذه البداية التامة الناضجة المكتملة هي البداية الأولى التي تحققت فيها الضيغة الفنية التي اصطلح القداماء و النقاد على تسميتها بالقصيدة، والتي تعتمد على الأوزان والقوافي والصور الشعرية والأخيلة المصوغة في لغة فنية منضبطة انضباطا كاملا، كما تتألف من حيث المضمون من أغراض مختلفة يألف الشعراء بينها تأليفا فنيا وفكريا متكاملا فيغدوا العمل في قمة الجمال والبهاء من الوقوف بالأطلال الدارسة إلى الغزل والتشبيب إلى وصف الرحلة وقصص الحيوان ثم موضوع القصيدة الأصلية وليكن فخرا أو هجاء أو رثاء أو...

<u>الشعر الجاهلي</u>: متى بدأ الشعر الجاهلي؟

من الصعب تحديد تاريخ لبدء الشعر الجاهلي. و أقدم ما وصل إلينا منه لا يتجاوز تاريخه مائة وثلاثين عاما قبل الهجرة.

ومن المعلوم أن كل علم أو فن يبدأ–عادة– بمحاولات ناقصة، ترقى وتتم على مر الزمان. والشعر الجاهلي الذي وصل إلينا كاملا في أوزانه، راق في تغييره ومعانيه. فلا بد أن يكون قد سبقه أقوال من الشعر أقل مرتبة. ثم أخذت ترقى حتى كانت القصائد والمعلقات التي وصلت إلينا، وقد كان أغلب الشعراء المشهورين في هذا العصر من الشمال، أو من أصل يمني رحل إلى الشمال مثل امرئ القيس، حاتم الطائي.

وما دامت طبيعة الحياة وقوانين الكون تفرض في كل أمر أو فن مرحلة أولى بدائية تتدرج الأيام مع السنين بل ومع القرون نحو الرقي والتقدم حتى يصير إلى درجة التمام والكمال وخذا أمر معقول ومنطقي، لأننا لو دققنا النظر في أقدم ما تتأرجح صحته لدى النقاد والرواة ، ولو أدمنا الملاحظة لوجدنا أن عمر الشعر الجاهلي وبدايتهالحقيقية ليست وليدة الفطرة التي أشار إليها الجتحظ والذي يرى أن العصر الجاهلي يبدأ قبل الإسلام بقرن ونصف قرن وإنما هي قديمة وقديمة جدا، وما ينهض شاهدا ودليلا وبرهانا على قدم الشعر مايلي:

1-الإكتمال الفني في القصائد والمقطوعات: إن هذا النضج في التعبير والدقة والتنظيم في العرض والفن والجمال تؤكد جميعها بأن هذا الشعر الجاهلي عاش بكل تأكيد مرحلة طويلة قبل أن يصل إلى مرحلة الجاهلية المعروفة ولو أن الجاهلية عاشت مرحلة التدوين والكتابة قوية صادقة لعرفنا شعراء ربما يكونون أسبق من فاطمة أو عنيزة أو أخو كليب[1] .

2-اقوال الشعراء انفسهم: صدر عن هؤلاء الشعراء الجاهليين انفسهم ممن بلغنا شعرهم أبيات تثبت أنهم كانوا يسيرون على منهج القدماء السابق لهم وينسجون على منوالهم. فهذا أمرؤ القيس الذي يعتبره الكثير أول من وقف واستوقف وبكى واستبكى في بيت واحد مشهور يؤكد ما ذهبنا إليه بقوله :

عوجا على الطلل المحيل لعلنا نبكي الديار كما بكى ابن حذام[2]

فمن يكون ابن حذام هذا؟ وأين شعره؟ ومتى عاش؟ وأين كان ملتجأه؟ ولماذا جاء ذكره هكذا وبكل بساطة على لسان امرئ القيس؟ اكان مشهورا في عصره ؟ .

هي أسئلة تطرح نفسها في انتظار الإجابة ذات يوم، والإشارة مثلها وردت أيضا هي الأخرى في رواية "**ابن رشيق**" الذي يذكر فيها أن أمرأ القيس كان راوية لأبي ذؤاد الأيادي يلوذ به شعره ويتوكأ عليه كثيرا، لكن ابن رشيق لم يذكر لنا شيئا عن هذه الأشعار.

ولا إن ذكر امرؤ القيس اسم شاعر فإن أبا الفوارس عنترة يلمح إلى عدد منهم في مطلع قصيدته. يقول:

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم[3]

ومعنى البيت كما يفسره الكثير من المفسرين والشراح، هل أبقى الشعراء لأحد معنى إلا وقد سبقوه إليه وهل يتهيأ لغيرهم أن يأتي بالجديد .

---

[1] - مقدمة القصيدة العربية في العصر الجاهلي . حسين عطوان/. دار الجيل. ط2. 1987. ص:68.

[2] - الشعر والشعراء. ابن قتيبة. ص: 68 وما بعدها

[3] - الديوان. عنترة بن شداد . ص:157.

أما حكيم الجاهلية " **النابغة الذبياني**" فيصرح بقوله:

ما أرانا نقول إلا معارا أو معادا من لفظنا مكرورا[1]

فهذه الإشارات وغيرها تذهب كدليل على قدم الشعر واتساع أفقه، وأن ناظميه الأوائل أسبق من أولئك الذين ذكرهم الجاحظ في نصه.

3-القرآن الكريم: معجزة الرسول(ص) نزل على قوم برعوا في بيانهم وتألقوا في فصاحتهم وأجادوا في نظمهم. تحداهم أن يأتوا بصورة من مثله. بل آية. ولو كان بعضهم لبعض ظهيرة. فيه أدلة وآيات وشواهد تنزه القرآن على أن يكون شعرا وتنفي الشاعرية عن الرسول(ص) وتدل في الوقت نفسه على أن العرب شعراء والشعر ديوان العرب.

[1]- الشعر والشعراء. ابن قتيبة. ص: 48 .

المحاضرة 02: المعلقات مضامينها وأساليبها (نصوص من معلقة زهير بن أبي سلمى . معلقة امرئ القيس . معلقة عنترة)

تمهيد:

كان فيما أُثر من أشعار العرب، ونقل إلينا من تراثهم الأدبي الحافل بضع قصائد من مطوّلات الشعر العربي، وكانت من أدقّه معنى، وأبعده خيالاً، وأبرعه وزناً، وأصدقه تصويراً للحياة، التي كان يعيشها العرب في عصرهم قبل الإسلام، ولهذا كلّه ولغيره عدّها النقّاد والرواة قديماً قمّة الشعر العربي وقد سمّيت بالمطوّلات، وأمّا تسميتها المشهورة فهي المعلّقات. نتناول نبذةً عنها وعن أصحابها وبعض الأوجه الفنّية فيها:

فالمعلّقات لغةً: من العِلْق: وهو المال الذي يكرم عليك، تضنّ به، تقول: هذا عِلْقُ مضنَّة. وما عليه علقةٌ إذا لم يكن عليه ثياب فيها خير[1]، والعِلْقُ هو النفيس من كلّ شيء، وفي حديث حذيفة: «فما بال هؤلاء الّذين يسرقون أعلاقنا» أي نفائس أموالنا[2] .والعَلَق هو كلّ ما عُلِّق [3] .

وأمّا **المعنى الاصطلاحي** فالمعلّقات: قصائد جاهليّة بلغ عددها السبع أو العشر . على قول . برزت فيها خصائص الشعر الجاهلي بوضوح، حتّى عدّت أفضل ما بلغنا عن الجاهليّين من آثار أدبية. [4]

والناظر إلى المعنيين اللغوي والاصطلاحي يجد العلاقة واضحة بينهما، فهي قصائد نفيسة ذات قيمة كبيرة، بلغت الذّروة في اللغة، وفي الخيال والفكر، وفي الموسيقى وفي نضج التجربة، وأصالة التعبير، ولم يصل الشعر العربي الى ما وصل إليه في عصر المعلّقات من غزل امرئ القيس، وحماس المهلهل، وفخر ابن كلثوم، إلاّ بعد أن مرّ بأدوار ومراحل إعداد وتكوين طويلة.

وفي سبب تسميتها بالمعلّقات هناك أقوال منها:

لأنّهم استحسنوها وكتبوها بماء الذهب وعلّقوها على الكعبة، وهذا ما ذهب إليه ابن عبد ربّه في العقد الفريد، وابن رشيق وابن خلدون وغيرهم، يقول صاحب العقد الفريد: «وقد بلغ من كلف العرب به (أي الشعر) وتفضيلها له أن عمدت إلى سبع قصائد تخيّرتها من الشعر القديم، فكتبتها بماء الذهب في القباطي المدرجة، وعلّقتها بين أستار الكعبة، فمنه يقال: مذهّبة امرئ القيس، ومذهّبة زهير، والمذهّبات سبع، وقد يقال: المعلّقات، قال بعض المحدّثين قصيدة له ويشبّهها ببعض هذه القصائد التي ذكرت:

---

[1]- العين للفراهيدي ج1. تحقيق. مهدي المخزومي و. ابراهيم السامرائي، ط لبنان 1988.ص:162.

[2]- لسان العرب لابن منظور ج9. دار إحياء التراث العربي . ط1 بيروت 1988.ص:362.

[3]- المصدر نفسه. ص: 359.

[4]- المعجم الأدبي. جبّور عبد النور ط دار العلم للملايين. ص:257.

رزةٌ تذكَرُ في الحسنِ من الشعر المعلّقْ كلّ حرف نادر منـها له وجهٌ معشّق[1]

أو لأنّ المراد منها المسمّطات والمقلّدات، فإنّ من جاء بعدهم من الشعراء قلّدهم في طريقتهم، وهو رأي الدكتور شوقي ضيف وبعض آخر[2] أو أن الملك إذا ما استحسنها أمر بتعليقها في خزانته.

هل علّقت على الكعبة؟

سؤال طالما دار حوله الجدل والبحث، فبعض يثبت التعليق لهذه القصائد على ستار الكعبة، ويدافع عنه، بل ويسخّف أقوال معارضيه، وبعض آخر ينكر الإثبات، ويفنّد أدلّته، فيما توقف آخرون فلم تقنعهم أدلّة الإثبات ولا أدلّة النفي، ولم يعطوا رأياً في ذلك.

<u>المثبتون للتعليق وأدلّتهم:</u>

لقد وقف المثبتون موقفاً قويّاً ودافعوا بشكل أو بآخر عن موقفهم في صحّة التعليق، فكتبُ التاريخ حفلت بنصوص عديدة تؤيّد صحّة التعليق، ففي العقد الفريد[3] ذهب ابن عبد ربّه ومثله ابن رشيق والسيوطي وياقوت الحموي وابن الكلبي وابن خلدون ، وغيرهم إلى أنّ المعلّقات سمّيت بذلك; لأنّها كتبت في القباطي بماء الذهب وعلّقت على أستار الكعبة، وذكر ابن الكلبي: أنّ أوّل ما علّق هو شعر امرئ القيس على ركن من أركان الكعبة أيّام الموسم حتّى نظر إليه ثمّ أُحدر، فعلّقت الشعراء ذلك بعده.

وأمّا الأُدباء المحدّثون فكان لهم دور في إثبات التعليق، وعلى سبيل المثال نذكر منهم جرجي زيدان حيث يقول»:وإنّما استأنف إنكار ذلك بعض المستشرقين من الإفرنج، ووافقهم بعض كتّابنا رغبة في الجديد من كلّ شيء، وأيّ غرابة في تعليقها وتعظيمها بعدما علمنا من تأثير الشعر في نفوس العرب؟! وأمّا الحجّة التي أراد النحّاس أن يضعّف بها القول فغير وجيهة; لأنّه قال: إنّ حمّاداً لمّا رأى زهد الناس في الشعر جمع هذه السبع وحضّهم عليها وقال لهم: هذه هي المشهورات« [4] وبعد ذلك أيّد كلامه ومذهبه في صحّة التعليق بما ذكره ابن الأنباري إذ يقول: «وهو . أي حمّاد . الذي جمع السبع الطوال، هكذا ذكره أبو جعفر النحاس، ولم يثبت ما ذكره الناس من أنّها كانت معلّقة على الكعبة» [5] .

وقد استفاد جرجي زيدان من عبارة ابن الأنباري: «ما ذكره الناس»، فهو أي ابن الأنباري يتعجّب من مخالفة النحاس لما ذكره الناس، وهم الأكثرية من أنّها علقت في الكعبة.

---

[1]- العقد الفريد .ابن عبد ربه.تحقيق: عبدالمجيد الترحيني ط1. 1404هـ. وينظر خزانة الأدب للحموي 61/1 ومقدّمة ابن خلدون: 511 وتاريخ آداب العربية لمصطفى صادق الرافعي 1833.

[2]- تاريخ الأدب العربي . العصر الجاهلي للدكتور شوقي ضيف: ص140.

[3]- العقد الفريد ج6. ص:119.

[4]- تاريخ آداب اللغة العربية ج1. ط دار مكتبة الحياة . بيروت.ص:95

[5]- المصدر نفسه.ص:97

النافون للتعليق:

ولعلّ أوّلهم والذي يعدُّ المؤسّس لهذا المذهب . كما ذكرنا . هو أبو جعفر النحّاس، حيث ذكر أنّ حمّاداً الراوية هو الذي جمع السبع الطوال، ولم يثبت من أنّها كانت معلّقة على الكعبة، نقل ذلك عنه ابن الأنباري[1] . فكانت هذه الفكرة أساساً لنفي التعليق:

كارل بروكلمان حيث ذكر أنّها من جمع حمّاد، وقد سمّاها بالسموط والمعلّقات للدلالة على نفاسة ما اختاره، ورفض القول : إنّها سمّيت بالمعلّقات لتعليقها على الكعبة، لأن هذا التعليل إنّما نشأ من التفسير الظاهر للتسمية وليس سبباً لها، وهو ما يذهب إليه نولدكه [2]

وعلى هذا سار الدكتور شوقي ضيف مضيفاً إليه أنّه لا يوجد لدينا دليل مادّي على أنّ الجاهليين اتّخذوا الكتابة وسيلة لحفظ أشعارهم، فالعربية كانت لغة مسموعة لا مكتوبة. ألا ترى شاعرهم حيث يقول:

فلأهدينّ مع الرياح قصيدة منّي مغلغلة إلى القعقـــــاعِ

ترد المياه فما تزال غريبةً في القوم بين تمثّل وسماعِ؟ [3]

ودليله الآخر على نفي التعليق هو أنّ القرآن الكريم . على قداسته . لم يجمع في مصحف واحد إلاّ بعد وفاة الرسول(صلى الله عليه وآله) (طبعاً هذا على مذهبه)، وكذلك الحديث الشريف. لم يدوّن إلاّ بعد مرور فترة طويلة من الزمان (لأسباب لا تخفى على من سبر كتب التأريخ وأهمّها نهي الخليفة الثاني عن تدوينه) ومن باب أولى ألاّ تكتب القصائد السبع ولا تعلّق. [4] .

وممّن ردّ الفكرة . فكرة التعليق . الشيخ مصطفى صادق الرافعي، وذهب إلى أنّها من الأخبار الموضوعة التي خفي أصلها حتّى وثق بها المتأخّرون [5] .

ومنهم الدكتور جواد علي، فقد رفض فكرة التعليق لأُمور منها:

1-أنّه حينما أمر النبي بتحطيم الأصنام والأوثان التي في الكعبة وطمس الصور، لم يذكر وجود معلقة أو جزء معلّقة أو بيت شعر فيها.

2-عدم وجود خبر يشير إلى تعليقها على الكعبة حينما أعادوا بناءَها من جديد.

3-لم يشر أحد من أهل الأخبار الّذين ذكروا الحريق الذي أصاب مكّة، والّذي أدّى إلى إعادة بنائها لم يشيروا إلى احتراق المعلّقات في هذا الحريق.

---

[1] تاريخ آداب اللغة العربية، جرجي زيدان ج1. ط دار مكتبة الحياة . بيروت.ص:95.

[2] تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان ج1. ترجمة : عبدالحكيم النجّار.ص:67.

[3] تاريخ الأدب العربي . العصر الجاهلي . شوقي ضيف: ص:140.

[4] المصدر نفسه. ص:142.

[5] تاريخ آداب العرب ج3. مصطفى صادق الرافعي. ص:183.

4-عدم وجود من ذكر المعلّقات من حملة الشعر من الصحابة والتابعين ولا غيرهم. ولهذا كلّه لم يستبعد الدكتور جواد علي أن تكون المعلّقات من صنع حمّاد[1] ، هذا عمدة ما ذكره المانعون للتعليق.

بعد استعراضنا لأدلة الفريقين، اتّضح أنّ عمدة دليل النافين هو ما ذكره ابن النحاس حيث ادعى انّ حماداً هو الذي جمع السبع الطوال.

وجواب ذلك أن جمع حماد لها ليس دليلا على عدم وجودها سابقاً، وإلاّ انسحب الكلام على الدواوين التي جمعها أبو عمرو بن العلاء والمفضّل وغيرهما، ولا أحد يقول في دواوينهم ما قيل في المعلقات. ثم إنّ حماداً لم يكن السبّاق الى جمعها فقد عاش في العصر العباسي، والتاريخ ينقل لنا عن عبد الملك أنَّه عُني بجمع هذه القصائد (المعلقات) وطرح شعراء أربعة منهم وأثبت مكانهم أربعة [2] .

وأيضاً قول الفرزدق يدلنا على وجود صحف مكتوبة في الجاهلية:

أوصى عشية حين فارق رهطه عند الشهادة في الصحيفة دعفلُ

أنّ ابن ضبّة كان خيرٌ والداً وأتمّ في حسب الكرام وأفضـــــلُ

<u>موضوع شعر المعلّقات</u>

لو رجعنا إلى القصائد الجاهلية الطوال والمعلّقات منها على الأخصّ رأينا أنّ الشعراء يسيرون فيها على نهج مخصوص; يبدأون عادة بذكر الأطلال، وقد بدأ عمرو بن كلثوم مثلاً بوصف الخمر، ثمّ بدأ بذكر الحبيبة، ثمّ ينتقل أحدهم إلى وصف الراحلة، ثمّ إلى الطريق التي يسلكها، بعدئذ يخلص إلى المديح أو الفخر (إذا كان الفخر مقصوداً كما عند عنترة) وقد يعود الشاعر إلى الحبيبة ثمّ إلى الخمر، وبعدئذ ينتهي بالحماسة (أو الفخر) أو بذكر شيء من الحِكَم (كما عند زهير) أو من الوصف كما عند امرئ القيس.

ويجدر بالملاحظة أنّ في القصيدة الجاهلية أغراضاً متعدّدة; واحد منها مقصود لذاته (كالغزل عند امرئ القيس، الحماسة عند عنترة، والمديح عند زهير(..،

<u>عدد القصائد المعلّقات</u>

لقد أُختلف في عدد القصائد التي تعدّ من المعلّقات، فبعد أن اتّفقوا على خمس منها; هي معلّقات: امرئ القيس، وزهير، ولبيد، وطرفة، وعمرو بن كلثوم. اختلفوا في البقيّة، فمنهم من يعدّ بينها معلّقة عنترة والحارث بن حلزة، ومنهم من يدخل فيها قصيدتي النابغة والأعشى، ومنهم من جعل فيها قصيدة عبيد بن الأبرص، فتكون المعلّقات عندئذ عشراً.

---

[1]- المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام جواد علي. ج9. ص: 516 و ما بعدها.

[2]- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب . عبد القادر بن عمر البغدادي.ج1. تحقيق: عبد السلام هارون .ص:124.

أصحاب المعلقات:

1-امرؤ القيس: وهذه المعلقة هي أشهر المعلقات الجاهلية، وأكملها دربة فنية، وأقصاها بعدًا نفسيًا، وقد سار على نهجها معظم قصائد العصر الجاهلي، وردحًا بعيدًا من شعر ما بعد دخول الإسلام، من حيث الابتداء بالبكاء على الطلول، ومناجاة الأصحاب، وذكر الخواطر النفسية والوجدانية التي تضطرم بها نفس الشاعر، حيث يقص الشاعر فيها نفسَه في عواطفه، وخواطره، وتأملاته، إلى جانب ذكره عناصر البيئة التي تحيط به في جانب وصفي متقصٍ كان عليه مدار الشعر وصنعته حتى وقت قريب:

قَفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

فَتُوضِحَ فَالْمِقْرَاةِ لَمْ يَعْفُ رَسْمُهَا لِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمْـــأَلِ

2-طرفة بن العبد: بعض النقاد فضلوا معلقة طرفة على جميع الشعر الجاهلي لما فيها من الشعر الإنساني . العواصف المتضاربة . الآراء في الحياة . والموت جمال الوصف . براعة التشبيه، وشرح لأحوال نفس شابة وقلب متوثب. ولعل انتمائه إلى منطقة من أكثر الأماكن تحضرا في الجزيرة العربية (إقليم البحرين)، جعل ذلك الشعر الإنساني أكثر بروزاً لديه مقارنة بغيره من شعراء الجاهلية. يتجلى لنا طرفة شاعرا جليلاً من فئة الشبان الجاهليين ففي معلقته من الفوائد التاريخية الشيء الكثير كما صورت ناحية واسعة من أخلاق العرب الكريمة وتطلعنا على ما كان للعرب من صناعات وملاحة وأدوات.

لِخَوْلَةَ أَطْلالٌ بِبُرْقَةِ ثَهْمَـــــــــدِ

تَلُوحُ كَبَاقِي الوَشْمِ فِي ظَاهِرِ اليَدِ

وُقُوْفاً بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيَّهُمْ

يَقُوْلُوْنَ لا تَهْلِكْ أسىً وتَجَلَّدِ

3-زهير بن أبي سلمى: ومعلقته هي الثالثة ونظم معلقته لمدح مصلحين أصلحوا بين بني عبس وبني فزارة وذلك لرهان حدث بين أفراد من القبيلتين، وذكر في آخر معلقته ببعض حكمه:

أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَـةٌ لَمْ تَكَلَّمِ

بِحَوْمَانَةِ الدُّرَّاجِ فَالمُتَثَلَّمِ

وَدَارٌ لَهَا بِالرَّقْمَتَيْنِ كَأَنَّهَا

مَرَاجِيْعُ وَشْمٍ فِي نَوَاشِرِ مِعْصَمِ

4-معلقة لبيد بن ربيعة: قالها لبيد للشاعر النابغة الذبياني عندما رأى عليه علامات الشاعريه فقال له:"يا غلام إن عينيك لعينا شاعر أنشدني" فانشده أثنتين فقال له: زدني فأنشده المعلقة فقال له النابغة:

أذهب فأنت أشعر العرب، وفي رواية أشعر هوازن. وعلى ذلك لبيد نظم معلقته وأساسها الطلول ومنتصفها وصف الخمرة والمحبوبه وأخرها كان على الكرم والفخر،,هي:

عَفَتِ الدِّيَارُ مَحَلُّهَا فَمُقَامُهَا بِمِنىً تَأَبَّدَ غَوْلُهَا فَرِجَامُهَـــــا
فَمَدَافِعُ الرَّيَّانِ عُرِّيَ رَسْمُهَا خَلِقاً كَمَا ضَمِنَ الوُحِيَّ سِلامُهَا

5-معلقة عمرو بن كلثوم: معلقة عمرو بن كلثوم هي **المعلقة الخامسة** من أغنى الشعر الجاهلي بالعناصر الملحمية والحماسة والعزة. المعلقة تضم مائة بيت أنشأ الشاعر قسماً منها في حضرةعمرو بن هند ملك الحيرة لحل الخلاف الناشب بين قبيلتي بكر وتغلب، والملك استشاط غضباً حين وجد أن الشاعر لا يقيم له وزناً مات الشاعر سنة نحو (600) للميلاد.

أَلاَ هُبِّي بِصَحْنِكِ فَاصْبَحِيْنَا وَلاَ تُبْقِي خُمُوْرَ الأَنْدَرِيْنَـــــا
مُشَعْشَعَةً كَأَنَّ الحُصَّ فِيْهَا إِذَا مَا المَاءَ خَالَطَهَا سَخِيْنَا
تَجُوْرُ بِذِي اللَّبَانَةِ عَنْ هَوَاهُ إِذَا مَا ذَاقَهَا حَتَّى يَلِيْنَـــــا

6-معلقة عنترة بن شداد: هي قصيدة شعرية، من المعلقات، نظمها عنترة بن شداد، في القرن السادس الميلادي على البحر الكامل، وتُعنى بشكل أساسي بالوصف والحماسة .تحتوي هذه المعلقة على 84 بيتا. نظم معلقته بعد أن شتمه رجل وعايره بسواده وأمه وإخوته، وأنه لا يقول الشعر، فأنشأ معلقته .
نظم عنترة معلقته كباقي الشعراء فيبدأ بوصف الفراق، ثم يذكر عبلة (محبوبته) وخطابها، ثم يذكر شجاعته وفروسيته وهزيمة أعداءه.

هلْ غَادَرَ الشُّعَرَاءُ منْ مُتَرَدَّمِ أم هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بعدَ تَوَهُّـــمِ
يَا دَارَ عَبْلـةَ بِالجَوَاءِ تَكَلَّمِي وَعِمِّي صَبَاحاً دَارَ عبْلةَ واسلَمِي
فَوَقَّفْتُ فيها نَاقَتي وكَأَنَّهَا فَدَنٌ لأَقْضي حَاجَةَ المُتَلَـــــوِّمِ

7-معلقة: الحارث بن حلزة اليشكري: كان الباعث الأساسي لإنشاد المعلقة دفاع الشاعر عن قومه وتفنيد أقوال خصمه عمرو بن كلثوم. تقع المعلقة في خمس وثمانين بيتاً، نظمت بين عامي 554 و569 م. شرحها الزوزني وطبعت في إكسفورد عام 1820 م ثم في بونا سنة 1827 م. ترجمت إلى اللاتينية والفرنسية.وهي قصيدة همزية على البحر الخفيف وتقسم إلى:
1-مقدمة: فيها وقوف بالديار وبكاء على الأحبة ووصف للناقة (الأبيات 1 – 14)

2-المضمون: تكذيب أقوال التغلبيين من (الأبيات 15 – 20) وعدم اكتراث الشاعر وقومه بالوشايات (الأبيات 21 – 31) ومفاخر البكريين (الأبيات 32 – 39) ومخازي التغلبيين ونقضهم للسلم (الأبيات 40 – 55) واستمالة الملك وذكر العداوة (الأبيات 59 – 64) ومدح الملك (الأبيات 65 – 68) وخدم البكريين للملك (الأبيات 69 – 83) القرابة بينهم وبين الملك (الأبيات 84 – 85)

وتعتبر هذه المعلقة نموذجا للفن الرفيع في الخطابة والشعر الملحمي وفيها قيمة أدبية وتاريخية كبيرة تتجلى فيها قوة الفكر عند الشاعر ونفاذ الحجة كما أنها تحوي القصص وألوانا من التشبيه الحسّي كتصوير الأصوات والاستعداد للحرب وفيها من الرزانة ما يجعلها أفضل مثال للشعر السياسي والخطابي في ذلك العصر .وهذا مطلع المعلقة:

آذَنَتْنَا بِبَيْنِهَا أَسْمَاءُ رُبَّ ثَاوٍ يُمَلُّ مِنْهُ الثَّوَاءُ
بَعْدَ عَهْدٍ لَنَا بِبُرْقَةِ شَمَّا ءَ فَأَدْنَى دِيَارِهَا الخَلْصَاءُ
فَالمُحَيَّاةُ فَالصِّفَاحُ فَأَعْنَا قُ فِتَاقٍ فَعاذِبٌ فَالْوَفَاءُ

8-معلقة الأعشى ميمون: هي قصيدة من قصائد الأعشى، يُعدها العرب من ضمن المعلقات العشر، نظمها الأعشى على البحر البسيط. يبلغ عدد أبيات المعلقة 66 بيتًا.

ودّعْ هريرةَ إنْ الركبَ مرتحلُ وهلْ تطيـــقُ وداعاً أيهـــا الرّجـــلُ؟
غَرّاءُ فَرْعَاءُ مَصْقُولٌ عَوَارِضُها تَمشِي الهُوَينا كما يَمشِي الوَجي الوَحِلُ
كَأنّ مِشْيَتَهَا مِنْ بَيْتِ جارَتِهَا مرّ السّحابــةِ ، لا ريـــثٌ ولا عجـــلُ

9-معلقة النابغة الذبياني: اختلف رواة الأدب ونقاده حول أهمية النابغة وشعره في الجاهلية وهل هو من أصحاب المعلقات أم لا؟

أ- قدم التبريزي في كتابه شرح المعلقات القصائد السبع ثم أضاف إليها النابغة الذبياني والأعشى بن الأبرص.

ب- قدم الزوزني في كتابه شرح المعلقات القصائد السبع ولم يذكر بينها قصيدة النابغة التي وسمت بالمعلقة.

ج- أما الخطابي فقد ذكر في كتابه شرح المعلقات السبع ولم يذكر ضمنها النابغة الذبياني.

د- أما الخطابي فقد ذكر المعلقات وذكر من بين الشعراء النابغة لكنه قدم لنا قصيدة ليست بالمعلقة وإنما وضع:

عوجوا فحيوا لنعم دمنة الدار ماذا تحيون من نؤي وأحجار

نص المعلقة:

يا دارَ ميَّةَ بالعَلياءِ فالسَّنــدِ أقوَت وطالَ عليها سالِفُ الأبـــدِ
وقفتُ بها أصَيلاً كي أُسائلَها عيَّت جَواباً وما بالرَّبع مـــن أحـــدِ
إلاّ الأَوارِيَّ لَأياً ما أبيّنُهـــــا والنُؤيَ كالحوضِ بالمظلومةِ الجلَدِ

10-معلقة عبيد بن الأبرص الأسدي: تعتبر المعلقة من أشهر قصائد عبيد بن الأبرص، ذلك أن المنذر قد طلب إلى الشاعر أن يلقيها في حضرته. وقد أوردها التبريزي ضمن مجموعة (القصائد العشر). بدأها عبيدُ بذكر المنازل المقفرة وتقلّب صروف الزمان عليها، ثم انتقل إلى الحديث عن سنّة الحياة في تحوّل كل شيء، ونهاية الإنسان إلى الموت، ويستطرد في بقية القصيدة، أي في ثلاثة أرباعها، إلى وصف سفره بالنّاقة، ثم إلى وصف فرسه.

أقْفَرَ مِنْ أهْلِهِ مَلْحُوبُ فَالقُطَبِيّاتُ فَالذَّنُــوبُ
فَرَاكِسٌ فَتُعَيْلِبَـــــاتٌ فَذَاتُ فِرْقَيْنِ فَالقَلِيبُ
فَعَرْدَةٌ فَقَفَــا حِبّــرٍ، لَيْسَ بِهَا مِنْهُمُ عَرِيبُ

نماذج مختارة من القصائد المعلّقة مع شرح حال شعرائها

أربع من هذه القصائد اخترناها من بين القصائد السبع أو العشر مع اشارة لما كتبه بعض الكتاب والأدباء عن جوانبها الفنية..

امرؤ القيس .اسمه: امرؤ القيس، خندج، عدي، مليكة، لكنّه عرف واشتهر بالاسم الأوّل، وهو آخر أُمراء أُسرة كندة اليمنيّة.

أبوه: حجر بن الحارث، آخر ملوك تلك الأُسرة، التي كانت تبسط نفوذها وسيطرتها على منطقة نجد من منتصف القرن الخامس الميلادي حتى منتصف السادس.

أُمّه: فاطمة بنت ربيعة أُخت كليب زعيم قبيلة ربيعة من تغلب، وأُخت المهلهل بطل حرب البسوس، وصاحب أوّل قصيدة عربية تبلغ الثلاثين بيتاً.

نبذة من حياته:

قال ابن قتيبة: هو من أهل نجد من الطبقة الأُولى[1] كان يعدّ من عشّاق العرب، وكان يشبّب بنساء منهنّ فاطمة بنت العبيد العنزية التي يقول لها في معلّقته:

أفاطِمَ مَهْلاً بَعْضَ هَذَا التَّدَلُّلِ وإِنْ كُنْتِ قَدْ أزمعْتِ صَرْمِي فَأَجْمِلِي

وقد طرده أبوه على أثر ذلك. وظل امرؤ القيس سادراً في لهوه إلى أن بلغه مقتل أبيه وهو بدمّون فقال: ضيّعني صغيراً، وحمّلني دمه كبيراً، لا صحو اليوم ولا سكرَ غداً، اليوم خمرٌ وغداً أمرٌ، ثمّ آلى أن لا يأكل لحماً ولا يشرب خمراً حتّى يثأر لأبيه .[2]

إلى هنا تنتهي الفترة الأُولى من حياة امرئ القيس وحياة المجون والفسوق والانحراف، لتبدأ مرحلة جديدة من حياته، وهي فترة طلب الثأر من قَتَلة أبيه، ويتجلّى ذلك من شعره، الّذي قاله في تلك الفترة، الّتي يعتبرها الناقدون مرحلة الجدّ من حياة الشاعر، حيكت حولها كثير من الأساطير، التي أُضيفت فيما بعد إلى حياته. وسببها يعود إلى النحل والانتحال الذي حصل في زمان حمّاد الراوية، وخلف الأحمر ومن حذا حذوهم. حيث أضافوا إلى حياتهم ما لم يدلّ عليه دليل عقلي وجعلوها أشبه بالأسطورة. ولكن لا يعني ذلك أنّ كلّ ما قيل حول مرحلة امرئ القيس الثانية هو أُسطورة.

والمهم أنّه قد خرج إلى طلب الثأر من بني أسد قتلة أبيه، وذلك بجمع السلاح وإعداد الناس وتهيئتهم للمسير معه، وبلغ به ذلك المسير إلى ملك الروم حيث أكرمه لما كان يسمع من أخبار شعره وصار نديمه، واستمدّه للثأر من القتلة فوعده ذلك، ثمّ بعث معه جيشاً فيهم أبناء ملوك الروم، فلمّا فصل قيل لقيصر: إنّك أمددت بأبناء ملوك أرضك رجلاً من العرب وهم أهل غدر، فإذا استمكن ممّا أراد وقهر بهم

---

[1] – الشعر والشعراء. ابن قتيبة، دار إحياء العلوم، بيروت، ط 6، 1997، ص:27

[2] – المصدر نفسه. ص:39.

عدوّه غزاك. فبعث إليه قيصر مع رجل من العرب كان معه يقال له الطمّاح، بحلّة منسوجة بالذهب مسمومة، وكتب إليه: إنّي قد بعثت إليك بحلّتي الّتي كنت ألبسها يوم الزينة ليُعرف فضلك عندي، فإذا وصلت إليك فالبسها على اليُمن والبركة، واكتب إليّ من كلّ منزل بخبرك، فلمّا وصلت إليه الحلّة اشتدّ سروره بها ولبسها، فأسرع فيه السمّ وتنفّط جلده، والعرب تدعوه: ذا القروح لذلك، ولقوله:

وبُدِّلْتُ قرحاً دامياً بعد صحّة فيالك نُعمى قد تحوّلُ أبؤسا

ولمّا صار إلى مدينة بالروم تُدعى: أنقرة ثقل فأقام بها حتّى مات، وقبره هناك.

وآخر شعره:

ربّ خطبة مسحنفَرهْ وطعنة مثعنجرهْ

وجعبة متحيّـــــرهْ تدفنُ غداً بأنقرةْ

ورأى قبراً لامرأة من بنات ملوك العرب هلكت بأنقره فسأل عنها فاخبر، فقال:

أجارتنا إنّ المزار قريبُ وإنّي مقيم ما أقام عسيبُ

أجارتَنا إنّا غريبانِ هاهنا وكلّ غريب للغريب نسيبُ [1]

وقد عدَّ الدكتور جواد علي والدكتور شوقي ضيف وبروكلمان وآخرون بعض ما ورد في قصّة امرئ القيس وطرده، والحكايات التي حيكت بعد وصوله إلى قيصر ودفنه بأنقرة إلى جانب قبر ابنة بعض ملوك الروم، وسبب موته بالحلة المسمومة، وتسميته ذا القروح من الأساطير.

معلّقة امرئ القيس

البحر: الطويل. عدد أبياتها: 78 بيتاً منها: 9 : في ذكرى الحبيبة. 21 : في بعض مواقف له. 13 : في وصف المرأة. 5 : في وصف الليل. 18 في السحاب والبرق والمطر وآثاره. والبقية في أُمور مختلفة.

استهلّ امرؤ القيس معلّقته بقوله:

قفا نبكِ من ذكرى حبيب ومنزِلِ بِسِقْط اللِّوَى بين الدَّخُوْلِ فَحَوْمَلِ

فتوضِحَ فالمقراة لم يعفُ رسمُها لما نسجتها من جنوب وَشَمــــأَلِ

وقد عدّ القدماء هذا المطلع من مبتكراته، إذ وقف واستوقف وبكى وأبكى وذكر الحبيب والمنزل، ثمّ انتقل إلى رواية بعض ذكرياته السعيدة بقوله:

ألا ربّ يوم لَكَ منهُنَّ صالحٌ ولاسيّما يومٌ بدراة جُلجـــــلِ

ويومَ عقرت للعِذارى مطيّتي فيا عجباً من رحلِها المتحمّلِ

فضلّ العذارى يرتمينَ بلحمها وشحم كهذّاب الدِّمَقْسِ المُفَتَّلِ

---

[1] – الشعر والشعراء ص ص45 . 47، وعسيب: جبل هناك

وحيث إنّ تذكّر الماضي السعيد قد أرّق ليالي الشاعر، وحرمه الراحة والهدوء; لذا فقد شعر بوطأة الليل; ذلك أنّ الهموم تصل إلى أوجها في الليل، فما أقسى الليل على المهموم! إنّه يقضّ مضجعهُ، ويُطير النوم من عينيه، ويلفّه في ظلام حالك، ويأخذه في دوامة تقلّبه هنا وهناك لا يعرف أين هو، ولا كيف يسير ولا ماذا يفعل، ويلقي عليه بأحماله، ويقف كأنّه لا يتحرّك.. يقول:

وليل كموج البحرِ أرخى سدوله عليّ بأنواع الهمومِ ليبتلـــــــي
فقُلْتُ لَهُ لمّا تمطّى بصلبِـــهِ وأردف أعجازاً وناءَ بِكَلْكَـــــــلِ
ألا أيّها الليلُ الطويل ألا انجلي بصبح وما الأصْبَاحُ منكَ بِأمْثَــلِ

وتعدّ هذه الأبيات من أروع ما قاله في الوصف، ومبعث روعتها تصويره وحشيّة الليل بأمواج البحر وهي تطوي ما يصادفها; لتختبر ما عند الشاعر من الصبر والجزع.

فأنت أمام وصف وجداني فيه من الرقّة والعاطفة النابضة، وقد استحالت سدول الليل فيه إلى سدول همّ، وامتزج ليل النفس بليل الطبيعة، وانتقل الليل من الطبيعة إلى النفس، وانتقلت النفس إلى ظلمة الطبيعة.

فالصورة في شعره تجسيد للشعور في مادّة حسّية مستقاة من البيئة الجاهلية.

ثمّ يخرج منه إلى وصف فرسه وصيده ولذّاته فيه، وكأنّه يريد أن يضع بين يدي صاحبته فروسيته وشجاعته ومهارته في ركوب الخيل واصطياد الوحش يقول:

وقد أَغتدي والطير في وُكُناتِها لا بِمُنْجرد قيدِ الأوابـــــــدِ هيكـــلِ
مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِـــــر معـــاً كجُلْمُودِ صَخْر حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ

وهو وصف رائع لفرسه الأشقر، فقد صوّر سرعته تصويراً بديعاً، وبدأ فجعله قيداً لأوابد الوحش إذا انطلقت في الصحراء فإنّها لا تستطيع إفلاتاً منه كأنّه قيد يأخذ بأرجلها.

وهو لشدّة حركته وسرعته يخيّل إليك كأنّه يفرّ ويكرّ في الوقت نفسه، وكأنّه يقبل ويدبر في آن واحد، وكأنّه جلمود صخر يهوى به السيل من ذورة جبل عال.

ثمّ يستطرد في ذكر صيده وطهي الطهاة له وسط الصحراء قائلاً:

فظلّ طهاةُ اللحمِ ما بين منضج صفيف شواء أو قدير معجّلِ

وينتقل بعد ذلك إلى وصف الأمطار والسيول، التي ألمّت بمنازل قومه بني أسد بالقرب من تيماء في شمالي الحجاز، يقول:

أحارِ ترى برقاً كأنّ وميضَـــــهُ كلمعِ اليدين في حبـــيٍّ مكَلّـــــلِ
يضيءُ سناهُ أو مصابيحُ راهب أهانَ السَّليطَ في الذُّبالِ المفتّـــــلِ
قعدتُ له وصحبتي بين حامِـــر وبين إكام بُعْدَ مـــــا متأمـــــــــلِ
وأضحى يسحُّ الماء عن كلِّ فيقة يكبُّ على الأذهان دوحَ الكَنهْبَـــلِ
وتيماءَ لم يترك بها جذعَ نخلـــــة ولا أُطماً إلاّ مشيـــــداً بِجَنْـــدَلِ

استهلّ هذه القطعة بوصف وميض البرق وتألّقه في سحاب متراكم، وشبّه هذا التألّق واللمعان بحركة اليدين إذا أُشير بهما، أو كأنّه مصابيح راهب يتوهّج ضوؤها بما يمدّها من زيت كثير.

ويصف كيف جلس هو وأصحابه يتأمّلونه بين جامر وإكام، والسحاب يسحّ سحّاً، حتّى لتقتلع سيوله كلّ ما في طريقها من أشجار العِضاه العظيمة، وتلك تيماء لم تترك بها نخلاً ولا بيتاً، إلاّ ما شيّد بالصخر، فقد اجتثّت كلّ ما مرّت به، وأتت عليه من قواعده وأُصوله.

زهير بن أبي سلمى

هو زهير بن أبي سلمى . واسم أبي سلمى: ربيعة بن رباح المزني من مزينة ابن أد بن طايخة. كانت محلّتهم في بلاد غطفان، فظنّ الناس أنّه من غطفان، وهو ما ذهب إليه ابن قتيبة أيضاً.

وهو أحد الشعراء الثلاثة الفحول المقدّمين على سائر الشعراء بالاتّفاق، وإنّما الخلاف في تقديم أحدهم على الآخر، وهم: امرؤ القيس وزهير والنابغة. ويقال: إنّه لم يتصل الشعر في ولد أحد من الفحول في الجاهلية ما اتصل في ولد زهير، وكان والد زهير شاعراً، وأُخته سلمى شاعرة، وأُخته الخنساء شاعرة، وابناه كعب ومجبر شاعرين، وكان خال زهير أسعد بن الغدير شاعراً، والغدير أُمّه وبها عرف، وكان أخوه بشامة بن الغدير شاعراً كثير الشعر.

ويظهر من شعر ينسب إليه أنّه عاش طويلا إذ يقول متأفّفاً من هذه الحياة ومشقّاتها حتّى سئم منها:

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولاً لا أبا لك يسأم

قالوا فيه:

1. الحطيئة أُستاذ زهير: سئل عنه فقال: ما رأيت مثله في تكفّيه على أكتاف القوافي، وأخذه بأعنّتها حيث شاء، من اختلاف معانيها امتداحاً وذمّاً . [1]
2. ابن الاعرابي: كان لزهير في الشعر ما لم يكن لغيره . [2]
3. قدامة بن موسى . وكان عالماً بالشعر . : كان يقدّم زهيراً.
4. عكرمة بن جرير: قلت لأبي:مَن أشعر الناس؟ قال:أجاهليٌّ أم إسلامية؟ فقلت: جاهلية، قال:زهير [3]

مميّزات شعره:

امتاز زهير بمدحيّاته، وحكميّاته، وبلاغته، وكان لشعره تأثير كبير في نفوس العرب. وكان أبوه مقرّباً من أُمراء ذبيان، وخصوصاً هرم بن سنان والحارث ابن عوف، وأوّل قصيدة نظمها في مدحهما على أثر مكرمة أتياها. معلّقته المشهورة.

---

[1] المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام .ج9. جواد علي ص: 544.

[2] شرح الشواهد . السيوطي ج1. ص : 133.

[3] الشعر والشعراء. ابن قتيبة ص: 57.

ويؤخذ من بعض أقواله أنّه كان مؤمناً بالبعث كقوله:

يؤخَّر فيودَع في كتاب فيدَّخَرْ ليومِ الحسابِ أو يعجّلْ فينتقمِ

وممّا يدلّ على تعقّله وحنكته وسعة صدره حِكمه في معلّقته، وقد جمع خلاصة التقاضي في بيت واحد:

وإنّ الحقّ مقطعه ثـــــلاث يمينٌ أو نفارٌ أو جـــــلاءُ

معلّقة زهير بن أبي سلمى

البحر: الطويل. عدد الأبيات: 59 موزّعة فيما يلي: 6 في الأطلال. 9 في الأظعان. 10 في مدح الساعين بالسلام. 21 في الحديث إلى المتحاربين. 13 في الحكم.

يبدأ الشاعر معلّقته بالحديث عمّا صارت إليه ديار الحبيبة، فقد هجرها عشرين عاماً، فأصبحت دمناً بالية، وآثارها خافتة، ومعالمها متغيّرة، فلمّا تأكّد منها هتف محيّياً ودعا لها بالنعيم:

أمن اُمّ أوفى دِمنةٌ لم تَكَلَّـــــمِ بحَوْمانَةِ الـــدّرّاجِ فالمتثَلَّـــــمِ

وقفتُ بها من بعدِ عشرينَ حجّةً فَلأياً عرفتُ الدار بعد توهُّـــمِ

فلمّا عرفتُ الدار قلت لربعهـــــا ألا أنعم صباحاً أيّها الربع وأسلمِ

ثمّ عاد بالذاكرة إلى الوراء يسترجع ساعة الفراق، ويصف النساء اللاتي ارتحلن عنها، فيتبعهنّ ببصره كئيباً حزيناً، ويصف الطريق الّتي سلكنها، والهوادج التي كنّ فيهاو:...

بكرن بكوراً واستحرنَ بسحره فهنّ ووادي الرسّ كاليـــدِ للفـــمِ

جعلن القنان عن يمين وحزنه وكم بالقنان من محلّ ومحـــرمِ

فلمّا وردنَ الماء زرقاً جمامه وضعْنَ عِصِيَّ الحاضرِ المتخيَّمِ

وفيهنّ ملهى للّطيف ومنظر أنيق لعين الناظر المتوسّـــــمِ

وكأنّه حينما وصل إلى هذا المنظر الجميل الفتّان سبح به خاطره إلى جمال الخلق وروعة السلوك، وحبّ الخير والتضحية في سبيل الأمن والاستقرار، فشرع يتحدّث عن الساعين في الخير، المحبّين للسلام، الداعين إلى الإخاء والصفاء، فأشاد بشخصين عظيمين هما هرم والحارث، وذلك لموقفهما النبيل في إطفاء نار الحرب بين عبس وذبيان، وتحمّلهما ديات القتلى من مالهما وقد بلغت ثلاثة آلاف بعير، قال:

سعى ساعياً غيظ من مرّة بعدما تبزّل ما بين العشيـرة بالـــدمِ

فأقسمت بالبيت الّذي طاف حوله رجال بنوه من قريش وجرهـــمِ

يميناً لنعم السّيّـــــدان وُجدتمـــا على كلّ حال من سحيل ومبـــرمِ

تداركتما عبساً وذبيـــان بعدمـــا تفانوا ودقّوا بينهم عطر منشـمِ

وقد قلتما: إن ندرك السلم واسعاً بمال ومعروف من القول نسلمِ

فأصبحتما منها على خير موطن بعيدين فيها من عقوق ومأثـمِ

ثمّ وجّه الكلام إلى الأحلاف المتحاربين قائلاً:

هل أقسمتم أن تفعلوا ما لاينبغي؟ لا تظهروا الصلح، وفي نيّتكم الغدر; لأنّ الله سيدخره لكم ويحاسبكم عليه، إن عاجلاً أو آجلاً، يقول:

ألا أبلغ الأحلاف عنّي رسالة وذبيان هل أقسمتم كلّ مقسمِ
فلا تكتمنّ الله ما في صدوركم ليخفى ومهما يكتم اللهُ يعلمِ
يؤخّر فيوضع في كتاب فيدّخر ليوم الحساب أو يعجّل فينقمِ

ثمّ انتقل من هذا المجال مجال النصح والتوجيه وتأكيد السلام إلى مجال الحكمة الإنسانية العامة، حكمة الرجل المجرّب للحياة، الذي ذاقها وخبرها وعاش في خضمّها، ثمّ امتدّ به العمر فزهدها وانصرف عنها، قال:

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضلـــــه على قومِهِ يُسْتَغْنَ عنهُ ويذمَـــمِ
ومن لا يذد عن حوضه بسلاحـــــه يُهَدَّمْ، ومن لا يظلم الناسَ يُظْلَمِ
ومن لا يصانع في اُمور كثيـــــرة يضرّس بأنياب ويوطـأ بمنســـمِ
ومن يجعل المعروف من دون عرضه يَفُرْهُ ومن لا يتّقِ الشّتم يُشتَـــمِ
ومهما تكن عند امرئ مـــن خليقـــة وإن خالها تخفى على الناسِ تُعلَمِ
سئمتَ تكاليفَ الحياةِ ومن يعـــش ثمانين حولاً لا أبا لك يســـــأمِ
وأعلمُ ما في اليومِ والأمسِ قبلـــهُ ولكنّني من علم ما في غد عـــمِ
رأيتُ المنايا خبط عشواءَ من تُصب تمتْهُ ومن تُخطئ يعمّر فيهـــرمِ

ويختمها بتأكيد معروف الممدوحين عليه فيقول:

سألنا فأعطيتم وعدنا فعدتـــــمُ ومن يكثر التسآلَ يوماً سيحـــرمِ

<u>عنترة بن شدّاد العبسي</u>

هو عنترة بن عمرو بن شدّاد بن عمرو... بن عبسي بن بغيض [1] وأمّا شدّاد فجدّه لأبيه في رواية لابن الكلبي، غلب على اسم أبيه فنسب إليه، وقال غيره: شدّاد عمّه، وكان عنترة نشأ في حجره فنسب إليه دون أبيه، وكان يلقّب بـ (عنترة الفلحاء) لتشقّق شفتيه. وانّما ادّعاه أبوه بعد الكبر، وذلك لأنّه كان لأمة سوداء يقال لها زبيبة، وكانت العرب في الجاهلية إذا كان للرجل منهم ولد من اُمّه استعبده.

وكان سبب ادّعاء أبي عنترة إيّاه أنّ بعض أحياء العرب أغاروا على قوم من بني عبس، فتبعهم العبسيّون فلحقوهم فقاتلوهم عمّا معهم، وعنترة فيهم، فقال له أبوه أو عمّه في رواية اُخرى: كرّ يا عنترة، فقال عنترة: العبد لا يحسِن الكرّ، إنّما يحسن الحلاب والصرّ، فقال: كرّ وأنت حرّ، فكرّ وقاتل يومئذ حتّى استنقذ ما بأيدي عدوّهم من الغنيمة، فادّعاه أبوه بعد ذلك، وألحق به نسبه[2]

---

[1] الشعر والشعراء. ابن قتيبة ص: 130.

[2] المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام .ج9. جواد علي ص: 558.

كان شاعرنا من أشدّ أهل زمانه وأجودهم بما ملكت يده، وكان لا يقول من الشعر إلاّ البيتين والثلاثة حتّى سابّه رجل بني عبس فذكر سواده وسواد أُمّه وسواد أُخوته، وعيّره بذلك، فقال عنترة قصيدته المعلّقة التي تسمّى بالمذهّبة وكانت من أجود شعره: هل غادر الشعراء من متردّمِ . [1]

وكان قدشهد حرب داحس والغبراء فحسن فيها بلاؤه وحمد مشاهده.

أحبّ ابنة عمّه عبلة حبّاً شديداً، ولكنّ عمّه منعه من التزويج بها. وقد ذكرها في شعره مراراً وذكر بطولاتها أمامها، وفي معلّقته نماذج من ذلك.

وقد ذكر الأعلم الشنتمري في اختياراته من أشعار الشعراء الستة الجاهليين ص461 أنّ النبي(صلى الله عليه وآله) حينما أنشد هذا البيت:

ولقد ابيتُ على الطوى وأظله حتى أنال بـــه كريـــم المأكـــلِ

قال(صلى الله عليه وآله): ما وصف لي أعرابي قط، فأحببتُ أن أراه إلاّ عنترة.

نماذج من شعره:

بكرت تخوّفني الحتوف كأنّنـــي أصبحتُ عن عرضِ الحتوفِ بمعزلِ

فأجبتها إنّ المنيّـــة منهـــلٌ لابدّ أن أُسقى بـــذاك المنهـــلِ

فاقني حياءك لا أبا لك واعلمي أنّي امرؤٌ سأموتُ إن لـم أُقتـــلِ

ومن إفراطه:

وأنا المنيّة في المواطن كلّهـــا والطعنُ منّي سابقُ الآجـــــالِ

وله شعر يفخر فيه بأخواله من السودان:

إنّي لتعرف في الحروب مواطنـــي في آل عبس مشهدي وفعالي

منهم أبي حقّاً فهم لي والـــــدٌ و الأُمّ من حام فهم أخوالـــي[2]

قال **جواد علي:** اِن صحّ هذا الشعر هو لعنترة دلّ على وقوف الجاهليين على اسم «حام» الوارد في التوراة على أنّه جدّ السودان، ولابدّ أن تكون التسمية قد وردت إلى الجاهليين عن طريق أهل الكتاب [3] وقد اختلف في موته، فذكر ابن حزم [4] انّه قتله الأسد الرهيص حيّان بن عمرو بن عَميرة بن ثعلبة بن غياث بن ملقط. وقيل: إنّه كان قد أغار على بني نبهان فرماه وزر بن جابر بن سدوس بن أصمع

---

[1] الشعر والشعراء. ابن قتيبة ص ص: 131.132.

[2] المصدر نفسه. ص ص:133.134

[3] المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام .ج9. جواد علي ص: 560.

[4] جمهرة أنساب العرب. ابن حزم الأندلسي. تحقيق: عبد السلام محمد هارون.ط5. دار المعارف ص:400.

النبهاني فقطع مطاه، فتحامل بالرميّة حتّى أتى أهله فمات[1] .

معلّقة عنترة العبسي

البحر: الكامل. عدد الأبيات: 80 بيتاً. 5 في الأطلال. 4 في بعد الحبيبة وأثره. 3 في موكب الرحلة. 9 في وصف الحبيبة. 13 في الناقة. 46 في الفخر الشخصي...

يبدأ عنترة معلّقته بالسؤال عن المعنى الذي يمكن أن يأتي به ولم يسبقه به أحد الشعراء من قبل، ثمّ شرع في الكلام فقال: إنّه عرف الدار وتأكّد منها بعد فترة من الشكّ والظنّ فوقف فيها بناقته الضخمة ليؤدّي حقّها . وقد رحلت عنها عبلة وصارت بعيدة عنه . فحيّا الطلل الّذي قدم العهد به وطال... فيقول:

هل غادر الشعراء من متردّمِ أم هل عرفت الدار بعد توهّـــمِ
يا دار عبلة بالجواء تكلّمي وعمي صباحاً دار عبلة واسلمي
فوقفت فيها ناقتي وكأنّها فدن لأقضي حاجة المتلـــــوّمِ
حُيّيتَ من طللِ تقادمَ عهدهُ أقوى وأقفر بعد أُمّ الهيثـــــمِ
ولقد نزلت فلا تظنّي غيره منّي بمنزلةِ المحبّ المكـــــرمِ
إن كنت أزمعت الفراق فإنّما زمّت ركابكمُ بليل مظلـــــــمِ
ما راعني إلاّ حمولة أهلها وسط الديار تسفّ حبّ الخمخَمِ

ثمّ سرد طرفاً من أسباب هيامه، فقال:

إنّها ملكت شغاف قلبه بفم جميل، أبيض الأسنان طيّب الرائحة، يفوح العطر من عوارضه:

إذ تستبيك بذي غروب واضح عذب مقبّله لذيذ المطعمِ

ثمّ قارن بين حاله وحالها; فهي تعيش منعّمة، وهو يعيش محارباً، وتمنّى أن توصله إليها ناقة قويّة لا تحمل ولا ترضع وتضرب الآثار بأخفافها فتكسرها... فقال:

تمسي وتصبح فوق ظهر حشيّة وأبيت فوق سراة أدهم ملجمِ
وحشيتي سرج على عبل الشوى نهد مراكله نبيل المحـــــزمِ
هل تبلغنّي دارها شدنيّـــــــة لعنت بمحروم الشرابِ مصوّمِ

ثمّ يتجّه بالحديث إلى الحبيبة يسرد أخلاقه وسجاياه قائلاً:

إن ترخي قناع وجهك دوني فإنّي خبير ماهر بمعاملة الفرسان اللابسين الدروع، وأنا كريم الخلق لين الجانب إلاّ إذا ظُلمت فعند ذلك يكون ردّي عنيفاً مرّاً:

إن تغدفي دوني القناع فإنّني طبّ بأخذ الفارس المستلئم
أثني عليّ بما علمت فإنّني سهل مخالقتي إذا لم أُظلمِ
فإذا ظُلمت فإنّ ظلمي باسل مرّ مذاقته كطعم العلقـــمِ

---

[1] – المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام .ج9. جواد علي ص: 561.

ثمّ يستمرّ البطل في وصف بطولته لحبيبته، فيحثّها أن تسأل عنه فرسان الوغى الّذين شهدوه في معترك الوغى وساحات القتال ليخبروها بأنّ لعنترة من الشجاعة ما تجعله لا يهاب الموت بل يقحم فرسه في لبّة المعركة، ويقاتل، وبعد الحرب . وكعادة الجيش المنتصر . فإنّ أفراده ينشغلون بجمع الغنائم، امّا هو فيده عفيفة عن أخذ الغنائم، فقتاله لا للغنيمة وإنّما لهدف أبعد وهو أن يكسب لقومه شرف الانتصار.

ويستمرّ في مدح نفسه فيذكر في شعره معان نبيلة، وهي معان ارتفعت عنده إلى أروع صورة للنبل الخلقي حتّى لنراه يرقّ لأقرانه الّذين يسفك دماءهم، يقول وقد أخذه التأثّر والانفعال الشديد لبطشه بأحدهم:

فشككت بالرمح الطويل ثيابَهُ ليس الكريم على القنا بمحرّمِ

فهو يرفع من قدر خصمه، فيدعوه كريماً، ويقول إنّه مات ميتة الأبطال الشرفاء في ساحة القتال.

وكان يجيش بنفسه إحساس عميق نحو فرسه الّذي يعايشه ويعاشره حين تنال منه سيوف أعدائه ورماحهم، يقول مصوّراً آلامه وجروحه الجسديّة وقروحه النفسية:

فأزورّ من وَقْعِ القَنــــا بِلبَانـــــهِ وشكا إليّ بعبرة وتَحَمْحُـــمِ

لو كان يدري ما المحاورةُ اشتكى ولكان لو عَلِمَ الكلامَ مكلّمي

وكأنّما فرسه بضعة من نفسه.

ثمّ يختم قصيدته بأنّه يعرف كيف يسوس أمره ويصرف شؤونه، فعقله لا يغرب عنه، ورأيه محكم، وعزيمته صادقة، ولا يخشى الموت إلاّ قبل أن يقتصّ من غريمه:

ذلّل ركابي، حيث شئت مشايعي لبّي وأحفره بأمـــــر مبـــرمِ

ولقد خشيت بأن أموت ولم تكن للحرب دائرةٌ على ابني ضمضمِ

الشاتمَي عرضي ولم أشتمهمـــا والنـاذرَينِ إذا لم ألقِهِما دمـــــي

إن يفعلا فلقد تركت أباهمـــــا جزر السباعِ وكلّ نسر قشعـــمِ

المحاضرة 03: شعر الصعاليك (نصوص ...لامية العرب للشنفرى).

الصعلوك الفقير الذي لا مال له، و"صعلكه أضمره وأدقهَّ [1] .لكن نُسب التشرد وقطع الطريق للفقير فصارت الصعلكة تعني قطع الطريق، كما كان ارتباط الشعر بمجموعة من الشعراء الذين أبعدوا عن قبائلهم فراحوا يغيرون على قوافل الأغنياء ثم يقسمون ما يحصلون فاتصفوا في الفكر الحديث بالثورية لرفضهم واقعا اجتماعيا قبليا ساده كثير من الظلم .لكن صفة الأنفة والعزة وما إليها من الإباء والكرم والشجاعة، كل هذه الصفات تجسد مدى وفائهم لتلك القبائل التي وهبتهم ملكة الثورة عليها وبذلك فهم منتمون منشقون في الوقت نفسه. [2] .

والصعاليك نماذج متباينة : منهم الخامل الحقير الذي رضي التسول والهوان ولم يمض في عالم المغامرة، ومنهم النشط المنشق عن أعراف القبيلة مختارا الفتك والغصب وسيلة لاسترداد حقه المادي والمعنوي.

شعر الصعاليك . مصطلحٌ يصف ظاهرة فكرية نفسية اجتماعية أدبية لطائفة من شعراء العصر الجاهلي عكس سلوكهم وشعرهم نمطًا فكريًا واجتماعيًا مغايرًا لما كان سائدًا في ذلك العصر. فالصعلكة لغة مأخوذة من قولهم: "تصعلكت الإبل" إذا خرجت أوبارها وانجردت. ومن هذا الأصل اللغوي، أصبح الصعلوك هو الفقير الذي تجرد من المال، وانسلخ من جلده الآدمي ودخل في جلد الوحوش الضارية. وإذا كان الأصل اللغوي لهذه الكلمة يقع في دائرة الفقر، فإن الصعلكة في الاستعمال الأدبي لا تعني الضعف بالضرورة، فهناك طائفة من الصعاليك الذين تمردوا على سلطة القبيلة وثاروا على الظلم والقمع والقهر والاستلاب الذي تمارسه القبيلة على طائفة من أفرادها. ونظرًا لسرعتهم الفائقة في العدو وشراستهم في الهجوم والغارة، أُطلق عليهم ذؤبان العرب أو الذؤبان تشبيهًا لهم بالذئاب .

ومما لاشك فيه أن هناك عوامل جغرافية وسياسية واجتماعية واقتصادية أدت إلى بروز ظاهرة الصعلكة في الصحراء العربية إبَّان العصر الجاهلي. فالعامل البيئي الذي أدى إلى بروز هذه الظاهرة يتمثل في قسوة الصحراء وشُحِّها بالغذاء إلى درجة الجوع الذي يهدد الإنسان بالموت. وإذا جاع الإنسان إلى هذه الدرجة، فليس من المستغرب أن يتصعلك ويثور ويقتل .

والعامل السياسي يتمثل في وحدة القبيلة القائمة على العصبية ورابطة الدم. فللفرد على القبيلة أن تحميه وتهرع لنجدته حين يتعرض لاعتداء. ولها عليه في المقابل أن يصون شرفها ويلتزم بقوانينها وقيمها وأن لا يجر عليها جرائم منكرة. وفشل الفرد في الوفاء بهذه الالتزامات قد يؤدي إلى خلعه والتبرؤ منه، ومن هنا نجد طائفة من الصعاليك تُسمى الخلعاء والشذاذ .

---

[1]- لسان العرب. ابن منظور. مادة صعلك.ص ص:2451-2452. وفي أساس البلاغة للزمخشري ، مادة صعل.ص:254

[2]- دراسات في الأدب العربي. إنعام الجندي . ط2. ص:12.

ومن الناحية الاجتماعية، نجد أن التركيبة القبلية تتشكل من ثلاث طبقات هي طبقة الأحرار الصرحاء من أبناء العمومة، وطبقة المستجيرين الذين دخلوا في القبيلة من قبائل أخرى، ثم طبقة العبيد من أبناء الإماء الحبشيات. والحقيقة أن مجموعة كبيرة من الصعاليك هم من أبناء هذه الطبقة المستلبة التي ثار الأقوياء من أفرادها لكرامتهم الشخصية مثل الشنفرى وتأبط شرًا وعمرو بن برَّاقة و السليك بن السلكة وعامر بن الأخنس وغيرهم. وكان يُطلق عليهم أغربة العرب أو الغِرْبان تشبيهًا لهم بالغراب لسواد بشرتهم .

أما العامل الاقتصادي، فيعزى إلى أنَّ حياة القبيلة في العصر الجاهلي كانت تقوم على النظام الإقطاعي الذي يستأثر فيه السادة بالثروة، في حين كان يعيش معظم أفراد الطبقات الأخرى مستخدَمين أو شبه مستخدمين. فظهر من بين الأحرار أنفسهم نفر رفضوا أن يستغل الإنسان أخاه الإنسان، وخرجوا على قبائلهم باختيارهم لينتصروا للضعفاء والمقهورين من الأقوياء المستغلين. ومن أشهر هؤلاء عُروة بن الورد الملقب بأبي الصعاليك أو عروة الصعاليك .

ويمثل الصعاليك من الناحية الفنية خروجًا جذريًا عن نمطية البنية الثلاثية للقصيدة العربية. فشعرهم معظمه مقطوعات قصيرة وليس قصائد كاملة. كما أنهم، في قصائدهم القليلة، قد استغنوا في الغالب عن الغزل الحسي وعن وصف الناقة. ويحل الحوار مع الزوجة حول حياة المغامرة محل النسيب التقليدي في بعض قصائدهم. و تمثل نظرتهم المتسامية إلى المرأة موقفًا يتخطى حسية العصر الجاهلي الذي يقف عند جمال الجسد ولا يتعداه إلى رؤية جمال المرأة في حنانها ونفسيتها وخُلقها .

وعلى الرغم من أن مقاصد شعر الصعاليك كلها في تصوير حياتهم وما يعتورها من الإغارة والثورة على الأغنياء وإباحة السرقة والنهب ومناصرة الفقراء، إلاّ أنه اهتم بقضايا فئة معينة من ذلك العصر، يرصد واقعها ويعبِّر عن همومها و ينقل ثورتها النفسية العارمة بسب ما انتابها من ظلم اجتماعي.

مضامين شعرهم:

شعر مقطوعات:

...تتفشى في شعر الصعاليك المقطوعات القصيرة التي يمكن أنْ نضع لكل واحدة منها عنواناً مستقلاً، وقد فطن إلى هذا يوسف خليف وأرجعه إلى » طبيعة حياتهم نفسها تلك الحياة القلقة المشغولة بالكفاح في سبيل العيش التي لا تكاد تفرغ للفن من حيث هو فن يفرغ صاحبه لتطويله وتجويده وإعادة النظر فيه كما يفعل الشعراء القبليون ... »كما« أنَّ حياة الصعاليك كانت حياة قلقة مضطربة، وأنهم جميعا كانوا يشعرون شعوراً عميقاً بأنها حياة قصيرة ...وهل نظن شاعراً هذه طبيعة حياته يستطيع أن يفرغ لفنه يطيله ويجوده ويعيد النظر فيه المرة بعد المرة ؟ أظن أنَّ الطبيعي أنَّ مثل هذه الحياة التي لا يكاد الشاعر يفرغ فيها لنفسه لا تنتج إلا لوناً من الفن السريع الذي يسجل فيه الشاعر ما يضطرب في نفسه من مقطوعات قصيرة موجزة، يسرع بعدها إلى كفاحه الذي لا ينظره ولا يمهله »[1] .

---

[1]- الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي. يوسف خليف ، ص 262.

وحدة الموضوع:

...يغلب على شعر الصعاليك، وهو مقطوعات في أغلبه، وحدة موضوع واحد، بحيث يستطيع الباحث» أن يضع لكل مقطوعة عنواناً خاصاً بها، دالاً على موضوعها، وهي ظاهرة لم تعرفها قصائد الشعر الجاهلي القبلي في مجموعه، تلك القصائد التي تبدأ عادة بمقدمة طللية، ثم تظل تنتقل من موضوع إلى موضوع حتى تصل إلى نهايتها « وقد تكون المقطوعة الشعرية تعبيراً عن موقف ما عاشه الشاعر، فالشنفرى قال لإحدى بنات القبيلة»[1] اغسلي رأسي يا أخيه، فأنكرت أن يكون أخاها ولطمته ... فقال:

أَلاَ لَيتَ شِعرِي والتَّلَهُفِ[2] ضَلَّـــــةٌ بما ضَرَبتْ كَفُّ الفَتَاةِ هَجينَهَا

ولو عَلِمَتْ قُعسُوسُ[3]أَنسابَ وَالِـدِي وَوَالِدِها ظَلَّتْ تَقَاصَرُ دُونَهَـــا

أَنا ابنُ خِيارِ الحُجْرِ بَيْتَاً وَمنصِبـــاً وَأَمِّي ابنةُ الأَحرارِ لو تَعرِفِينَهَا

التخلص من المقدمات الطللية:

...ومن الخصائص التي تميز بها شعر الصعاليك أنه يخلو من المقدمات الطللية، لأنَّ الشعر مادام شعر مقطوعات من ناحية، وشعراً يتسم بوحدة الموضوع من ناحية ثانية فإنه من الطبيعي أن يتخلص من المقدمات الطللية، ولا يعني هذا أنَّ الصعلوك لا يتعرض إلى ذكر المرأة، ولكنه كان يتعرض للومها وخوفها عليه، وغالبا ما تكون زوجة.

...إن بنية القصيدة الجاهلية القبلية تتكون في الغالب من وحدات متعددة، يكون الوقوف على الأطلال والتغزل بالحبيبة من بعض هذه المكونات، وتلحقهما مكونات أخرى، مثل وصف الرحلة مرة، أو وصف الفرس مرة، أو التعرض للسلم أو الحرب مرة، وهكذا، إذ من المؤكد أنَّ غالبية القصائد الجاهلية القبلية تتميز بتعدد الوحدات المكونة لها، ترى هل يمكننا القول إنَّ هذا التعدد في الوحدات الشعرية إنما هو صدى وصورة لتعدد طبقات البناء الاجتماعي في القبيلة، فإذا كانت القبيلة تتعدد طبقاتها : من أحرار، وموال، وعبيد، ماثلت ذلك القصيدة بتعدد وحداتها المكونة لها:

القبيلة: تعدد الطبقات: أحرار، وموالي، وعبيد

القصيدة: تعدد الوحدات الفنية: المقدمة الطللية، الغزل، وصف الرحلة، أو أشياء أخرى.

---

[1]- المرجع السابق ، ص 264.

[2]-لتلهف ضلة: أي التلهف على شيء ضلال، الهجين: العربي الذي امه أَمَةٌ.

[3]-عقسوس: اسم فتاة، ظلت تقاصر دونها: أي تقاصر عنقها أمامي

ولكننا حين ننتقل إلى مجتمع آخر هو مجتمع الصعاليك، نلاحظ أنه يتكون من طبقة اجتماعية واحدة، مما قاد إلى تحول بناء القصيدة تبعا لطبيعة الواقع الاجتماعي الجديد، فأصبحت القصيدة تتكون من وحدة فنية واحدة، لا تشتمل على وحدات متعددة، أي أنَّ هناك تماثلاً بين البناء الاجتماعي والبناء الفني.

من أشهر الصعاليك

-عروة بن الورد، اشهرهم على الإطلاق وكان سيداً لهم يلجأون له وقت الحاجة. مات عام596 م.

-السليك بن السلكة، من بني مقاعس، توفي نحو 605 م؟

-تأبط شراً .قدرت وفاته بين عامي 530 م و535 م.

-الشنفرى الأزدي، وهو ثابت بن أوس الأزدي، توفي نحو 525 م أي قبل الهجرة.

-الحارث بن ظالم المري، توفي نحو 600 م.

-قيس بن الحدادية من خزاعة، توفي قبيل الإسلام.

-حاجز بن عوف الأزدي، توفي قبيل الإسلام بفترة قصيرة.

-أبو منازل السعدي، وهو فرعان بن الأعرف من بني تميم، قيل توفي في خلافة عمر بن الخطاب.

-الخطيم بن نويرة، عاش في صدر الإسلام، وربما أدرك أوائل العصر الأموي.

-القتال الكلابي من بني عامر بن صعصعة، توفي نحو 66 هـ.

-فضالة بن شريك الأسدي ، توفي عام 64 هـ.

-صخر الغي من هذيل، توفي في صدر الإسلام.

-الأعلم الهذلي، وهو حبيب بن عبدالله الهذلي، وهو أخو الشاعر الصعلوك صخر الغي ، وقد عاش حتى عصر صدر الإسلام.

-حماد الراوية.

-الشنفرى الشاعر الصعلوك والعدّاء

يوجد اختلاف حول تسمية الشنفرى باسمه، فهناك من قال أن الشنفرى اسمه، لكن الاتفاق الأكبر كان حول أن الشنفرى لقبٌ له، واسمه الحقيقي ثابت بن أواس بن الحجر بن الهنء بن الأزد.

وإنما لُقِّب بالشنفرى لعظم وغلظ شفتاه، وكان الشنفرى من أعدى عدّائي العرب وأسرعهم في الجري، حتى أصبح يضرب به المثل ويقال: "أعدى من الشنفرى."

أسره بني سلامان صغيراً، واستعبدوه عندهم، ولما كبر أدرك حقيقة أصله وأنه من حجر وتوعد أن يقتل منهم الكثيرين، وهو ما فعله وشكل مع صعاليك آخرين كالتأبط شراً والسليك بن سلكة مجموعة كانت تغزو وتنهب وتسلب.

حتى كانت نهايته على يد بني سلامان.

الشنفرى ولاميته: هو ثابت بن أوس بن الحجر الأزدي، توفي عام 70 قبل الهجرة (525م)، وهو صعلوك جاهلي مشهور من قبيلة الأزد اليمنية، ويعني اسمه) غليظ الشفاه(، ويدل على أن دماء حبشية كانت تجري فيه. نشأ في قبيلة" فهم "بعد أن تحولت إليها أمه بعد أن قتلت الأزد والده، ويرجح أنه خص بغزواته بني سلامان الأزديين ثأراً لوالده وانتقاما منهم، وكان الشنفرى سريع العدو لا تدركه الخيل حتى قيل" :أعدى من الشنفرى"، وكان يغير على أعدائه من بني سلامان برفقة صعلوك فتّاك هو تأبط شراً وهو الذي علمه الصعلكة، وقد عاش الشنفرى في البراري والجبال وحيداً حتى ظفر به أعداؤه فقتلوه قبل 70 عاما من الهجرة النبوية[1] .

ولا ريب أن العوامل البيئية والاجتماعية قد أثرت على الشنفرى وبدا ذلك واضحا في شعره فضلا عن لاميته، تلك القصيدة التي تبدو فيها ملامح الصعلكة من ثورة على الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية التي كانت في بيئته آنذاك، والغربة التي يشعر بها كل صعلوك عاش في بيئته، كما نجد فيها مفاخرته بنفسه وبأخلاقه وشجاعته.

"ومن خلال الروايات عن شخصية الشنفرى وظروفه نرى فيه شخصية فذة في عدة نواح، في قوة الإرادة إلى درجة غير مألوفة، ومن أمثلة ذلك تصميمه على قتل مائة رجل من بني سلامان وإنفاذ عزمه، وفي قوة تركيبه الجسمي ومن أمثلة ذلك أنه كان يسبق الخيل في عدوه، وفي قوة عقليته وعمق تفكيره ومن أمثلة ذلك أنه كما كانوا يصفونه كان يضرب به المثل في الحذق والدهاء، وقد شاءت الظروف لهذه المواهب أن تعيش في أسوأ ظروف اجتماعية، أبرزها أنه مجرد أسير ذليل لا يملك حتى حريته، بل ازدادت الظروف قسوة عليه حين تعرض لحوادث اضطهاد وإذلال من بني سلامان حين تطلعت نفسه إلى الارتباط بإحدى فتياتهم، فاتجه إلى الصعلكة حتى كان من أبرز الصعاليك وأشهرهم على الإطلاق، صابا سخطه ونقمته على كل الناس ممثلين في بني سلامان. وخلال وحدته وتشرده في الصعلكة قال هذه اللامية، وهي ثمانية وستون بيتا، فجاءت القصيدة مطابقة كل المطابقة لشخصيته بما فيها من مقومات، وعقليته بما فيها من عمق ونضوج، وظروفه بما فيها من قسوة وجفاف، حتى كانت القصيدة مرآة صقيلة نرى فيها الشنفرى وحياته بوضوح[2] ومطلعها:

أَقِيمُوا بَنِي أُمِّي صُدُورَ مَطِيِّكُـــمْ فَإِنِّي إلى قَوْمٍ سِوَاكُمْ لَأَمْيَلُ
فَقَدْ حُمَّتِ الحَاجَاتُ وَاللَّيْلُ مُقْمِرٌ وَشُدَّتْ لِطِيّاتٍ مَطَايَا وَأَرْحُلُ
وفي الأَرْضِ مَنْأَى لِلْكَرِيمِ عَنِ الأَذَى وَفِيهَا لِمَنْ خَافَ القِلَى مُتَعَزَّلُ

---

[1]- ديوان الشنفرى، جمع وتحقيق: الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي بيروت،1966. ص ص 15، 16.

[2]- شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، عبد الحليم حنفي.ص:65.

لَعَمْرُكَ ما بالأرض ضيقٌ على أمرئٍ سَرَى راغباً أو راهباً، وهو يعقلُ
ولي، دونكم، أهلونَ: سِيْدٌ عَمَلَّسٌ وأرقطُ زُهلول وَعَرفاءُ جيـــــألُ
وكلٌّ أبيٌّ، باسلٌ... غير أننـــــــي إذا عرضت أولى الطرائدِ أبسلُ
وإن مدتْ الأيدي إلى الزاد لم أكن بأعجلهم، إذ أجْشَعُ القومِ أعجل
وما ذاك إلا بَسْطَةٌ عن تفضـــلٍ عَلَيهِم وكان الأفضلَ المتفضّلُ[1]

وتقع في ثمانية وستين بيتاً، وتأتي شهرة هذه القصيدة من المعاني التي تضمنتها، فكثير منها مما يفخر به العربي، لأنها حملت معظم القيم والأخلاق الحميدة التي يحبّ العربي أن يتجمّل بها وأن تُذكر على أنها من صفاته، كما أنها «تصور تصويراً حياً حياة الصعلوك الجاهلي وروحه البدوية الوحشية»، وتُعَدّ أحد المتون اللغوية المهمة.

ويزعم بعض الرواة والباحثين أن هذه القصيدة ليست للشنفرى، وإنما نظمها خلف الأحمر، ونسبها إليه، واستدلوا على ذلك ببعض الآراء التي لا ترتقي إلى درجة القطع واليقين، مما يُبقي على نسبتها إلى الشنفرى .وقد حظيت هذه القصيدة باهتمام الرواة والعلماء قديماً وحديثاً، واستشهدوا بكثير من أبياتها في كتب اللغة والأدب، واختاروا أبياتاً منها في بعض المجاميع الشعرية وكتُب الاختيارات، كما أنهم أفردوا شروحاً مستقلة لها زادت على خمسة عشر شرحاً، وممن شرح هذه

القصيدة :المبرّد) ت285.هـ(، وثعلب) ت291 .هـ(، وابن

دريد) ت321 هـ(، والتبريزي) ت502 .هـ(، والزمخْشري) ت538 .هـ(، والعُكبَري) ت616 .هـ(، وابن زاكور المغربي) ت1121 .هـ .(وقد طبع عدد من هذه الشروح، منها: «أعجب العجب في شرح لامية العرب» للزمخشري، وشرح «لامية العرب» للعكبري، و«نهاية الأرب في شرح لامية العرب «لعطاء الله بن أحمد المصري الأزهري) ت بعد 1188هـ)، و«تفريج الكُرب عن قلوب أهل الأدب في معرفة لامية العرب» لابن زاكور.

»وتناولها المستشرقون فدرسها بتوسع گيورگ ياكوب Georg Jakob ونُشرت دراسته في ميونخ سنة1915–1914 ، كما طُبع نص اللامية فيهانوڤر سنة1923 ، إضافة إلى دراسة دي ساسي de Sacy ودراسة المستشرق الألماني نولدِكه Nöldeke لها... كما ترجمت إلى لغات عدةكالبولندية والألمانية والفرنسية والإنگليزية ».

---

[1]–ديوان الشنفرى، جمع وتحقيق: الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي بيروت،1966.

تبدأ القصيدة بالحديث عن نيّة الشاعر الارتحال عن قومه الذين لم تعجبه حياتهم، ليلتحق بالوحوش التي يرى أن الحياة بينها أفضل، ثم يتحدث عن بعض أخلاقه فيقول:

وإن مدتْ الأيدي إلى الزاد لم أكن بأعجلهم، إذ أجْشَعُ القومِ أعجل

ويتحدث عن عُدّته التي أغنته عن قومه، وهي قلبه الشديد وسيفه وقوسه، ويستمر في تعداد صفاته وأخلاقه وقوته ورباطة جأشه ومن ذلك يقول:

أُديمُ مِطَالَ الجُوعِ حتّى أُمِيتَـــهُ وأضْرِبُ عَنْهُ الذِّكْرَ صَفْحاً فأُذْهَلُ
وَأَسْتَفُّ تُرْبَ الأَرْضِ كَيْلا يُرَى لَهُ عَلَيَّ مِنَ الطَّوْلِ امْرُؤٌ مُتَطَوِّلُ

ومن أبياتها:

وفي الأرض مَنْأىً، للكريم، عن الأذى وفيها، لمن خاف القِلى، مُتعزَّلُ

ويلحظ الدارس أن لغة الشنفرى في هذه القصيدة تنتمي برمتها إلى محيطه البدوي بحيوانه وصحرائه، ولذا كثرت فيه الألفاظ الغريبة، كقوله:

دَعَسْتُ على غَطْشٍ وَبَغْشٍ وَصُحْبَتي سُعَارٌ وإرْزِيزٌ وَوَجْرٌ وَأفْكَلُ

أخيراً ...كان للشعراء الصعاليك مذهبهم في الحياة القائم على الإغارة والسلب من الأغنياء، إما لتحقيق غاياتٍ شخصية والانتقام لما تعرّضوا له من ظلم اجتماعي حال الشنفرى وصحبه.
وإما لغايات نبيلة تتمثل بمساعدة الفقراء حال عروة بن الورد، وعلى اختلاف الغايات كان لشعرهم طابعه المختلف عن شعر البادية بصورة عامة، فشكلوا جانباً أدبياً جديداً لا يمكن إنكاره والتقليل من أهميته في الأدب العربي.

المحاضرة 04: الشعر في صدر الإسلام- شعر الفتوحات-.

جاء الاسلام ونزل القرآن الكريم ببيانه المعجز وأسلوبه الشيق وبلاغته الرصينة التي ا بهرت عقول وقلوب اهل الفصاحة من العرب فاحتل المكانة الأولي في نفوس العرب المسلمين .

فشعر صدر الاسلام ينحصر ما بين حكم النبي محمد صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين وما بين العصر الاموي ا ومن مبعث النبي محمد صلى الله وسلم الى خلافة بني امية ويعرف هذا العصر (عصر صدر الاسلام) وأدب تلك الفترة هو أدب صدر الإسلام بقسميه الشعري والنثري .

ولو امعنا النظر في الثقافة العربية قبل الإسلام نلاحظ أن الشعر مسيطر او له الكلمة الطولى على جل الحياة الثقافية . ومما لاشك فيه أن الشعر العربي كان السجل الحافل للحياة العربية في جزيرة العرب . ثم ظهر الإسلام وانتشر في هذه الجزيرة وما حولها فاصطدم العرب برسالة جديدة وثقافة لم يألفوها وبكتاب بليغ لم يستطيعوا مجاراته أو الايتاء بآية من آياته او قول مثل قوله اسلوبا وبلاغة وبيانا و تحداهم علانية

قضية الإسلام والشعر : يعرف العصر ما بين حكم الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين وعصر بني أمية بـ(عصر صدر الإسلام) وأدب تلك الحقبة هو أدب صدر الإسلام بقسميه الشعر والنثر.

عند النظر إلى ثقافة الجزيرة العربية والعربي قبل الإسلام، تجد أن الشعر هو المسيطر على أغلبية الحياة الثقافية؛ ومما لاشك فيه أن الشعر كان بمثابة السجل الذي تدون فيه الحياة العربية. ثم ظهر الإسلام وانتشر في الجزيرة العربية ، فاصطدم العرب برسالة جديدة لم يألفوها وبكتاب بليغ لم يستطيعوا مجاراته، فخرست الألسنة وتراجعت مكانة الشعر والشعراء. بعد دخول الشعراء الإسلام حاول هؤلاء الشعراء محاكاة الدين الإسلامي شعرًا، إلا أنهم قد تسربلوا بعباءة الجاهلية، فخرج الشعر في معظمه جاهلياً بناءً، وإن استمد المعاني الإسلامية والمرادافات.

☑قال الله تعالى: ﴿ **وَالشُّعَرَاء يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ(224) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (225)وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ(226)إِلَّا الذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَالِحَاتِ وَذَكَرُواْ اللهَ كَثِيرًا وانْتَصَرُواْ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ وَسَيَعْلَمُ الذِينَ ظَلَمُواْ أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ**(227) ﴾ .

(1) قال الرسول ﷺ :﴿**إنَّ من الشعر حكمة** ﴾

- "أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد **(ألا كل شيء ما خلا الله باطل)**"
- قال النبي ﷺ لحسان "**اهْجُهُمْ أَوْ هَاجِهِمْ وَجِبْرِيلُ مَعَكَ** "
- باب ما يكره أن يكون الغالب على الإنسان الشعر حتى يصده عن ذكر الله والعلم والقرآن :

*عن ابن عمر عن النبي ﷺ﴿ **لأن يمتليء جوف أحدكم قيحاً خير له من أن يمتليء شعراً**﴾ (2) .

---

[1]- سورة الشعراء.الآيات: 224 إلى227

[2]- البخاري . صحيح البخاري . تحقيق: طه عبد الرؤوف، الدار الذهبية . من ص 1261 إلى ص 1263.

ظن كثير من الناس قديما أن المقصود بالآية الكريمة ذم الشعراء المشركين الذين كانوا يهجون النبي فقط.[1] ومما زاد في ذلك الاعتقاد الاستثناء بقوله تعالى﴿ **إِلَّا الذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَالِحَاتِ وَذَكَرُواْ اللهَ كَثِيرًا وانْتَصَرُواْ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ** ﴾ [2] إلا أن المقصود في الآية الكريمة طريقة الشعراء ، ليس الشعراء أنفسهم ، فجاء ذكر أنهم يتبعهم الفاسدون ، لأنهم يقولون ما لا يفعلون من هجاء للناس أو مدح الزيف أو وصف للخمر أو غيرها من الأغراض التي تعارض دعوة الإسلام ، خاصة الهجاء الفاحش الذي كان يهجوه كفار قريش للنبي ﷺ وتشكيكهم في دعوته ورسالته .

- ذكر القرآن الصفات التي يقبلها من الناس عامة ومن الشعراء خاصة وهي : الإيمان بالله قولا وعملا ، لا يشغلهم الشعر عن ذكر الله وقراءة القرآن وفهم السنة ، ثم إنهم بهذا الشعر لا يبغون ؛ بل يدافعون عن الله ورسوله وعن أنفسهم ليردوا ظلم الناس لهم بالحق .

الأدلة التي جاءت من السنة النبوية جاءت لتساند وتعضد النص القرآني ففي قول النبي ﷺ (إن من الشعر لحكمة)، وإعجابه بشعر لبيد، وحثه لحسان بن ثابت على الرد عنه وهجاء قريش؛ كلها تؤكد ضرورة (أسلمة الشعر) أي جعل الشعر يخرج من مصنع الإسلام بخامات إسلامية ليعبرعن قيم الإسلام وتعاليمه.

أما تحذير الإسلام من أن يكون ما يغلب على الإنسان الشعر هو شيء طبيعي، بعد أن تصدر القرآن الكريم والسنة النبوية الاهتمام الغالب للإنسان المسلم ، فكان غلبة الشعر على الفرد حتى ينسيه ذكر الله هو عودة للجاهلية بأخلاقها المذمومة وعاداتها التي أعلن الإسلام الحرب عليها " فذلك أن الصدي القوي الذي رنَّ في أسماع العالمين بكنة الرسالة الجديدة وفلسفتها ، كان جديرا بأن يوقف أساليب القول والتفكير إلا في هذه الرسالة نفسها "[3] .

ومما يزيد من صحة القول أن البخاري نفسه وضع عنوان الباب عن كراهة أن يكون الغالب على الإنسان الشعر حتى يصده عن ذكر الله.

لقد فهم الصحابة ذلك فهما جيدا ؛ فلقد حرص الخلفاء الراشدون على تعليم الناس القرآن فهو خير من الشعر ، ومع ذلك لم يهملوا الشعر [4]. ذكروا أن غالبا أبا الفرزدق الشاعر جاء بابنه وهو غلام إلى علي بالبصرة، وقال له: " إن ابني هذا من شعراء مضر فاسمع له " فأجابه علي: "علمه القرآن"[5]

---

[1] تاريخ الأدب العربي(العصر الإسلامي) . شوقي ضيف . ط12. دار المعارف . ص 44.

[2] سورة الشعراء. الآية: 227.

[3] الأدب في موكب الحضارة الإسلامية كتاب الشعر. مصطفى الشكعة، دار الكتاب اللبناني، بيروت. ص:91.

[4] "تاريخ آداب اللغة العربية" المجلد الأول. جرجي زيدان ، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ص: 191

[5] البداية والنهاية، ج9. ابن كثير، تحقيق: أحمد عبد الوهاب فتيح، دار الحديث، القاهرة، ص:271.

على أنه قد ازدادت الحاجة إلى الشعر لما عمدوا إلى تفسير القرآن لمعرفة غريب الألفاظ أو بعض المعاني قال الخلفاء الشعر ، فقد روي لأبي بكر قصيدة حماسية ، وروي لعمر أبيات في الحكمة ، وكذلك لعثمان؛ أما علي فالمروي من شعره كثير بعضه قاله في صفين؛ وكان الخلفاء يمنعون الشعراء من هجوم وهجو الإسلام والمسلمين وأشدهم الفاروق عمر، فقد أخذ عهدا على الحطيئة ألا يهجو رجلا مسلما [1] .

وهكذا قام الإسلام ورجاله بمنع الشعر البذيء الذي لايتفق مع الإسلام أو انشغال الفرد المسلم بالشعر عن أمور دينه .

القول بضعف الشعر :

1. "نعترف بأن الشعر قد خبت جذوته وتوارت بلاغته في إبان البعثة النبوية وخلالها . لقد توراى الشعر وتحامى إنشاده بالشكل الذي تعودوا أن ينشئوه وينشدوه قبل البعثة المحمدية بقليل " [2]
2. " ومضى كثيرون ينظمون في هذا العصر لامع الأحداث ، بل مع أنفسهم وقبائلهم مستضيئين إلى حد كبير بالإسلام وهديه الكريم ، فالشعر لم يتوقف ، ولم يتخلف في هذا العصر ... ومن يرجع إلى كل هذه المصادر يستقر في نفسه أن الشعر ظل مزدهرا في صدر الإسلام " [3] .

يعد الرأيان البارزان في قيمة الشعر من حيث القوة والضعف في عصر صدر الإسلام :

- رأي يقول بضعف الشعر وأول من أثاره ابن سلَّام في كتابه "طبقات فحول الشعراء": "فجاء الإسلام وتشاغلت عن الشعر العرب، وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم، ولهت عن الشعر وروايته فلما كثر الإسلام، وجاءت الفتوح .و أطمأنت العرب بالأمصار راجعوا رواية الشعر ، فلم يؤولوا إلى ديوان مدون ولا كتاب مكتوب ، وألفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل ، فحفظوا أقل ذلك وذهب عليهم منه كثير "[4] ؛ ونقد ابن سلَّام لشعر حسان بن ثابت في الجاهلية والإسلام وسقوط شعر حسان – من وجهة نظر ابن سلَّام – في الإسلام، وتابعه في ذلك ابن خلدون وغيره إلى العصر الحديث ومنهم أحمد الزيات ومصطفى الشكعة وغيرهم.

* أما الرأي الثاني الذي يمثله شوقي ضيف فيرى أن الشعر ازدهر ويؤكد رأيه بالعديد من النماذج التي تزخر بها كتب الأدب وكثرة عدد الشعراء في تلك الفترة، ومواكبتهم للدعوة الإسلامية.

---

[1] – الأدب في موكب الحضارة الإسلامية كتاب الشعر. مصطفى الشكعة. ص:91.

[2] – المصدر نفسه ص:91.

[3] – تاريخ الأدب العربي(العصر الإسلامي) . شوقي ضيف. ص ص 42–43.

[4] – طبقات فحول الشعراء. محمد بن سلَّام الجمحي. تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة ص: 25.

*–أرى أنه احقاقا للحق وطبقا لما سبق من أن الشعر عامة قد ضعف وأن غالبية الأغراض قد قلت إن لم تكن ندرت، عدا بعض الأغراض التي أملتها ظروف الدولة في ذلك العصر كشعر الفتوح وشعر التهاجي بين المسلمين والمشركين وشعر الدفاع عن الرسول. وكان من أهم أسباب ذلك الضعف عدم سهولة التكيف على تعاليم الإسلام الجديدة سلوكا، فما بالنا بصياغة ذلك شعرا . لقد ظل الشعراء ينتهجون الأسلوب الجاهلي صورا وأخيلة عدا إدخال بعض الألفاظ للمرادفات الإسلامية في بداية عهد الرسول، فبجير بن زهير وإن كان أسلم عقيدة وأعمق إيمانا إلا أنه يقول شعرا ممزوجا بين أسلوب الجاهلية والمعاني الإسلامية :[1]

إلى الله – لا إلى العزى ولا اللات – وخذه فتنجوه إذا كان النجاء وتسلمُ

لـدى يـــوم لا ينجـــو وليـــس بمفلـــت من النار إلا طاهر القلب مسلمُ

وهناك الحطيئة الذي التزم بمدرسة الجاهلية أسلوبا ومنهجا ، فهو التزم منهج الهجاء حتى لقد هجا أمه وامرأته وبنيه حتى نفسه. وبتصور المحاولات والزمن أصبح " الشعر مكتسيا ثوب الإيمان ملتزما المعاني الإسلامية ... جانحا إلى أسلوب الشعر الجاهلي "[2] وهذا ليس عيبا في الشعراء وإنما هم كانوا يحاولون صياغة الأشعار على النمط الإسلامي إلى أقصى درجة ممكنة ؛ ولكن لصغرة مدة الرسالة المحمدية ، بالإضافة إلى عدم إسلام الشعراء جميعهم وقت بداية الرسالة كان من أهم الأسباب التي أدت إلى بطيء تطور الشعر في ذلك العصر .

فكعب بن زهير أسلم في بداية الأمر تخوفا من القتل، ولذلك نرى في لاميته المشهورة المدح الجاهلي والقصيدة كلها بدءا من البداية الغزلية إلى النهاية جاهلية الأسلوب، فأكثر أبياتها مجرد مدح لا يكاد يرتفع إلى مقام الممدوح وهو سيد الرسل ؛ وكأن الممدوح هو محمد القرشي لا محمدا الرسول [3]:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبولُ متيم أثرها لم يفد مكبولُ

(4)

إن الرسول لنور يستضاء به مهند من سيوف الله مسلولُ

في عصبة من قريش قال قائلهم ببطن مكة لما أسلموا زولوا

زالوا فما زال أنكاس ولا كشف عند اللقاء ولا ميل معازيلُ

---

[1]– الأدب في موكب الحضارة الإسلامية كتاب الشعر. مصطفى الشكعة. ص:98.

[2]– المصدر نفسه. ص:98.

[3]– المصدر نفسه. ص:100.

[4]– شرح ديوان كعب بن زهير. الحسن السكري نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة 1369 هـ 1950 م من ص 6 إلى ص 25 .

وكذلك حسان بن ثابت وكعب بن مالك حين يهجوان المشركين يتبعان الأسلوب الجاهلي من حيث ذكر الأحساب والأنساب والأيام وغيرها . يقول حسان[1]:

هجوت محمدا فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاءُ

أتهجوه ولست له بكفء فشركما لخيركما الفداءُ

فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمدٍ منكم وقاءُ

"ومن المؤكد أن حسانا وكعبا كانا يرميان قريشا عن بصيرة حين غلبت على هجائهما صورة الهجاء القديمة، لأنها هي التي كانت تؤذي نفوس القرشيين المكيين، ولو أنهما رمياهم بالشرك وعبادة الأوثان لما نالا منهم ، إذ كانت تلك عقيدتهم وكانوا يعتزون بها ، ومن ثم اتجه حسان وكعب هذة الوجهة ، فطعنا في الأحساب والأنساب ، وعيَّرا ساداتهم وفرسانهم بالفرار من الحرب، وتوعداهم بالبلاء المستطير ؛ وطبيعي لذلك أن لا نجد عندهما تأثرا واضحا بمثالية القرآن الكريم في ذم المشركين إذ نراه – أي القرآن – خاليا من الشتم والسباب والطعن في الأعراض والأحساب ، وأيضا فإنه لا يتعود المشركين بحرب مبيرة تأتي على الشيب والشبان ؛ إنما يتوعدهم بالنار ، ومع ذلك يفتح الأبواب واسعة لرحمة الله وغفرانه وتوبته على المشركين الذين يثوبون إلى عقولهم ويدخلون في دينه الحنيف "و[2] أيما كان فقد كان من الطبيعي أن يضعف الشعر الذي أحس بضآءلته أمام أسلوب القرآن المعجز فلقد "توارى الشعر خجلا وآثر الانزواء حياء أمام دوِّي الدعوة الجديدة " [3] .

- وكان من غير الممكن أن يظل الشعر قويا مزدهرا مع إنتشار الإسلام وتعاليمه ، إذ كان لابد من أن يتعارضا، فالعربي عقد موازنة بين الشعر القديم وقيَّمه وأفكاره وبين الإسلام وتعاليمه وقواعده وأركانه ، وكان التفوق في ذلك الوقت للإسلام وقيَّمه وأفكاره ، خاصة وأن الشعر كان يعارض – في أغلب موضوعاته – قيم الإسلام وموضوعاته من تعرض للأنساب ، وإثارة للحقد والضغائن ، ووصف الخمر ... وغيرها . " فلبيد بن ربيعة قد أدرك الإسلام وهوكبير السن ، قد استوت له ملكاته واستوي له اتجاهه الفني ... وشغل بالقرآن فاختلف تأثره بالإسلام عن تأثر غيره من الشعراء فإذا هو يحرِّم على نفسه الشعر ويجتزيء بالقرآن الكريم عنه "[4] .

---

[1]- ديوان حسان بن ثابت الأنصاري. حسان بن ثابت، شرح : يوسف عيد، دار الجبل، بيروت، لبنان ص:58.

[2]- تاريخ الأدب العربي(العصر الإسلامي) . شوقي ضيف. ص:50

[3]- الأدب في موكب الحضارة الإسلامية كتاب الشعر. مصطفى الشكعة. ص:92.

[4]- من تاريخ الأدب العربي ، العصر الجاهلي والعصر الإسلامي.طه حسين، دار العلم للملايين بيروت. ص:465.

وغيره من العرب وليس بقولنا بضعف الشعر اتهام للإسلام بأنه السبب ؛ بل السبب الشعر في حد ذاته – بمعني أدق طبيعة موضوعات الشعر – والشعراء أنفسهم واختلاف الفترتين : العصر الجاهلي والعصر الإسلامي .

أثر الإسلام في الشعر. تَمَثَّل أول أثر للإسلام في الشعر في تلك المعاني الإسلامية الجليلة التي حملها الشعر الإسلامي، فصارت قيمًا راسخة في العقيدة والأدب الإسلامي .كما كان للإسلام أثره في توجيه أهداف الشعر، إذ لم يَعُد هدف الشاعر المسلم التفوق والتميز، أو دعم القيم القبلية، أو .التكسُّب وإراقة ماء الوجه .بل صار هدفه، الدِّفاع عن العقيدة والقرآن والنبي

لم يقتصر الشعر على عصر النبوة وحدها، بل تجاوزه إلى عصر الخلافة الراشدة، وكان له دوره في الأحداث الكبرى خلال هذا العصر، كحروب الردّة في خلافة أبي بكر الصديق، وفتوحات عمر وحُسْن بلائه، وأحداث الفتنة الكبرى بين معاوية وعلي بن أبي طالب، رضي الله عنهما، وأشياع كل منهما.

وتردَّدت خلل عصر الخلافة الراشدة أسماء شعراء من أمثال :المخبَّل السَّعْدي، والنابغة الجَعْدي، وأبي الأسود الدُّؤلي، وخُزيمة الأسَدِي، وغيرهم.

ليس ثمة شك يقتضي التدليل والبرهان على أن الإسلام قد خلق قيمًا جديدة في حياة العرب، وأن هذه القيم قد امتد أثرها إلى كافة مجالات الحياة العربية ومظاهرها، بما في ذلك الشعر الذي طبع بطوابع إسلامية جلة في شكله ومضمونه.

فقد أدت ظروف الفتح المادية والنفسية إلى إحداث تغيير في شكل الشعر الذي صدر في الفتوح. فاختفت المقدمات الغزلية والطللية، وانكمشت القصائد فصارت مقطعات قصيرة، فضاقت من ثم عن استيعاب أكثر من غرض واحد من أغراض الشعر؛ لتكون متفقة مع قصر النفس الشعري؛ بسبب اهتمامات القتال، ولتطير على ألسنة الشعراء العاديين الذين راحوا يودعون الأبيات القصيرة من القصيد والرجز مشاعرهم، ويتخذونها أداة سريعة للتعبير عن ذوات أنفسهم، وحمل ما بنفوسهم من أحاسيس.

الشعراء المخضرمون ودورهم في شعر صدر الإسلام:

الخضرمة قيل هذا المعنى لكل من أدرك الجاهلية والإسلام: مخضرم، لأنه أدرك الخضرمتين: خضرمة الجاهلية وخضرمة الإسلام . ورجل مخضرم : لم يختتن . ورجل مخضرم إذا كان نصف عمره في الجاهلية ونصفه في الإسلام . وشاعر مخضرم : أدرك الجاهلية والإسلام مثل لبيد وغيره ممن أدركهما. [1] فهم الذين واجهوا الإسلام وحياة جديدة بعد أن عاشوا في الجاهلية وتأثروا بها، فالخضرمة

---

[1]–لسان العرب. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، دار صادر،ج12،2003م ، مادة (خضرم).

الشيئين المختلفين وهم مخضرمون لأنهم عاصروا وعاشوا في عصريين مختلفين؛ ومن المحقق أن الإسلام قد أثَّر فيهم، في عقيدتهم، وفي حياتهم، ولكن إلى أي مدى [1].

- "من يقرأ أشعار المخضرمين متصفحا ما نثر في كتب التاريخ والأدب يجد جمهور الشعراء يصدَّرون في جوانب من أشعارهم عن قيم الإسلام الروحية التي آمنوا بها وخالطت شغاف قلوبهم؛ ولشعراء المدينة القدح المعلى في هذا الميدان ، فهم الذين وقفوا مع الرسول – ص– منذ نزوله بين ظهرانيهم ينافحون عنه ويدافعون عن دعوته مصورين لهديه الكريم ، يتقدمهم حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة ، وكان عبد الله خاصة دائم الاستمداد من القرآن ..." [2] ومن هؤلاء:

حسان بن ثابت: حسان بن ثابت بن المنذر من الخزرج . [3]يقال أنه عاش في الجاهلية ستين سنة وفي الإسلام ستين أخرى؛ تردد حسان قبل الإسلام على بلاط الغساسنة ، وكان لسان قومه في الحروب التي نشبت بينهم وبين الأوس في الجاهلية، ومن ثمَّ اصطدم بالشاعرين الأوسين: قيس بن الخطيم ، وأبى قيس بن الأسْلت. [4]

- كان حسان شديد العصبية لقومه، فلا يكاد يتعرض لهم أحد بسوء حتى ينبري للذياد عنهم بشعره، فيشيد بمناقبهم ويهجو أعداءهم، وهذه العصبية تفسر لنا غلبة الهجاء والفخر على شعره الجاهلي. وقد بلغ أنه طلَّق زوجته "عمره" الأوسية لأنها عيَّرته بأخواله.

كان يختلف إلى مجالس الشرب واللهو، ليعاقر الخمر ويستمع إلى غناء القيان، وكان شديد الولع بالخمرة، يتلف ماله في طلبها ولولاها لكان خليقا بأن يكون ذا مال وثراء[5]:

تقول شعثاء لو تفيق من الكـــــأ س لألفيت مثري العـــــددِ

أهوى حديث الندمان في فلق الص بح وصوت المسامرِ المغردِ

حسان في الإسلام عندما يدخل حسان الإسلام بعد هجرة الرسول – ص – حتى إذا أخذ شعراء قريش في هجاء الرسول – ص– وصحبه من المسلمين أنبرى لهم بلاذع هجائه ، وكان رسول الله ﷺ يحثُّه على ذلك ويدعو له بمثل اللهم أيَّده بروح القدس، واستمع إلى بعض هجائه لهم فقال: "لهذا أشد عليهم من وقع النبل" كما سبق أن ذكرنا في الأدلة، وكان أيضا لم يكن يهجوهم بالكفر إنما كان يهجوهم بالإيام التي هُزِمُوا فيها ويعيِّرهم بالمثالب والأنساب.

---

[1]– من تاريخ الأدب العربي ، العصر الجاهلي والعصر الإسلامي.طه حسين. ص:465.

[2]– تاريخ الأدب العربي(العصر الإسلامي) . شوقي ضيف. ص:68.

[3]– حسان بن ثابت، حياته وشعره، إحسان النص، دار الفكر الحديث، لبنان، ص: 34 .

[4]– تاريخ الأدب العربي(العصر الإسلامي) . شوقي ضيف. ص:77.

[5]– حسان بن ثابت، حياته وشعره، إحسان النص. ص: 34 .

سمي حسان شاعر الإسلام ورسوله الكريم، فقد عاش يدافع عن الرسول ﷺ والمسلمين، فهو حين يرد على شاعر وفد بني تميم الزبرقان بن بدر يقول[1] :

إنّ الذوائبَ منْ فهرٍ وإخوتهمْ قدْ بينوا سنةً للناسِ تتبعُ
يَرْضَى بهَا كُلُّ مَن كانَتْ سرِيرَتُهُ تقوى الإلهِ وبالأمرِ الذي شرعوا
قومٌ إذا حاربوا ضروا عدوهمُ، أوْ حاوَلُوا النّفْعَ في أشياعِهِمْ نَفعوا
سجيةٌ تلكَ منهمْ غيرُ محدثةٍ ، إنّ الخلائِقَ، فاعلَمْ، شرُّها البِدَعُ

*****

أعِفّةٌ ذُكِرَتْ في الوَحيِ عِفّتُهُمْ لا يَطْمَعونَ، ولا يُرْديهمُ الطّمَعُ
كم من صديقٍ لهمْ نالوا كرامتهُ ومِنْ عَدُوٍّ عَليهمُ جاهدٍ جدعوا
أعطوا نبيَّ الهدى والبرّ طاعتهمْ فمَا وَنَى نَصْرُهُمْ عنْهُ وَما نَزَعُوا
إن قالَ سيروا أجدوا السيرَ جهدهمُ، أوْ قالَ عوجوا عَلَيْنَا ساعةً ، رَبَعُوا[2]

<u>منزلته الشعرية</u>: أتفق الرواة والنقاد على أنه أشعر أهل المدر في عصره وأنه أشعر اليمن قاطبة، وقد خلَّف ديوانا ضخما رواه ابن حبيب، غير أن كثيرا من الشعر المصنوع دخله؛ أما الباحثون المحدثون فقد اختلفت أحكامهم على حسان فبروكلمان يرى فضل انتشاره إلى غرضه النبيل وهوالمنافحة عن الرسول وأن شعره يدنو من حد الإبتذال. [3] .

<u>كعب بن زهير</u>: أبوه زهير بن أبي سلمى من فحول الشعراء في الجاهلية، وهما من قبيلة مزينة. وقد تلقن الشعر عن أبيه، ومعروف أن كعبا وبجيرا أخاه والحطيئة أدركوا الإسلام ، وكان أسبقهم إلى الدخول فيه بجير؛ وقد هجاه أخوه كعبا حينئذ هجاء شديدا تأذى منه رسول الله[4] :

ألا أبلغا عني بُجيراً رسالةً فهل لك فيما قلتَ بالخيفِ هل لكا
شربتَ مع المأمونِ كأساً رويةً فانهلك المأمونُ منهـــا وعلَّكـــا
وخالفت أسبابَ الهدى وتبعتهُ على أيِّ شيءٍ وَيْبَ غَيْرِك دَلَّكَـا
على خلقٍ لم تلفِ أمًّا ولا أباً عليه ولم تدرك عليه اخاً لكـــا

---

[1]- تاريخ الأدب العربي(العصر الإسلامي) . شوقي ضيف. ص:79.

[2]- الموسوعة العالمية للشعر العربي، ديوان حسان بن ثابت .

[3]- تاريخ آداب الشعوب العربية ،ج1. كارل بروكلمان. ص: 210

[4]- تاريخ الأدب العربي(العصر الإسلامي) . شوقي ضيف. ص:84.

كانت قريش تسمي النبي ﷺ الأمين والمأمون[1] .

وما زال كعب على وثنيته، إلى فتح مكة فيسلم بعد أن أهدر النبي ﷺ دمه ، ويستشفع لنفسه عند النبي ﷺ بلاميته المشهورة (بانت سعاد) ، فكساه النبي ﷺبُردة؛ اشتراها معاوية من ابنائه بعد ذلك بعشرين ألف درهم. ويستهلها – أي القصيدة – بالغزل، ثم يصور خوفه من رسول الله ﷺ وأمله في أن يعفُ عنه، ثم يمدح المهاجرين.

الحطيئة:

اسمه جَرْول ، ولقب بالحطيئة لقصره ودمامته، ونشأ مغموزا في نسبه، وجعله ذلك قلقا مضطربا بالإضافة إلى ضعف جسمه وقبح وجهه، وقد لزم زهير يعلَّمه أحكام الشعر. ويضيء الإسلام في الجزيرة فلا يسارع إليه، ومن هنا احتلف الرواة هل قدم على رسول الله ﷺ بعد فتح مكة فأعلن اسلامه على شاكلة كعب، أم أنه تأخر إسلامه[2]؛ على إنه التزم الصمت أو كاد في عصر النبوة ، وما أن انتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى حتى ألحَّت عليه نوبة من الردة فقال[3] :

أطعنا رسول الله ما كان بيننا فيا لعباد الله ما لأبي بكــر

أيورثنا بكرا إذا مات بعـــــده وتلك لعمر الله قاصمة الظهرِ

وقد عاد إلى الإسلام . [4]

وأغلب شعر الحطيئة يدور في المديح والهجاء، وكان يمدح سادة القبائل بشعره منذ نشا في الجاهلية من أمثال عيينة بن حصن الفزاري ، وزيد الخيل وكان غيره من الشعراء يصنعنون صنيعه؛ وحادثته مع الزبرقان بن بدر هي التي شوَّهته، ذلك أنه لقيه في عهد عمر بن الخطاب يؤم المدينة وكان على صدقات قومه، فلما عرفه دلَّه على داره حيث زوجه وعشيرته، فنزل بأهله وفزع بنو أنف الناقة (خصوم الزبرقان)، وأفسدوا العلاقة بينهما وضموا الحطيئة إليهم فمدحهم معرضا بالزبرقان[5]:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فأنك أنت الطاعم الكاسي

---

[1]- شرح ديوان كعب بن زهير. الحسن السكري. ص:02.

[2]- تاريخ الأدب العربي(العصر الإسلامي) . شوقي ضيف. ص:96.

[3]- الحطيئة (ديوان الحطيئة) الموسوعة العالمية للشعر العربي.

[4]- الأدب في موكب الحضارة الإسلامية كتاب الشعر. مصطفى الشكعة. ص:98.

[5]-ديوان الحطيئة. الحطيئة. ص:65.

ورفع الزبرقان أمره إلى عمر، فحبسه، فاستعطفه بأبياته المشهورة[1]:

مَاذَا تقول لِأفْراخٍ بـــذي مـــرَخٍ حمرِ الحواصل لا ماءٌ ولا شجرُ

غَيَّبْتَ كَاسِبَهُمْ في قَعْرِ مُظْلِمَـــةٍ فاغْفِرْ عَلَيْكَ سلامُ اللّه ياعُمَرُ

أنتَ الأمِينُ الذي مِنْ بَعْدِ صَاحِبِهِ أَلْقَتْ إليْكَ مَقَالِيدَ النُّهَى البَشَرُ

لم يؤثروك بها إذْ قدَّمـوك لهـا أَلْقَتْ إليْكَ مَقَالِيدَ النُّهَى البَشَرُ

فلان له عمر، فعفا عنه بعد أن أخذ عليه العهد أن لا يعود إلى الهجاء ويقال أنه أشترى منه أعراض المسلمين بثلاثة الآف درهم.[2]؛ ولكنه يعود بعد وفاة عمر مرة أخرى.

لماذا الاختلاف؟

وعلى ما سبق أن ذكرنا من ترجمة الشعراء الثلاثة حسان وكعب والحطيئة الذين امتد شعرهم من الجاهلية إلى الإسلام هناك تأثرًا بدعوة الإسلام إلى درجة عالية عند حسان، واقتباس بعض الألفاظ عند كعب، والحطيئة عاش جاهليا في الإسلام –نسبة إلى اسلوب الشعر–.

يرجع ذلك التفاوت إلى الأسبقية في الإسلام، والموهبة الشعرية المختلفة، والاستعداد لتقبل الدعوة الجديدة طبقا لظروف الشاعر في الجاهلية، فالحطيئة الذي كان معروفا بالهجاء في الجاهلية لم يستطع أن يتخلص بصورة نهائية من الهجاء، وكعب بن زهير اقتبس معظم أشعاره في الإسلام من المعجم الإسلامي قليلا ومن الأسلوب الجاهلي كثيرا؛" عكس حسان بن ثابت الذي سقط بعض شعره لمحاولته تطويع الشعر للمعاني الإسلامية، وانتحاء أسلوب إسلامي وموضوعات إسلامية خالصة" [3].

شعر الفتوحات: شعر الفتوح هو كل شعر ارتبط بتلك الفترة المتمثلة في فتح المسلمين لمختلف الأقطار العربية بغية نشر الإسلام[4] . ومن موضوعاته:

شعر الحنين : الذي يبث فيه الشاعر أشواقه وآلامه وحنينه لموطنه وذويه ، من ذلك قول أحد الشعراء:

أكرّر طرفي نحو نجد وإنّنـي برغمي وإن لم يدرك الطّرف أنظر

حنينا إلى وطني كأنّ ترابها إذا أمطـرت عود ومسك وعنبـــر

بلادي كأنّ الأقحوان بروضة ونور الأقاحي وشي بـرد محبّـر

---

[1]– ديوان الحطيئة. الحطيئة. ص:67.

[2]– تاريخ الأدب العربي(العصر الإسلامي) . شوقي ضيف. ص:97.

[3]– حسان بن ثابت، حياته وشعره، إحسان النص. ص: 212 .

[4]–ينظر: شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام. النعمان عبد المتعال القاضي . ط1. مكتبة الثقافة الدينية،1426هـ/2005م .ص:45.

ولهذا النوع من الشعر شبيه في العصر الجاهلي يتمثل في : البكاء على الأطلال ، لأن في كليهما بثّ للأشواق والتعبير عن الحنين المتوقّد في النفس.

وصف الطبيعة والمشاهد الجديدة: التي رآها الشعراء في البلاد المفتوحة . إذ تمثل الطبيعة ملجأ للشاعر يفرغ فيه همومه كما و تتشاطره الطبيعة عواطفه وانشغلاته . ومن أهم المشاهد المصورة: مناظر الحدائق،البرك،القصور،الكنائس والقلاع...

الشكوى: والذي صاغه الشعراء عندما رأوا الولاّة في البلاد البعيدة عن مركز الدولة لا يسيرون في حكم الناس على النهج الإسلامي الصحيح ، ويستأثرون دونهم بالغنائم وبالأموال.

رثاء الشهداء : الذين قتلوا في معارك الفتوح.

وعموما، تميز شعر الفتوح بالخصائص الآتية:

-أصبحت الألفاظ أقلّ خشونة تميّزها السهولة والسلاسة ، أما المعاني فطبعها العمق.

-تصوير مظاهر الطبيعة.

-توظيف الألفاظ القرأنية والمصطلحات الإسلامية.

وممّا أضافه شعر الفتوح إلى حركة الشعر فضلا عن مساندته للدعوة الإسلامية وتبليغ الرسالة ، مساهمته الفعّالة في إغناء المكتبة العربية بالأنماط الشعرية الجديدة التي ظهرت في ظل الفتوحات الإسلامية[1]

خصائص شعر الفتوحات :

يمكن تلخيص سمات شعر الفتوح بما يأتي :

1- اشتماله على معاني والقيم الإسلامية والالتزام بروح العقيدة.

2- الإيجاز والقصد إلى الفكرة، بدون إسهاب أو مقدمات كما هو الحال في الأغراض الشعرية في العصر الجاهلي وصدر الإسلام.

3-التزام الشاعر بوحدة الموضوع، فجلُّ شعر الفتوح مقطّعات شعرية لا تحتوي الواحدة منها على أكثر من غرض واحد.

4-اتِّسام الشعر بالعفوية الصادقة لأنه يعّبر عن الروح الجهادية.

5-السهولة والوضوح، والخلّو من الصنعة والتكلّف.

6- التعبير عن الروح الجماعة الإسلامية التي ذابت فيها العصبيات القبلية، وانصراف الشعراء إلى رفع راية الإسلام خفاقة [2].

---

[1]- ينظر: شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام. النعمان عبد المتعال القاضي.ص:78.

[2]-ينظر المرجع نفسه: ص: 92

7-اشتمال شعر الفتوحات على أخبار الجيوش، وحركاتها، وانتصارتها، والقبائل التي شاركت فيها، وعلى عادات البلاد المفتوحة، وتقاليدها، وأديانها، والخطط الحربية، وسير المعارك، والبطولات الفردية، أو الجماعية، وأسباب النصر أو الهزيمة. فهي على هذا الأساس تعد سجلاً تاريخياً حافلاً بأخبار فترة مهمة من تاريخ الدولة العربية الإسلامية [1].

وبعد، فإنّ قيمة شعر الفتوحات تنبع من كونه التعبير الأدبي عن الحياة الإسلامية في عصر صدر الإسلام، إذ صوّر الأثر الذي تركه الإسلام في نفسيّة العربي، كما رسم صورة رائعة للانطلاقة المباركة التي تمثّلت في الفتوحات الإسلامية.

شعراء الفتوح: وهؤلاء الشعراء الذين أنطقتهم الفتوحات ينقسمون إلى قسمين؛ أولهما :

طائفة من الشعراء المغمورين: الذين لم يذع لهم شعر فيما قبل اشتراكهم في المعارك، ولم يذع ذكرهم أيضًا قبل ذلك.

وقد وجد هذا القبيل فرصته في الفتوحات؛ إذ سارت بشعره الركبان، وسجل اسمه في ذاكرة العرب. وظهرت أسماء جديدة طالعتنا في كتب التاريخ والمغازي لا بريق لها ولا ألفة لدينا، كالأسود بن قطبة التميمي، والقعقاع بن عمرو، وأخيه عاصم، وحسان بن المنذر بن ضرار الضبي، والأعور العبدي الشني، ونافع بن الأسود بن قطبة التميمي، وضرار بن الخطاب، وعمرو بن مالك الزهري، وكثير بن الغريزة النهشلي،

والقسم الثاني من هؤلاء الشعراء يشكلون ظاهرة مهمة جديرة بإنعام النظر، وهم أولئك الشعراء الذين لم يكونوا في الأصل يرتبطون بالشعر في قليل أو كثير؛ ذلك أنهم لم يكونوا ينظمون الشعر أو يعنون به ولكنهم حملوا السلاح وخاضوا المعارك، فإذا بنفوسهم تفيض بالبيت أو بالبيتين أو بالمقطوعة القصيرة تسرية وتنفيسًا وحثًّا لنفوسهم وتحميسًا .وهؤلاء يمثلون السواد الأعظم من الفاتحين، وشعرهم ليس إلا استجابة حرة أبي أحيحة القرشي، وبشر بن ذريح الثعلبي، وعصام بن المقشعر، وبشر بن ربيعة، والأشعث بن عبد الحجر بن سراقة، وجندب بن عمار، وعلياء بن جحش العجلي، والأعرف بن العلم العقيلي، وغيرهم كثيرون .ولعل في أبناء الخنساء الأربعة، وما جاش على ألسنتهم من رجز دافئ في القادسية خير مثال لهؤلاء[2].

---

[1]- ينظر: المرجع السابق. ص:103.

[2]-ينظر المرجع نفسه: ص: 203

<u>موضوعات قديمة متطورة:</u> تغنَّى الشعر كما تغنَّى الرجز بموضوعات بعضها قديم تداوله الشعر العربي على اختلاف عصوره كالحماسة والرثاء، وبعضها الآخر جديد، لم يعهده الشعر العربي قبل الفتوح .فشعر الجهاد وان جال في تصوير ظروف الفتح الجديدة فإننا لا نستطيع أن نعده بابًا جديدًا من أبواب الشعر، وكذلك الرثاء؛ إذ إن لهما جذورا في الشعر العربي ثابتة، وغاية الأمر أن هذه الظروف الجديدة قد كست هذين اللونين من الشعر صبغًا جديدًا فتطور قليلاً، و إن دل على تأثرات جديدة؛ فإن أصلهما واضح جلي في الشعر العربي.

ونعني بشعر الجهاد ذلك الشعر الذي يهدف إلى الإشادة بما كان من إقدام الجند أو الكتيبة أو الشاعر، أو صديق له أو زميل، أو قائده أو عدوه .وعن كل هذه الطرق يعبر الشاعر عن قسوة المعارك، ضراوة القتال، وشدة اللقاء، وما كان يحدث في أثناء المعارك من إقدام أو إحجام، وما قد تنتهي إليه من نصر أو هزيمة، وما يكون بعد ذلك من فخر أو تصميم على الثأر والانتقام، بينما قد يكون تصوير المعارك وما تشتمل عليه طريقًا إلى الإشادة بالنفس أو بالغير، وهكذا.

وهذا الموضوع هو أكثر موضوعات الشعر التي بين أيدينا ترددًا واتساعًا، ومن أمثلة هذا الشعر الذي يشيد ببلء الجماعة الإسلمية وبسالتها وايقاعها بالعدو قول خليد بن المنذر في يوم طاوس:

بطاوس ناهبنـــا الملـــوك وخيلنـــا عشية شهراك علون الرواسيـــا
أطاحت جموع الفرس من رأس حالق تراه كموار السحـاب مناغيـــا
فل يبعدن الله قومـــــًا تتابعـــوا فقد خضبوا يوم اللقاء العواليـا[1]

وقد يجعل الشاعر تصوير المعركة سبيلً إلى تصوير بلئه والإشادة بنفسه، كقول نعيم بن مقرن قائد المسلمين في وقعة واج روذ بهمذان، التي تصدى فيها" لموتا "قائد الفرس ونكل به تنكيلً، قال:

ولمـا أتانـــي أن" موتـا "ورهطـه بني باسل جروا جنود الأعاجـــم
نهضت إليهـــم بالجنـــود مساميـا لأمنع منهم ذمتي بالقواصـــــــم
فجئنـا إليهـــم بالحديـــد كأننـــا جبال ت ا رءى من فروع الغلسم
فلما لقيناهـــم بهـــا مستفيضـــة وقد جعلوا يسمون فعل المساهم
صدمناهم فـــي واج روذ بجمعنـا غداة رميناهم بإحدى العظائـــم
فما صبروا في حومة الموت ساعة لحد الرماح والسيوف الصـوارم
كأنهم عنـــد انبثـــاث جموعهـم جدار تشظى لبنه للهـــوادم[2]

---

[1]- ينظر: المرجع السابق. ص:133.

[2]-ينظر المرجع نفسه: ص: 143

وقد يشيد الشاعر بنفسه مباشرة، فيصور شجاعته وبأسه وفعاله بالعدو وتفريجه كرب المسلمين، كما فعل عروة بن زيد الخيل الطائي، فقال في معركة نهاوند:

ألا طرقت رحلي وقد نام صحبتي بإيوان شيرين المزخـرف خلتي
ولو شهدت يومي جلولاء حربنا ويوم نهاوند المهول استهلــت
إذن لرأت ضرب امرئ غير خامل محيد بطعن الرمح أروع مصلت
ولما دعوا يا عروج بن مهلهـل ضربت جموع الفرس حتى تولت
دفعت عليهم رحلتي وفوارســي وجردت سيفي فيهم ثـم آلتـــي
وكم من عدو أشوس متمـــــرد عليه بخيلي في الهياج أظلـــت
وكم كربـــة فرجتهـــا وكريهـــة شددت لها أزري إلى أن تجلـت
وقد أضحت الدنيا لدي ذميمـــة وسليت عنها النفس حتى تسلت
وأصبح همي في الجهاد ونيتي فلله نفســي أدبـــرت وتولــت
فل ثروة الدنيا نريد اكتسابهـــا ألا إنها عن وفرها قـد تجلـــت
وماذا أرجى من كنوز جمعتها وهذي المنايا شرعًا قد أطلــت[1]

وقد يعمد الشاعر إلى وصف بلاء قائده ومقدرته وبراعته في سياسة جنده وفتكه بأعدائه، كقول أحد المسلمين في جيش المثنى؛ إذ يقول في يوم سوق الأنبار:

وللمثنى بالعـــال معركـــة شاهدها من قبيلة بشـــر
كتيبة أفزعـــت بوقعتهـــا كسرى وكاد الإيوان ينفطر
وشجع المسلمين إذ حذروا وفي ضروب التجارب العبر
سهل نـهج السبيل فافتقروا آثـــاره والأمـــور تقتفـــر[2]

وقد يعمد الشاعر إلى تصوير قوة الأعداء وثباتهم؛ ليتخذ ذلك سبيلً إلى الفخر بنفسه وبكتيبته، مثل قول عاصم بن عمرو يوم المقر:

ألم ترنا غداة المقر فينـــا بأنهار وساكنها جهـــــارا
لقينا من بني الأحرار فيها فوارس ما يريدون الفـــرارا
قتلناهم بها ثم انكفأنـــــا إلى فم الفرات بما استجارا[3]

---

[1]- ينظر: المرجع السابق. ص:147.

[2]- ينظر المرجع نفسه: ص: 149

[3]- ينظر المرجع نفسه: ص: 153

المحاضرة 05: المراثي النبوية

ورد في المعجم الوسيط: « (رَثَى) الميِّتَ، رَثْيًا، ورِثَاءً، ورثَايةً، ومَرْثَاةً، ومَرْثِيَةً: بكاه بعد مَوْتِهِ. وعدَّد مَحَاسِنَهُ.ويقال: رثاه بقصيدة، ورثاه بكلمة.و له: رحِمَه ورقَّ له.وعَنْهُ.الحديثَ، رِثَايَةً: ذَكَرَه عنه»[1].

والإنسان عندما يودِّع مسافراً فإنه يعيش على أمل اللقاء به ولو بعد حين. وأمّا عندما يودّع إنساناً تحت أطباق الثرى، فإنه لا أمل له في لقائه بهذه الدنيا، وتراه يكرِّرُ مع الشاعر قولَه:

وما الدَّهرُ إلا جامعٌ ومفـــــرِّقٌ وما الناسُ إلا راحلٌ ومـــــودَّعُ
فإنْ نحنُ عِشنا يجمع اللهُ شملنا وإن نحن مِتنا فالقيامةُ تجمعُ

ولعل الآراء المتضاربة حول إشكالية مصطلح الرثاء النبوي:هل يعدُّ مدحا للرسول ﷺ ؟،فإننا نستطيع أن نقول:إنّ المدح هو ما كان في حياته ﷺ ،وما كان عقب وفاته هو رثاء،وأما ما كان بعد مدة زمنية من تاريخ وفاته فيدخل في باب المدائح النبوية.

ونشير إلى أن الكثير من مؤرخي السيرة قد ذكروا بعض مراثي الرسول ﷺ ،وأغفلوا بعضها الآخر ،ونستغرب أن الكثير من الشعراء لم يُذكر لهم أي نص شعري على الرغم من أن بعضهم عاش إلى فترة الخلفاء الراشدين،وعاش بعضهم الآخر حتى خلافة معاوية بن أبي سفيان،ونذكر من هؤلاء الشعراء والشواعر:لبيد العامري وكعب بن زهير والخنساء وغيرهم، علاوة على أن كعب بن مالك لم يُذكر له إلا نص واحد في رثاء النبي ﷺ ،واستنادا إلى هذه الحقائق فإننا نذهب إلى القول:إن الكثير من هذه الأشعار امتدت إليها يد الضياع أو إغفالا من المؤرخين،ويؤكد ما ذهبنا إليه قول ابن سيد الناس:"ولو فتحنا باب الإكثار وسمحنا بإيراد ما يستحسن في هذا الباب من الأشعار لخرجنا عما جنحنا إليه من الإيجاز والاختصار،فالأشعار في هذا الباب كثيرة..."كما أشار إلى ذلك النويري في نهاية الأرب،كما شكّك الأبشيهي المحلّي في مراثي حسان،على الرغم من أن كلّ مؤرخي السيرة أثبتوا قصائده في رثاء النبي ﷺ بإيرادهم أشعاره.

ونبدأ بالصحابي الجليل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فله قصيدة في رثاء النبي صلى الله عليه وسلم، وهو أول من رثاه، يقول فيها:

لما رأيتُ نبينا متجنـــــدلاً ضاقت علي بعرضهن الــدورُ
فارتاعَ قلبي عندَ ذاك لموتهِ والعظمُ منّي ما حييتُ كَسيـــــرُ
أعتيقُ، ويحَك! إنّ خلّك قد ثوى والصبرُ عندكَ ما بقيتَ يسيــرُ

---

[1] – المعجم الوسيط. مجمع اللغة العربية. القاهرة، مصر.1379هـ/1960م. ص:118.

يا ليتني مِن قبلِ مهلكِ صاحبِي غُيِّبتُ في لحدٍ عليهِ صخورُ[1]

وكذلك الصحابي حسانُ بن ثابت رضي الله عنه، له دالية رائعة في رثاء النبي صلى الله عليه وسلم، يقول في مطلعها:

بطيبة رسْم للرسول ومعهدُ * * منير وقد تعفو الرسوم وتهمدُ
ولا تمتحى الآيات من دار حُرمة * * بها منبر الهادي الذي كان يصعدُ
وواضح آثار وباقي معالم * * * وربع له فيه مصلىً ومسجد
بها حجُرات كان ينزل وسْطها * * * من الله نور يستضاء ويوقَد
معارف لم تُطمسْ على العهد أيها * * * أتاها البلى فالآي منها تجدَّدُ
عرفت بها رسْم الرسول وعهده * * * وقبراً بها واراه في التُّرب ملحد
ظللت بها أبكي الرسول فأسعدت * * * عيون ومثلاها من الجفن تسعد
يذكِّرن آلاء الرسول وما أرى * * * محيصا لها نفسي فنفسي تبلَّد
مفجَّعة قد شفَّها فقْد أحمدٍ * * * فظلَّت لآلاء الرسول تعدِّد
وما بلغت من كل أمر عُشيره * * * ولكن لنفسي بعد ما قد توجد
أطالت وقوفا تذرف العين جهدها * * * على طلل القبر الذي فيه أحمد
فبوركت يا قبر الرسول وبوركتْ * * * بلاد ثوى فيها الرشيد المسدَّد[2]

إلى أن يقول:

وما فقَد الماضون مثلَ محمدٍ * * * و لا مثلَه حتى القيامةِ يُفقَدُ
أعفَّ وأوفى ذمةً بعد ذمةٍ * * * و أقربَ منه نائلاً لا ينكّد
وأبذلَ منه للطريف وتالدٍ * * * إذ ضنَّ معطاءٌ بما كان يتلد
وأكرمَ صيتاً في البيوت إذا انتمى * * * وأكرمَ جَداً أبطحياً يسوَّد
وأمنعَ ذرْواتٍ وأثبتَ في العلا * * * دعائمَ عزٍ شاهقات تشيَّد[3]

وأخرى مطلعها:

---

[1]- السيرة النبوية. علي محمد محمد الصلابي، ط1، 1424هـ، مدار الفجر 709/2.

[2]- حسان بن ثابت: حياته، شعره/ دمشق: دار كرم، ص 54.

[3]- المصدر نفسه. ص:58.

******

ما بَالُ عَينِـكَ لا تَنَـامُ كأنّمَـا ** كُحِلَتْ مآقِيها بكُحْـلِ الأرْمَـدِ

جزعاً على المهديّ، أصبحَ ثاوياً ** يا خيرَ من وطئَ الحصى لا تبعدِ

جنبي يقيكَ التربَ لهفي ليتنـي ** غُيِّبْتُ قَبْلَكَ فـي بَقِيـعِ الغَرْقَـدِ

بأبي وأمي منْ شهدتُ وفاتَـهُ ** في يومِ الاثنيـنِ النبـيُّ المهتـدي

فَظَلِلْتُ بَعْـدَ وَفَاتِـهِ مُتَبَلِّـداً ** يا لهْفَ نفسي لَيْتَنـي لـم أُولَـدِ

أأُقِيمُ بَعْدَكَ بالمَدينَـةِ بَيْنَهُـمْ؟ ** يا لَيْتَني صُبِّحْـتُ سَـمَّ الأسْـوَدِ

أوْ حلّ أمرُ اللهِ فينا عاجـلاً ** في روحةٍ منْ يومنـا أوْ فـي غـدِ

فتقومَ ساعتنا، فنلقى طيبـاً ** مَحْضَـاً ضَرَائِبُـهُ كَريـمَ المَحْتِـدِ

يَا بِكْرَ آمِنَةَ المُبَـارَكَ ذِكْـرُهُ ** وَلدَتْـكَ مُحْصَنَـةً بِسعْـدِ الأسعـدِ

نُوراً أضَاءَ على البَرِيّةِ كُلّهـا ** مَـنْ يُهْـدَ للنّـورِ المُبَـارَكِ يَهْتَـدِ

يَا رَبّ! فاجْمَعنا فمَاً ونَبِيَّنَـا ** فـي جَنّـةٍ تَثْنـي عُيُـونَ الحُسّـدِ

في جَنّةِ الفِرْدَوْسِ واكتُبْها لَنَـا ** يـا ذا الجـلالِ وذا العـلا والسـؤدِدِ

واللَّهِ أسْمَعُ ما بَقِيتُ بهالـكٍ ** إلا بكيـتُ علـى النبـيّ محمـدِ

يا ويحَ أنصارِ النبـيِّ ورهطـهِ ** بَعْـدَ المغَيَّبِ فـي سَـوَاءِ المَلْحَـدِ

ضاقتْ بالأنصارِ البلادُ فأصبحتْ ** سـوداً وجوههـمُ كلـونِ الإثمـدِ

وَلَقَدْ وَلَدْنَـاهُ، وَفِينَـا قَبْـرُهُ ** وفضـولُ نعمتـهِ بنـا لـمْ يجحـدِ

وَاللَّهُ أكْرَمَنا بِهِ وَهَـدَى بـهِ ** أنْصَارَهُ فـي كُـلّ سَاعَـةِ مَشْهَـدِ

صَلّى الإلهُ وَمَنْ يَحُفُّ بِعَرْشِـهِ ** والطيبـونَ علـى المبـارِكِ أحمـدِ

فرِحتْ نصارى يَثْربٍ ويهودُهـا ** لمّا تـوَارَى فـي الضَريـحِ المُلحَـدِ[1]

وممن رثى النبيَّ أيضا: أبو سفيان، وصفية بنت عبد المطلب، وغيرهم.

قال عبد اللَّه بن أنيس يرثى النبي صلى اللَّه عليه وسلم:

تطاول ليلى واعترتني القوارع = وخطـب جليـل للبليـة جامـع!

غداة نعى الناعي إلينا محمدا، = وتلك التي تصطك منها المسامـع

---

[1]-المصدر السابق. ص:85.

فلو رد ميتا قتل نفسي قتلتها = !ولكنه لا يدفــع المــوت دافــع
فآليت لا أثنى على هلك هالك = من الناس، ما أوفى ثبير وفـارع
ولكنني باك عليه ومتبـــع = مصيبته، إني إلى اللَّه ا رجــع!
وقد قبض اللَّه النبيين قبله، = وعاد أصيبت بالرزى والتبايـــع
فيا ليت شعرى !من يقوم بأمرنا؟ = وهل في قريش من إمام ينــازع؟
ثلثة رهط من قريش هــم هــم = أزمة هذا الأمر، واللَّه صانـــع
علي أو الصديق أو عمر لهـــا، = وليس لها بعد الثلثـة رابـــع!
فإن قال منا قائل غيــر هــذه = أبينا، وقلنا :اللَّــه راء وسامـــع
فيا لقريش !قلدوا الأمر بعضهم، = فإن صحيح القول للناس نافــع
ولا تبطئوا عنهــا فواقــا فإنّهـــا = إذا قطعت لم يمن فيها المطامع

قالت أروى بنت عبد المطلب – رضي اللَّه تبارك وتعالى عنها:-

ألا يا عيـــن !ويحـــك أسعدينـــي = بدمعك، ما بقيت، وطاوعينـــي
ألا يا عين ويحـــك !واستهلـــي = علي نور البلد وأسعدينـــــي!
فإن عذلتـــك عاذلـــة فولـــي = : علم وفيم، ويحك !تعذلينـــــي؟
على نور البلــد معـــا جميعـــا = رسول اللَّه أحمد فاتركينـــــي
فإلا تقصـــري بالعـــذل عنـــي، = فلومي ما بدا لك أو دعينـــي!
لأمـــر هدنـــي وأذل ركنـــي، = وشيب بعد جدتهـــا قرونـــي!
وقالت عاتكة بنــت عبــد المطلــب – رضي اللَّه تبارك وتعالى عنهـــا
عيني جودا طوال الدهر وانهـــم ا ر = سكبا وسحا بدمع غيـر تعذيـر!
يا عين فاستحضري بالدمع واحتفلي = حتى الممات بسجل غير منــزور
يا عين فانهملي بالدمع واجتهـــدي = للمصطفى، دون خلق اللَّه، بالنور
بمستهل من الشؤبوب ذي سيـــل، = فقد رزئت نبي العـــدل والخيـــر!
وكنت من حذر للموت مشفقـــــة، = وللذي خط من تلـــك المقاديـــر!
من فقد أزهر ضافي الخلق ذي فخر = صاف من العيب والعاهات والزور!
فاذهب حميدا !ج ا زك اللَّه مغفـرة، = يوم القيامة، عند النفخ في الصور

قالت صفية بنت عبد المطلب –رضي اللَّه تبارك وتعالى عنها:-

لهف نفسي !وبـت كالمسلـــوب = آرق الليل فعلـــه المحـــروب!
من هموم وحســرة رد فتنـــــي، = ليت أني سقيتهـــا بشعـــوب!
حين قالوا :إن الرسول قد أمسى = وافقته منيـــــة المكتـــوب!
إذ رأرينا أن النبـــي صريـــــع، = فأشاب القذال أي مشيـــــب

إذ رأينـــــا بيوتـــه موحشـــــات، = ليس فيهن بعد عيش حبيب

أورث القلب ذاك حزنـــا طويـــل، = خالط القلب، فهو كالمرعـوب

ليت شعري !وكيف أمسى صحيحا = بعد أن بين بالرسول القريب؟

أعظم الناس في البريـــــة حقـــا، = سيد الناس حبه في القلـوب

فإلى اللَّه ذاك أشكو !وحسبي = يعلم اللَّه حوبتي ونحيبـــي!

قال أبو سفيان – رضي اللَّه تبارك وتعالى عنه–

أرقت فبات ليلي لا يـــزول = وليل أخي المصيبة فيه طول

وأسعدني البكاء وذاك فيما = أصيب المسلمون بـــه قليـــل

لقد عظمت مصيبتنا وجلت = عشية قيل :قد قبض الرسول

وأضحت أرضنا مما عراهـا = تكـاد بنـــا جوانبهـــا تميـــل

فقدنا الوحي والتنزيل فينـــا = يـــروح بـــه ويغـدو جبرئيـــل

وذاك أحق ما سالت عليـــه = نفوس الناس أو كربت تسيل

نبي كان يجلو الشك عنـــا = بما يوحى إليـــه ومـــا يقـــول

ويهدينا فل نخشى ضلـــلا = علينا والرســـول لنـــا دليـــل

أفاطم إن جزعت فذاك عذر = وان لم تجزعي ذاك السبيـل

فقبر أبيك سيد كل قبـــــر = وفيه سيد الناس الرســـول

المحاضرة 06: شعر النقائض

يضمّ الشعر العربي العديد من الفنون والألوان، ومن هذه الألوان شعر النقائض، ويعّد هذا اللون سجلاً تاريخياً ساعد على معرفة أيام العرب و أنسابهم، ومثالبهم، وأمدّ اللغة العربية بالعديد من الألفاظ اللغوية الجديدة والمهمة.

ما هي النقائض ؟ هي لون جديد من ألوان الأدب والمناظرات الأدبية ويرجع له الفضل الكبير في تسجيل أنساب العرب وحكاياتهم وصفاتهم وطريقة حياتهم وشكل أخلاقهم وعاداتهم في ذلك العصر – العصر الأموي – ،وقد أضاف هذا اللون من الأدب ثروة هائلة من الألفاظ إلى اللغة العربية .

تعريف النقائض لغة : جاء في لسان العرب أن(النقائض) لغة جمع (نقيضة)، من(نقض) البناء إذا هدمه، والحبل إذا حلّه. وضده (الإبرام) يكون للحبل والعهد. و(ناقضه) مناقضة: خالفه.و(المناقضة) أن يتكلم بما هو ضد معناه.و(المناقضة) في الشعر أن ينقض الشاعر ما قاله الأول فيجيء بغير ما قاله[1].

معناها الإصطلاحي: النقيضة هي أن يتجه الشاعر بقصيدته إلى شاعر آخر، هاجياً أو مفتخراً، فيعمد الآخر إلى الرد عليه بقصيدة هاجياً أو مفاخراً، ملتزماً الوزن العروضي والقافية والروي الذي اختاره الشاعر الأول، فيفسد على الأول معانيه، ويردها عليه، ويزيد عليها[2].

مثال : ما قاله الأخطل عندما مدح عبد الملك بن مروان هاجياً بني كليب بن يربوع رهط جرير ومفضلاً عليهم بني دارم عشيرة الفرزدق خصم جرير :

أما كليب بن يربـوع فليـــس لهم عند التفـارط إيراد ولا صــدر

مخلّفون ويقضي الناس أمرهم وهم بغيب وفي عمياء ما نظـــروا

فيرد عليه جرير:

أرجو لتغلب إذا غبّت أمورهم ألا يبارك في الأمر الذي لئتمروا

خابت بنو تغلبٍ إذ خلّ فارطهم حوض المكارم إنّ المجد مبتدرُ

فالموضوع واحد وهو الهجاء.والبحر واحد وهو البسيط.والقافية راء مضمومة في النقيضتين. والمعاني واحدة هي الضعة والهوان[3].

فالمحوران اللذان تدور عليهما النقائض هما الشكل الشعري (الوزن والقافية)، والمضمون (المعاني) التي تتكون من الهجاء أو الفخر، معتمداً على الأنساب والأيام والمآثر والمثالب..

---

[1]- معجم العين ، لسان العرب ، القاموس المحيط مادة (نقض).

[2]- أساس البلاغة الزمخشري. ص: 651.

[3]- الأغاني. الأصفهاني 68/11 ، ديوان جرير ص: 259 ، ديوان الأخطل ص:168.

وإذا كانت النقائض قد نشأت في حظيرة الشعر الجاهلي، واشتد عودها في ظلال (الأيام) بين القبائل، فإنها ازدهرت في ظلال سيوف الدين الجديد، واشتعلت في العصر الأموي ناراً موقدة بين الشعراء الفحول الثلاثة : الفرزدق، وجرير، والأخطل..

نشأة فن النقائض:

النقائض من الفنون الشعر القديمة لأنها عرفت منذ العصر الجاهلي ، فقد كان شعراء القبائل المتحاربة يتراشقون بالشعر كما يتراشقون بالسّهام ، وكانوا يهجون ويناقضون بعضهم بعضاً، فينتصر الشاعر بقومه ويرد عليه شاعر القبيلة المعادية ، ثم جاء الإسلام فدارت النقائض بين شعراء المسلمين وشعراء المشركين فدافع شعراء المدينة عن الإسلام والمسلمين ودافع شعراء مكة عن دينهم الوثني ، وعلى الرغم من أن النقائض أيام الرسول صلى الله عليه وسلم تعدّ امتداداً للنقائض في الجاهلية إلا أن تغيراً قد أصابها من حيث الغاية إذا أصبحت دفاعاً عن عقيدة ومبادئ دينية بعد أن كانت دفاعاً عن أعراض القبيلة.

ونقائض الإسلام لم تشتمل على فحش وجرح للأعراض وانتهاك للحرمات كالتي نتلمسّها بشكل واضح في نقائض جرير والفرز دق والأخطل.

ثم ازدهر هذا الفن ازدهاراً كبيراً وواسعاً في العصر الأموي وتحوّل إلى فن مستقل بذاته له أصوله وعناصره وأساليبه ومراميه وأبعاده الاجتماعية والسياسية فأحتلّ مكانة عزيزة وتبوأ منزلة في لوحة الشعر.

وكانت الحياة في العصر الأموي صالحة لقيام مثل هذا الفن ، واستطاع أن يرجع إلى ما كان عليه في الجاهلية الأولى ، لذلك عاشت النقائض في ظله وسايرته إلى النهاية وبلغت في درجتها الفنية وآثارها الأدبية الاجتماعية منتهى ما بلغت في تاريخ الشعر العربي جمعيه ، وهذا ما يقودنا لأن نتبين أسباب النقائض في هذا العصر .

لمحة عن حياة بعض شعراء النقائض:

وبما أننا في التعريفات لا بد من التعرف على شعراء النقائض ولو لمحة بسيطة لنرى مكانة هؤلاء الشعراء.

1- الفرزدق: همام بن غالب بن ناجية بن مجاشع بن دارم وينتهي نسبه إلى زيد بن مناة بن تميم ، ولقب بالفرزدق لغلظه وقصره شبه بالفتيتة التي تشربها النساء وهي الفرزدقة.

ويكنى أبا فراس ، تزوج الفرزدق بالنوار فولدت له لبطة وسبطة وخبطة وركضة ، وكان له من البنات خمس أو ست . وكان الفرزدق معناً مفناً[1] يقول كل شيء وسريع الجواب وكان سيداً وجيهاً عند الخلفاء والأمراء.

---

[1]- المعن: الخطيب الذي يدخل في كل شيء ، والمفن الذي يفنن في كلامه.

قال ابن قتيبة بن مسلم فيما كتبه إلى الحجاج حين سأله عن أشعر شعراء الإسلام قال:(أشعر الجاهلية امرؤ القيس وأضربهم مثلاً طرفة وأما أشعر شعراء الوقت فالفرز دق أفخرهم)

كان يقيم في العراق ، وله ديوان اشتهرت منه النقائض ، وأغراض شعره المدح والرثاء والفخر والهجاء والوصف ، نوفي في البصرة سنة 114هـ[1] .

2- جرير: جرير بن عطية بن حذيفة وهو من بني كليب بن يربوع ، ولد بعد نيف وثلاثين عاماً من الهجرة ، يكنى أبا حزرة ، وكان له عشرة من الولد وكلهم شعراء وأفضلهم وأشعرهم بلال بن جرير ، وكان يقيم جرير في المروت.

وجرير يعتبر من أشد الشعراء الهجائين كان يقول : (أنا لاابتدي ولكن اعتدي).

قال أبو عمرو : سئل الأخطل أيكم أشعر قال: (أنا امدحهم للملوك وانعتهم للخمر والحمر[2] وأما جرير فأنسبنا واشبهنا وأما الفرزدق فأفخرنا).

له ديوان فيه مدح ورثاء وفخر وهجاء وغزل ، توفي في اليمامة سنة 110هـ[3]

3- الأخطل: غياث بن غوث من بني تغلب ، يكنى أبا مالك ، وكان يشبّه الأخطل من شعراء الجاهلية بالنابغة الذبياني ، وهو تغلبي ولد في الحيرة.

والأخطل لقب غلب عليه والسبب في ذلك أنه هجا رجلاً من قومه (فقال له يا غلام إنك أخطل) وكان الأخطل يمدح بني أمية مدح معاوية ويزيد ومن بعدهم خلفاء بني مروان حتى هلك.

قال مسلمة بن عبد الملك :(ثلاثة لا اسال عنهم أما أعلم العرب بهم الأخطل والفرزدق وجرير فأما الأخطل فيجيء سابقاً أبداً وأما الفرزدق فيجيء ثانياً وأما جرير فيجيْ سابقاً مرة و ثانياً) [4]

له ديوان فيه هجاء ومدح وفخر ووصف وخمر ، وهو أشبه بشعراء الجاهلية من حيث الجزالة.

فشعـراء الإســلام الأخطل وجرير والفرزدق وأشعرهــم الأخطل.

---

[1]-الشعر والشعراء ص 310 ، طبقات فحول الشعراء 298/2 ، الأغاني 367/9 ، المزهر 361/2 ، الاشتقاق 1/ 192 معجم الشعراء ترجمة الفرزدق ، تاريخ الأدب العربي ص282.

[2]- يعني النساء.

[3]- الشعر والشعراء ص 304 ، طبقات فحول الشعراء 297/2 ، الأغاني 5/2 ، المزهر 361/2 ، الاشتقاق 1/ 231 معجم الشعراء ترجمة جرير ، تاريخ الأدب العربي ص293.

[4]- الشعر والشعراء ص 319 ، طبقات فحول الشعراء 298/2، الأغاني 290/8 ، المزهر 2/ 361 الاشتقاق 241/1 تاريخ الأدب العربي ص 266

الكتب المؤلفة في فن النقائض:

لقد ألفت عدة كتب في فن النقائض منها ما هو عام و منها ما هو خاص[1]

1- كتاب النقائض: لأبي عبيدة معمر بن المثنى واشتهر هذا الكتاب باسم النقائض واسمه الحقيقي (نقائض جرير والفرزدق) وهو يضم القصائد الهجائية والفخرية وقد طبع الكتاب في ليدن سنة 1908 م في ثلاث مجلدات ضخمة ثم طبع ثانية في بيروت بطريقة التصوير وكما أعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثنى ببغداد.

2- كتاب نقائض جرير والأخطل: جمعها أبو تمام الطائي طبعت في بيروت سنة 1922 م ثم أعيد طبعها تصويراً في السبعين.

3- كتاب النقائض: لسعدان بن المبارك الضرير النحوي أحد رواة العلم كوفي المذهب روى عن أبي عبيدة ، وروى الكتاب عنه ابنه ابراهيم.

4- كتاب النقائض:للحسن بن الحسين بن عبيد الله المعروف بالسكري النحوي اللغوي الراوية الثقة المكثر

5- كتاب النقائض: لأبي جعفر محمد بن حبيب ولا نعلم هل طبعت الكتب الثلاث الأخيرة أم لا ؟

6-كتاب تاريخ النقائض في الشعر العربي: لأحمد الشايب الأستاذ بجامعة القاهرة .

أسباب النقائض:

لو رجعنا إلى العصر الأموي وبحثنا عن سبب انتعاش وتفجر النقائض في هذا العصر لوقفنا على أسباب خاصة وأسباب عامة.

1- الأسباب الخاصة: [2]

أهم هذه الأسباب السبب الاقتصادي فنقائض جرير والأخطل متأثرة به ، إذ أنها قامت على ما كان بين قيس وتغلب من المنافسة على أرض الجزيرة واستغلالها منذ نزلت قيس فنسرين أساءت جوار تغلب فوقف جرير والأخطل متناقضين.

ومن الأسباب الخاصة أيضاً أن الظروف جعلت جريراً يقف في صفوف قيس ، وتصادف (إن صح التعبير) أن عشيرته أسرعت بالبيعة لابن الزبير ، وتصادف أن قتل مجاشعي الزبير بن العوام ، وتصادف أن لجأت النوار زوج الفرزدق حين غاضبته إلى الزبير فجعل الفرزدق يهجو جريراً.

---

[1]- الأغاني 10/ 330 ، نكت الهميان ص157 ، معجم الأدباء ، خزانة الأدب 1/ 93 ، الوافي بالوفيات 4 / 106 ، مصادر التراث والبحث ص 45 ، تاريخ النقائض ص 302.

2-الأغاني 227/19، تاريخ النقائض ص218، نقائض جرير ولفرزدق ص2 وبعد، الشعر والشعراء ص:212 بتصرف

2- الأسباب العامة:[1]

1-السبب السياسي: وترجع إلىتشجيع الخلفاء أي حكّام بني أمية لهذا الفن ولهذا الشعر بغية صرف الناس عن التفكير في السياسة ، وقد كان لهذا الجانب مظاهر شتى وصور عديدة فمثلاً ما فعل بشر بن مروان بجمع الشعراء على جرير ويغر بهم به وما كان ذلك من بشر إلا تأييداً لسياسة آل مروان.

2- السبب العقلي: وتعود إلى نمو العقل ومرانه الواسع على الحوار والجدل والمناظرة في النّحل السياسية والعقيدية والفقه والتشريع.

فلقد تناظر الشعراء بحقائق القبائل ومفاخرها ومثالبها، فدرس كلّ منهم موضوعه وبحث في أدلته ليوثقها، وفي أدلة خصمه لينقضها، فأصبحت مناظرات شعرية تدور في سوقي المربد في البصرة والكناسة في الكوفة.

3- السبب الاجتماعي: ومرده إلى حاجة المجتمع العربي وخاصة في البصرة إلى ضرب من الملاهي يقضي به الناس أوقات فراغهم.

خصائص فن النقائض: لفن النقائض وخصوصاً ما جرى بين جرير و الفرزدق والأخطل خصائص عديدة منها:

1- طول النقيضة: لاختلاط العصبية القبلية بالسياسة ، فكانت النقيضة تخوض في مديح الخلفاء والولاة فأصبحت لا تحتوي على فخر وهجاء فحسب بل تحتوي على مديح وسياسة ، ويقدم الشاعر لكل ذلك ببكاء الأطلال ووصف الرحلة والنسيب ، فاتسمت بالطول ، فلجرير قصيدة رائية أكثر من خمسين بيتاً بدأها برثاء زوجته ووصف المطر ومديح أم حرزة ويبدأ البيت الرابع والعشرين فيها بهجاء الفرزدق فيقول

لولا الحياء لعادني استعبار ولزرت قبرك والحبيب يزار

ولقد نظرت وما تمتع نظرة في اللحد حيث تمكّن المحفار

ثم يهجو الفرزدق فيقول:

أفأم حرزة يا فرزدق عتيم غضب المليك عليكم القهـار[2]

فيرد عليه الفرزدق بقصيدة طويلة يبدؤها بمقدمة طللية ثم بارتحال الظعائن ثم بالحكمة ، وفي البيت الثاني والعشرين يبدأ بهجاء جرير فيقول :

---

[1]- الأغاني 11/ 65 ، تاريخ النقائض ص:219، العصر الإسلامي ص:214 ، طبقات فحول الشعراء 44/2 بتصرف

2- ديوان جرير ص 199 ،/ نقائض جرير والفرزدق ص 700 .

تحن بزوراء المدينـــة ناقتي حنين عجـول يبتغي البو رائم

ويا ليت زوراء المدينة أصبحت بأحفار فلح أو بسيف الكواظم

ثم يهجو جريراً فيقول

تحرّك قيس في رؤوس لئيمــة أنوفاً وآذاناً لئــام المصـــالم [1]

فجرير من قبيلة قيس

2- التأثر بالإسلام: إذ عاش شعراء النقائض في بيئة إسلامية ، فدخلت المعاني الإسلامية في صلب النقائض فخراً وهجاء.

وهذا ما يبدو في نقيضة الفرزدق التي يهجو بها جريراً ويفتخر بقومه فيقول:

إن الذي سمك السماء بنى لنا بيتاً دعائمه أعز وأطول

بيتـاً بنـاه المليك ومـا بنا حكم السماء فإنه لا ينقـل

وهذا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿**أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا**﴾ [2]

وقوله أيضاً:

ضربت عليك العنكبوت بنسجها وقضى عليك به الكتاب المنزل

وهذا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ **مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ** ﴾ [3]

ومن قول جرير الذي كان أشد تأثراً بالإسلام يقول :

إنّ البعيث وعبد آل مقـاعس لا يقـرآن بسورة الأحبـار

وهذا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ....** ﴾ [4]

وغير ذلك من الأشعار التي تبين تأثر شعراء النقائض بالإسلام[5]

3- الإفحاش في الهجاء: لقد هتك شعراء النقائض الأعراض وأباحوا الحرمات بعبارات تؤثر التصريح لا التلميح ، وهذا الهجاء وصل إلى درجة تشمئز منه النفوس وتنكرها الأخلاق والتعاليم الدينية وكان لبعض الأبيات أثر في نفوس من وجهت إليهم فقال جرير :

---

[1] ديوان الفرزدق ص: 559 ، نقائض جرير والفرزدق ص:697

[2] سورة النازعات. الآيتان: 27-28.

[3] سورة العنكبوت. الآية: 41.

[4] سورة المائدة. الآية: 01.

[5] الأغاني 49/8 ، تاريخ النقائض ص 406 ، ديوان الفرزدق ص 431 ، ديوان جرير ص 270 ، النهاية في غريب الأثر 4/ 140 ، تاريخ الأدب العربي الزيات ص120 ، نقائض جرير والفرزدق ص 633

ما هجينا بشيء قط أشد علينا من قول الأخطل :

مازال فينا رباط الخيل معلمة وفي كليب رباط الذلّ والعـــار

قوم إذا استنتح الأضياف كلبهم قالوا لأمهم : بولي على النار

تمسك البول شحاً لا تجود به ولا تبول لهم إلا بمقـــدار

فأجابه جرير:

حيّوا المقام وحيوا ساكن الدار ما كدت تعرف إلا بعد إنكـار

كما أنّ الفرزدق يقول في أم جرير:

قبح الله فقرة في بطنهـــا منها خرجت وكنت فيها تحمـــل

فأجابه جرير:

قبح الإله بني خفاف ونسوةٍ بات الخزير لهن كالأحقـــال

إذاً سلك شعراء النقائض هذا الطريق وهو الهجاء من أجل الرد على الخصم وتقوية حجته[1]

4- اعتماد السخرية: عمد شعراء النقائض إلى هذا الأسلوب ففيه إسفاف وتشنيع الخصم وفي نقائض جرير والفرزدق أمثلة كثيرة على ذلك.

فقد سخر جرير من الفرزدق قائلاً :

وإنك لو تعطي الفرزدق درهماً على دين نصرانية لتنصـــــرّ

ومن ذلك أيضاً قوله :

خذوا كحلاً ومجمرة وعطـراً فلستم يا فرزدق بالرجـــــال

ومن ذلك قول الفرزدق في والد جرير:

إنّا لنضرب رأس كلّ قبيلـــةٍ وأبوك خلف أتانـــه يتقمّـــل

وقوله أيضاً :

تركنا جريراً وهو في السوق حابس عطية هل يلقى به من يبادله

فقالـوا له ردّ الحمـار فإنـــه أبوك لئيم رأسـه وجحافلـه[2]

---

[1] ديوان الفرزدق ص 230، ديوان جرير ص 430، نقائض جرير والأخطل ص91 ، نهاية الأرب 217/15، تاريخ النقائض ص411،تاريخ الأدب العربي الزيات ص230.

[2] ديوان الفرزدق ص 446،ديوان جرير ص 435،205،357،نهاية الأرب222/15، طبقات فحول الشعراء 408/2 ، تاريخ الأدب العربي الزيات ص121، 123 ، العقد الفريد

5- توليد المعاني والصور:[1]

أخذ شعراء النقائض يولدون المعاني و الأفكار ، وكان عندهم خيال خصب يبتكرون الصور ويبالغون في المعاني ويخترعون الوقائع والحوادث غير آبهين بما يرتكب في سبيل ذلك من الكذب والبهتان.

فشغل جرير بفكرة القين والحدادة عند الفرزدق فولّد منها المعاني ، فحينما يصفه بأنه قين و ابن قين كان يتعمق في هذه الفكرة ، ويستخرج منها معاني متعددة فيقول :

ألهى أباك عن كل المكارم والعـلا لي الكتائف وارتفاع المرجـــــل

تصف السيوف وغيركم يعصي بما يا ابن القيون و ذاك فعل الصّقل

يقول أيضاً :

هو القين وابن القين لا قين مثله لفطح المساحي أو لجدل الأداهم

ونلاحظ الفرزدق يسرد في ميميته حوادث وأيام فيقول:

ونحن ضربنا هامة ابن خويلد يزيد على أمّ الفراخ الجواثـــــــم

ونحن قتلنا ابني هيّم وأدركت بحيرا بنا ركض الذكور الصـــــلادم

6- استخدام أسلوب المقارنة والموازنة: [2]

وأسلوب الموازنة والمقارنة من أهم سمات النقائض عند الأمويين وخصوصاً عند الفرزدق وجرير والأخطل لجأ إليه الشعراء للاحتجاج و الدقة في التحدي ولتوضيح الفكرة وإظهارها.

يقول الفرزدق :

أتعدل أحساباً لئـام أدقـــةٍ بأحسابكـم إني إلى الله راجـــع

واضعاً قول الأخطل لجرير :

أتعدل أحساباً كراماً حماتهـا بأحسابكـم إني إلى الله راجـــع

ومنها قول الأخطل لجرير :

أما كليب بن يربوع فليس لهم عند التفارط إيـراد و لا صـــــدر

مخافون ويقضي الناس أمرهم وهم بغيبٍ وفي عمياء ما شعروا

ملطمون بأعقار الحياض فما ينفكّ فـي دارميّ فيهم أثـــــــر

قوم أنابت إليهم كلّ مخزيـــة وكلّ فاحشةٍ سبّت بهـا مضـــــر

---

[1] نقائض جرير والفرزدق ص 335،ديوان جرير ص444، 130 ، ديوان الفرزدق ص373، تاريخ النقلئض ص 417، تاريخ الأدب العربي الزيات ص 283 ، البيان والتبين 428/1، المثل السائر 2/ 383 ، منتهى الطلب ترجمة جرير.

[2] ديوان الفرزدق ص 307 ، ديوان جرير ص 370 ، ديوان الأخطل ص ، نقائض جرير والفرزدق ص 305، نقائض جرير والأخطل ص 208 ، تاريخ النقائض ص 431 ، الأغاني 11/ 68 ، المثل السائر 2/ 351 خزانة الأدب 55/2

فينقض عليه جرير قائلاً :

نحن اجتبينا حياض المجد مترعة من حومة لم يخالط صفوها كدر
خابت بنو تغلب إذ دخل فارطهم حوض المكارم إنّ المجد مبتـــدر
الظاعنون على العمياء إن ظعنوا والسائلون بظهر الغيب ما الخير

7- رصد سقطات الخصم:

حاول شعراء النقائض رصد أخطاء وغفلات الخصم لكي ينهلون عليه بالهجاء والشعر المقذع وينظر هنا إلى حادثة نبؤ السيف في يد الفرزدق عندما أمره الخليفة سليمان بن عبد الملك بضرب عنق أحد الأسرى ، وكان قد دس له سيف لا يقطع ، فاستغل هذه الحادثة جرير ، وراح يسخر من الفرزدق فيقول:

أكلفت قيساً أن نبا سيف غالـــب وشاعت له أحدوثة في المواســـم
بسيف لأبي رغوان سيف مجاشع ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم
ضربت عند الإمام فأرعشـــــت يداك وقالوا محدث غير صـــارم[1]

الخاتمة

من خلال دراستنا ولو لجانب بسيط من فن التقائض يتبن لنا ما يلي:

أن فن النقائض فن قديم وجد منذ العصر الجاهلي وترعرع حتى وصل إلى عهد بني أمية ، وقد توافرت في هذا العهد الأسباب السياسية الاجتماعية والعقلية لرعاية هذا الفن ، وجذبت إليه الشعراء.

كما ونلاحظ أن هذا النوع من فنون الشعر يحتاج إلى شرائط من حيث اتحاد البحر والروي والمعنى.

كما وقد عرفنا أقطاب هذا الفن في هذا العهد كيف استطاعوا تكريس شعرهم في سيبل الوصول إلى غايتهم.

وعرفنا أنّ فن النقائض أحد الفنون الأدبية الجديدة ، وأنه أفد العلماء في معرفة الأنساب والمفاخر عند العرب.

---

[1]- ديوان جرير ص 510، تاريخ النقائض ص 30 ، الأغاني 333/10 ، منتهى الطلب ترجمة جرير ، طبقات فحول الشعراء 401/2 ، تاريخ الأدب الزيات ص 122 ، ثمار القلوب 1/ 221.

المحاضرة 07: الشعر العذري والشعر العمري.

الغزل يختصّ الغزل بتعداد صفات المحبوب الجميلة بهدف التودّد إليه. يُعرف لفظاً فقد وردت في المعجم من الفعل غزل غزلاً أي شُغِفَ بمحادثة النساء والتودّد إليهن[1].

أما اصطلاحاً، فهو نوع من أنواع الشعر العربي، يمتاز بصدق العاطفة وقوّتها، تنمو عواطف الشاعر فيعبّر عن مكابدته لها، وسيطرتها عليه، كما يبكي ألم الفراق والبعد عن محبوبته، مُركّزاً على مشاعره بعيداً عن الجمال الحسّي الجسدي[2].

نشأة الغزل العذري يُنسب الغزل العذري إلى قوم بني عُذرة الذين سكنوا وادي القرى في شمال المدينة المنورة، ورُوي أنَّ أحدَهم سأل أعرابياً: ممَّن الفتى؟ قال: من قوم إذا عشقوا ماتوا. أمّا بدايات هذا الغزل ترجع إلى العصر الجاهلي التي نراها واضحة في القصائد الشعرية التي وصلتنا، إلّا أنّه ترعرع وبرز، وتم تحديد ملامحه الشعرية في العصر الإسلامي وأوائل العصر الأمويّ، ورجع الأمر في ظهوره أن الإسلام هذّب الألفاظ الشعرية، ورفض الوصف الفاحش في الشعر كما في غيره، فاتّجه الشعراء لوصف عذابات حبّهم بالحديث عن لوعة الفراق وألم الاشتياق، وصدّ المحبوبة، ليربط كل هذه الآلام بالأمل يوماً أن يلين قلبها وتصله، فيذكّر الشاعر حبيبته كيف نشآ معاً في بيت واحد وأن لا سبب لديها للصدّ[3].

خصائص الشعر العذري امتاز الشعر العذري عن الغزل الصريح بأمور كثيرة أهمّها ما يأتي:

الاقتصار على محبوبةٍ واحدة: فلم يُعرف الشاعر العذريّ بتعدّد علاقاته بالنساء كما في العصر الجاهلي أمثال امرئ القيس، بل كان يحيا حياته كلّها مُقتصراص على محبوبة واحدة لا يتركها، سواء انتهى أمرهما بالزواج أم لا.

وحدة الموضوع: خرجت القصيدة الغزلية على النمط الذي كان متعارفاً عليه في العصر الجاهلي، فلم تعد تبدأ بالمقدّمة الطلليّة، ثم تنتقل إلى الفخر والمدح، وتنتهي بالموضوع الرئيس للقيدة، بل كانت تتحدّث عن حبّ الشاعر وعاواطفه ومشاعره، واصفاً ألمه وشوقه ولوعة انتظاره، من أول بيت في القصيدة حتى آخرها.

بساطة المعاني والسهولة والوضوح: فالأفكار التي تنبع من القلب لا تحتاج إلى صنعة وتعقيد وإعمال الفكر، فهي تعبّر عمّا يُحسّ به الشاعر وما يؤلمه.

---

[1]- أسس النقد الادبي . احمد احمد بدوي: ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة 1994م.ص: 210

[2]- تاريخ الادب العربي .بلاشير، ترجمة: ابراهيم الكيلاني، دارالفكر دمشق، دارالفكر المعاصر، بيروت، 1419هـ|1998م.ص:88

[3]- تاريخ آداب اللغة العربية .جرجي زيدان، ، المجلد الاول، دارالفكر، دمشق، الطبعة الاولي 416:هـ/1996م. ص:65

الصدق: لأن العاطفة الصادقة مرتبة بالبساطة والوضوح؛ فمن يقتصر على محبوبة واحدة طوال الحياة لابد أن يكون صادقاً في مشاعره.

العفّة: ابتعد الشاعر العذري عن الوصف الحسّي كما في الغزل الصريح، واهتمّ بما يشعر به اكثر من اهتمامه بجمال محبوبته، فهالحب لديه عاطفة قويّة صادقة تتجاوز الحاجة الحسّية والجمال الجسدي.

الحزن والتشاؤم: أغلب قصص الشعراء العذريين لم تنته بزواجهم من محبوباتهم، وتمّت معاقبة الشاعر على ذكره محبوبته في شعره بمنعه من زواجهما، ولهذا، نجد طابع الشؤم مسيطراً على الطابع العام للقصيدة الغزلية.

أصحابه:

إن **جميل بن معمر العذري**، كان زعيم الغزل العذري.

ألا ليت أيام الصفا جديد ودهرا تولى يا بثين يعـــود

فنغنى كما كنا نكون وأنتم صديق وإذا ما تبذلين زهيـد

خليلي م أخفي من الوجد ظاهر فدمعي بما أخفي الغداة شهيد[1]

ونسطيع ان نذكر من الشعراء العذريين:

1- قيس بن الملوح. ويدعي بمجنون ليلي، نسبه الي ليلي التي اشتهر بحبه لها. ولم يعرف انه تغزل في غيرها. ونموذج من شعره.

اعد الليالي ليلة بعد ليلة وقد عشت دهرا لا اعداللياليـــا

اراني اذ اصليت يمت نحوها بوجهي وان كان المصلي ورائيا[2]

2-قيس بن ذريح، وصاحبه لبني، التي احبها، واخلص لها في الحب واصابه في سبيل حبها عذاب وسقم وهلاك، ويقول فيها:

يقر بعيني قربها ويزيدنـــــي بها كلفا من كان عندي يعيبها

وكم قائل قد قال تب فعصيتـــه وتلك لعمري توبة لااتوبهـــا

فيا نفس صبرا لست والله فاعلمي بأول نفس غاب منها حبيبهـا[3]

3- عروه بن حزام العذري، احب عفراء بنت عمه ويكاد يكون شعره حقولا فيها وحدها، ومن شعره:

ما بي من خبل ولا بي جنة ولكن عمي يا اخيَّ كذوب

اقول لعراف اليمامه:داوني فانك ان داويتنى بطبيب و..[4]

---

[1]- ديوان جميل بن يعمر. ص: 52

[2]- ديوان قيس بن الملوح. ص: 122.

[3]- ديوان قيس بن ذريح. ص: 85.

[4]- ديوان عروه بن حزام العذري. ص: 63.

خصائص الغزل العذري:

1- يمتاز بالعفّة والطّهارة، لكن كما قلنا سابقاً ليس هذا السبب الوحيد لتسميته بالعذري.

2- يبتعد فيه الشّاعر عن وصف المحبوبة بشكل يصف فيه جسدها أو شكلها الخارجي، بل قد يتغزّل في ملامح وجهها فقط، كما جاء في بيت من الشعر لقيس ليلى:

سقتني شمسٌ يُخْجِلُ البدرَ نورُها ويكسفُ ضوءَ البرقِ وهو بروق

3- يتّخذ الشّاعر محبوبة واحدة فقط طوال حياته ويتغزّل بها في جميع أبياته وقصائده الشعرية:

ويحسبُ نسوانٌ لهنَّ وسيلةً من الحبِّ، لا بل حبُّها كان أقدمَا

الشعر العمري:

تعددت الدلالات علي طابع هذا الغزل عند النقاد، سماه بعضهم الأباحي، واعتبره البعض الآخر غزلاً مادياً ودعاه طه حسين «غزل المحققين» ولا تخلو نسبته الي هذه الظواهر المختل فة من الصدق.

فهو حضري لأنه ظهر في المدن، وكان شعراؤه من اهل الحضر الذين نالوا نصيباً كبيراً من ترف الحياه ونعيم العيش؛ وهو اباحي لأن منشديه لم يتورعوا فيه عن وصف لذائذ الوصال بين المرأه والرجل، وبالغوا في ذلك احياناً ولم يجدوا حرجاً في كثير من الأوقات. وهو مادي لتلك الأسباب التي ذكرنا، لأنه يصور أحاسيس الحب المادية.

وهو غزل واقعي، لأنه يعكس واقع المجتمع الحضري، ونفسية المرأة في ذلك العصر، ويدخل بنا الي ردهات تلك الحياة الناعمة، حيث لاذكر الا الهوي، ولا حديث الا عن العلاقة، ولا اهتمام الا بشؤون القلب وقدشاء الدكتور طه حسين ان يهتم بالجانب الذي يمس الغزليين في هذاالشعر فسمي اصحابه «المحققين»[1] . لأنهم اهتموا بالناحية العملية من الحب، وقصدوا الي الوصال ولم يذهبوا كالعذريين الي تصوير اليأس والحرمان واظهار العفة والبراءة.

هؤلاء الشعراء انقطعوا للغزل، او كادو ينقطعون له ولكنهم لم يلتسموا الحب في السحاب، ولم يتخذوا العفه مثلهم الأعلي، وانما عبثوا ولهوا واستمتعوا بالحياة، وتغنوا هذا العبث واللهو وقصروا شعرهم عليها، او جاوزوهما الي فنون أُخري من الشعر، ولكنهم لم يبلغوا منها ما بلغوا من الغزل. زعيم هؤلاء الشعراء عمر بن ابي ربيعه.

الغزل العمري تعبير عن طبقه متحررة منطلقة، تضع شهواتها وملاذها فوق كل شيء وتلوب في حياتها تنشد هذه الملاذ والشهوات. انها لم تنس نصيبها من الدنيا ولكنها نسيت نصيبها من الآخرة ولم تبتغ الدار الآخرة وانما ابتغت الفساد في الأرض... طبقة من سادة قريش وغير قريش وهو شبابها. عادت الي شيء من حياة فيها غير قليل من بقايا الجاهلية فغلب عليها الخمر والفساد .

---

[1]- ينظر: طه حسين. من تاريخ الادب العربي، المجلد الاول، دارالعلم للملايين، بيروت، الطبعه الرابعه، 1982م. ص:75.

فهو ايضاً التعبير عن العاطفة التي تكالبت علي اللذة في غير حرمان، فأصبح حكاية حال، ووصف الوان واشكال. وذكريات في غير حنين، تشكيات في غير أنين، وتصريحاً في غير اقتصاد، وتلبية لكل هو في غير تردد ولاغناء. ومن ثم فهو التجربة التي لايصقلها الألم، ولا يحرق أنفاسها الوجد والجوي، وهذا النوع من الشعر يحفل بمظاهر الحضارة الأناقة، وأساليب الأغرار والتحايل، ولكنه بعيد عن اغوار النفس، يمتد في العرض والهول، ضاحكاً في آلامه واعماله، حياً في حركاته وحواره، جذاباً في لينه وعنائيته، الا انه قلما ينقل التجربة المؤثرة التي تهز الكيان وتبعث الأشجان.

وما من شک ان قصيدة الغزل الحضري في العصر الاموي تمتد بجذورها الي قصيدة الغزل الحضري التي عرفت عند امري القيس والأعشي علي وجه الخصوص، في العصر الجاهلي، غير انه ما من شک ايضاً، انها تجاوزتها بالآلاف الأشواط، وذلک لتجاوز الحياة الحضرية في العصر الاموي حضارة الماضي الجاهلي بالأشواط ايضاً.

يؤكد عميد الادب العربي، أن عمر بن ابي ربيعه هو زعيم الغزليين، وزعيم الشعراء العرب قاطبة إلي يومنا هذا[1]، لأنه استطاع ان يمثل العصر الذي كان يعيش فيه، والبيئة التي كان يحيا فيها، فشعره يصور الحياة الحضرية في الحجاز علي حقيقتها، حيث كان سراة قريش والحجاز يقضون حياتهم الهادئة الفارغة، ويصلون بعضهم بألوان الصلاة المختلفة الحلوة. كذلک يصور حياة المرأة المترفة الارستقراطية، وحياة الشباب الحجازي الساعي إلي لهو ابناء السادات وترفهم الذين ضاق بهم الساحه السياسية، فأسرهم نعيم العيش وأسرهم. فضلاً عن ذلک، فعمربن ابي ربيعة، كان يعيش عيشة الرجل المترف الذي اتيحت لهم اسباب اللهو ووسائله، غير انه كان مقيداً بشرفه ومكانته وما الف الناس من الاوضاع الاجتماعية، بحسب رأي طه حسين، ولهذا اتي شعره صورة صادقة، وربما ناطق عن عصر اندرجت فيه الحضارة من الوضيع إلي الرفيع.

<u>شعر ابن أبي ربيعة العُذري</u>

يتفق النقاد على أنَّ عمر بن أبي ربيعة، أغزلُ العرب حتى عصره، حيث كان من أبرز المجددين في الشِعر العربي آن ذاك، وربما أول من أفرد قصيدة للغزل، كموضوع مستقل.

كما أنَّه مرَّ على الغزل العذري في بعض أبياته، وإنْ تابعت القصيدة في فجورها، لكن أبياتاً حملت المعاني العذرية، العفيفة:

أَلاَ حَبّذَا، حَبّذَا، حَبّـــــذَا حَبِيْبٌ تَحَمَّلْتُ مِنـــــهُ الأَذَى

وَيَا حَبّذَا مَنْ سَقَانِي الجَوَى ونَبْضاً مِنَ الحُزْنِ مِنْهُ اغْتَذَى

غَذَاهُ بِدَمْعٍ وقَلْبٍ بَكَى عَلَى غُصْنِ رُوحٍ تَبُثُ الشَـــــــذى

---

[1]-ينظر: طه حسين. من تاريخ الادب العربي . ص:91.

تَرَاءَى لِعَيْنِي سَنَا عَيْنِهِ وَهَلَّتْ عُيُونِي: أَلاَ حَبّذَا

تَمَلَّكَ مِنِّيْ سَلِيلُ الوِدَادِ وقَلْبِيْ تَبَنّاهُ واسْتَحْوَذَا[1]

أشعار الأحوص غير العذرية

هو عبد الله بن محمد الأوسي الملقب (الأحوص)، وتعني ضيِّقَ العينين، من أهل المدينة، قيل أنَّه سكن دمشقَ، ومات فيها، فكان في شبابه طائشاً، يحب اللهو، وينظمُ الشِعر في شؤونه، كما يعتبر بعض النقاد، أنَّ الأحوص مهَّد لشعراء اللهو اللاحقين، أمثال بشار بن برد وغيره:

خَلِيلاَنِ بَاحَا بالهَوَى فَتَشَاحَنَتْ أقاربُها في وَصلِها وأقَاربُهْ

ألا إنَّ أهوَى النَّاسِ قُرباً ورُؤيةً وَرِيحاً إذا ما اللَّيْلُ غَارَتْ كَوَاكِبُهْ

ضجيعٌ دنا منِّي جذلتُ بقربهِ فباتَ يُمنِّيني وبتُّ أعاتبُهْ

وَأُخْبِرُهُ فِي السِرِّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ بأنْ ليسَ شيءٌ عندَ نفسي يقاربُهْ[2]

من أبيات الأحوص العذرية

مَا عَالَجَ النَّاسُ مِثْلَ الحُبِّ مِنْ سَقَمٍ ولا برى مثلهُ عظماً ولا جَسَدا

ما يَلبثُ الحُبُّ أنْ تبدو شَوَاهِدهُ مِن المُحِبِّ، وَإِنْ لَمْ يُبْدِهِ أَبَدَا[3]

شعر غزل وليد بن يزيد في سليمى

هو أبو العبَّاس، الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان، ولد في دمشق، وبُويع بالخلافة سنة 743م/125هـ، وكان ماجناً، مخموراً، ميالاً إلى النساء، واللهو، حكم سنةً وبعض السنة، ثم قُتِل.

لكن ما وصلنا من شعره إلا القليل، حيث تكاد تخلو قصائده إلا من المجون، والخمر، واللهو، كما أنَّ خلافاً حول حقيقة هذه الروايات يدور بين المؤرخين.

حيث كانت فترة الوليد من آخر فترات الدولة الأموية، فألَّفوا عليه القصص، ونحلو شعراً باسمه، لكن مهما يكن، فإنَّ شِعره امتاز بخطابات كثيرة لامرأةٍ واحدة، هي سمى، أو سليمى:

أرَانِي تَصابَيتُ وقدْ كُنتُ تَناهيتُ ولو يَترُكُني الحُبُّ لَقَدْ صُمتُ وصَلَّتُ

إنْ شِئتُ تَبصَّرتُ ولمْ أبصِر لو شِيتُ لا واللهِ لا يُصبِرُ في الدَّيمومةِ الحُوتُ

سُليمى؛ لَيسَ لي صَبرٌ وإنْ رَخَصَتْ جِيتُ فَقبلتُكِ ألفين وفَدَيتُ وحبَّيتُ[4]

---

[1]- من شعر الأحوص.

[2]- من شعر الأحوص.

[3]- من شعر غزل وليد بن يزيد في سليمى.

[4]- من شعر غزل وليد بن يزيد في سليمى.

قصيدة إنما هاج قلبي بعد المشيب

إنَّما هاجَ لِقلبي شَجوُّهُ بَعدَ المَشيـــــبِ نَظرةٌ قدْ وقَرَتَ في القِلبِ مِن أمِّ حبيبِ

فإذا ما ذُقتُ فاها ذُقتُ عَذباً ذا غُروبِ خَالطَ الرَّاح بِمِسكٍ خَالصٍ غَيرَ مَشوبِ[1]

خصائص الشعر العمري:

الإجادة في وصف المرأة ومميزاتها.

وصف القامة والمشية وبشرة الجسم، وأعضائه.

تغزله بنفسه.

الحوار ضمن القصيدة ، قالت، قلتُ.

وحدة القصيدة الموضوعية.

خاتمة:

واصل شعراء الشام و العراق الطريقة التقليدية فتميز شعرهم عن الشعر البدوي رغم بقاء الصلة بينهما، ويبرز هذا من خلال شعر عمر بن أبي ربيعة فيعتبر رائِد شعر الغزل الاباحي في عصره بحيث تميزت الصورة الشعرية عنده بجعل المرأة عاشقة، وجعل عمر المعشوق، فسيطرت الذاتية في شعره، وهو موطن الاختلاف مع الغزل العذري، فلامه النقاد على طريقته الإباحية وموقفه من النساء.

لكل ما سبق ذكره نستطيع أن نقول أن عمر أبدع في عصره في مجال الشعر الإباحي، وساعده في ذلك تطور عقلية المجتمع والترف المادي الذي جعل المجالس الادبية ومجالس الغناء والطرب تجمع الرجال والنساء من الطبقة الراقية فتنشأ بين الجنسين علاقات الحب، بعضها جاد وبعضها مجرد لهو وتسلية، وبذلك تفوق عمر وكان زعيم الشعراء الاباحيين.

ولكن هناك امر آخر يلفت النظر وهو انقسام هذا الجنس الشعري الى الغزل العمري و البدوي. وان النوع الاول قد سبق النوع الثاني وعلى هذا الامر قد ساق كثير من الباحثين الى الاعتقاد بان الثاني منه يعد بمثابة ردة فعل للاول ولكن برأيي لا يمكن الاستناد بهذا القول. بل يمكننا ان نقول ان كل واحد منهما بمثابة ردة فعل لاوضاع حياتهم واحوال معيشتهم. لان كل واحد من شعراء الغزل الاباحي والحضري كان مشغولا عن الاخرى بنفسه والتاريخ لم يذكر لنا عن علاقة كل واحد من هذين بالآخر لكي ينضجر اصحاب الغزل العفيف عن اباحية ومجون الحضرين وعزم على ردة الفعل.

---

[1]- من شعر غزل وليد بن يزيد في سليمى.

المحاضرة 08: شعر الزهد والتصوف(نصوص من المشرق والمغرب. أبو العتاهية. ابن الفارض...)

تعريف الزهد في اللغة: الزهد ضد الرغبة، والتزهيد في الشيء وعن الشيء خلاف الترغيب فيه.
يقال: زَهَدَ فيه وعنه بمعنَى تَرَكَه وأَعرَض عنه، وقال الله تعالى: ﴿ **وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ** ﴾[1].قال ثعلبٌ: اشتَرَوْه على زُهْد فيه.
ويأتي بمعنى القليل: فالزهد القلة في كل شيء, يقال عطاء زهيد أي قليل، وأَزْهَدَ الرجلُ إِزْهاداً إذا كان مُزْهِداً لا يُرْغَبُ في ماله لقلته، وازْدَهَدَ العطاءَ استقلَّه، والمُزْهِدُ القليل المال.
والزَّهيدُ: القَليلُ والضَّيِّقُ الخُلُقِ كالزَّاهِدِ والقَليلُ الأَكْلِ والوادي الضَّيِّقُ، وازْدَهَدَهُ: عَدَّهُ قليلاً. وقال الأَزْهَرِيُّ: رجل زَهيدُ العَيْنِ إذا كَأن يُقْنِعه القَليلُ ورَغِيبُ العَيْنِ إذا كَأن لا يُقْنِعُه إلا الكَثيرُ[2].
ويأتي بمعنى التعبد: يقال فلان يتزهد أَي يتعبد والزُّهدُ في الدّين خاصةً, والزهادة في الأشياء كلها[3].
فالزهد في اللغة هو ترك الميل إلى الشيء، وقلة الرغبة فيه.
الزهد في الاصطلاح: اختلفت عبارات أهل العلم في تعريف الزهد مع تقارب المعاني فقد قيل في تعريفه: بغض الدنيا والإعراض عنها.
وقيل هو ترك راحة الدنيا طلباً لراحة الآخرة، وقيل أن يخلو قلبك مما خلت منه يدك[4].
ومن أصوب ما قيل فيه أنه: أخذ أقل الكفاية مما تُيقن حله، وترك الزائد على ذلك لله تبارك وتعالى[5].

يعد شعر الزهد من إحدى أنواع الشعر التي جاءت عملية ظهورها في العصر العباسي ، و تلك النوعية من الشعر تعتمد ، و بشكل رئيسي على الدعوة إلى ترك الملذات الدنيوية ، و التوجه إلى المولى عز وجل ، و الإخلاص لوجهه ، و كان ظهور هذا النوع من الشعر يقابله في نفس الفترة الزمنية تيار قوي يدعو إلى الترف ، و العيش الماجن ، و من ضمن أشهر الشعراء الذين عرف عنهم هذا النوع من الشعر الشاعر أبو العتاهية ، و الشاعر صالح بن عبد القدوس.
خصائص شعر الزهد :يتميّز شعر الزهد بعددٍ من الخصائص، ومنها ما يأتي:
سهولة وبساطة الصياغة: تميّز شعر الزهد ببساطة التراكيب والألفاظ، والابتعاد عن التعقيد[6].

---

[1]- سورة يوسف. الآية:20.
[2]- تاج العروس: 1/ 2012.
[3]-ينظر في معنى الزهد لسان العرب:196/3،والقاموس المحيط:365/1، وتاج العروس:2011/1، وكتاب العين:4/ 12.
[4]- ينظر هذه التعاريف في التعريفات: 1/ 153، والتعاريف: 1/ 390.
[5]- تاج العروس: 1/ 2011.
[6]- أبو العتاهية و خصائص شعره"، www.repositori.uin-alauddin.ac.id، page:61-63 اطّلع عليه بتاريخ 13-8-2018. بتصرّف.

الخروج عن الأوزان التقليدية الشعرية: تميز شعر الزهد بالخروج عن الأوزان التقليدية الشعرية والخروج عن قواعد العروض، وابتكار أوزان جديدة، ويُقال أنّ أبا العتاهية وبشار بن برد هما أول من كسرا قواعد القافية التقليدية [1].

تكرار أسلوب الخطابة الوعظية: وذلك من أجل تنبيه المستمع، أو زجره، أو إبعاده عن الملل[2].

الإكثار من الأساليب الإنشائية: خاصةً أسلوب النداء، وأسلوب التعجب، وأسلوب الاستفهام، وأسلوب الأمر، وأسلوب النهي، حيث تتميّز هذه الأساليب بقدرتها على لفت الانتباه، وتشويق المستمع [3].

العقليّة المليئة بالحكمة والطابع الفلسفي: حيث يتمّ توظيف الحكمة في الشعر المتعلّق بالحياة، وأمور الدنيا، والأخلاق، والناس[4].

نبذة حول شعر الزهد انتشر شعر الزهد في العصر الأندلسي، حيث كان هذا اللون أحد الأغراض الشعرية المنتشرة، ويُذكر أنّ ابن أبي زمنين هو أحد الشعراء الذين انتهجوا هذا اللون الشعري في القرن الرابع الهجري، وقد كان الشعر الزهدي قليل الورود في الأشعار، ولكن مع تقدم الشاعر في العمر ومع ظروف الحياة المتقلّبة أصبح ينظم أشعاراً من الزهد، وشهد القرن الخامس الهجري ظهور عدد غير قليل من الشعراء الذين نظموا الزُهديات؛ وذلك بسبب ظروف ذلك القرن من فوضى الحياة السياسية، والاجتماعية، والثقافية، وأصبح الزهد مذهباً أدبياً وأخلاقياً لدى العديد من الشعراء، ورأوا في هذا الشعر طريق النجاة والخلاص من الأوضاع الحياتية المتقلّبة [5].

من شعراء الزهد نبغ عدد من الشعراء الذين نظموا شعر الزهد، ومنهم ما يأتي[6].

---

[1] أبو العتاهية و خصائص شعره"، www.repositori.uin-alauddin.ac.id، page:64-66. اطّلع عليه بتاريخ 13-10-2018. بتصرّف.

[2] أبو العتاهية و خصائص شعره"، www.repositori.uin-alauddin.ac.id، page: 69-72. اطّلع عليه بتاريخ 13-10-2018. بتصرّف.

[3] أبو العتاهية و خصائص شعره"، www.repositori.uin-alauddin.ac.id، page: 69-72. اطّلع عليه بتاريخ 13-10-2018. بتصرّف.

[4] "أبو العتاهية و خصائص شعره"، www.repositori.uin-alauddin.ac.id، page:72-73. اطّلع عليه بتاريخ 13-10-2018. بتصرّف.

[5] أبو العتاهية و خصائص شعره"، www.repositori.uin-alauddin.ac.id، page:72-73. اطّلع عليه بتاريخ 13-10-2018. بتصرّف.

[6] عيسى سلمان درويش المعموري (27-12-2013)، "شعر الزهد والتصوف"، www.uobabylon.edu.iq، اطّلع عليه بتاريخ 15-10-2018. بتصرّف.

علي بن إسماعيل القرشي، ويُلقّب بالطليطل. أبو إسحاق الإلبيري. أبو العتاهية [1].

التعريف بالشاعر: أبو العتاهية: إسماعيل بن القاسم بن سويد العيني ,العنزي (من قبيلة عنزة) بالولاء، أبو إسحاق الشهير بأبي العتاهية.(130هـ-211هـ/747م-826مم) شاعر مكثر، سريع الخاطر، في شعره إبداع. كان ينظم المئة والمئة والخمسين بيتاً في اليوم، حتى لم يكن للإحاطة بجميع شعره من سبيل. وهو يعد من مقدمي المولدين، من طبقة بشار وأبي نواس وأمثالهما. جمع الإمام يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي ما وجد من (زهدياته) وشعره في الحكمة والعظة. وماجرى مجرى الأمثال، في مجلد، منه مخطوطة حديثة في دار الكتب بمصر، اطلع عليها أحد الآباء اليسوعيين فنسخها ورتبها على الحروف وشرح بعض مفرداتها، وسماها (الأنوار الزاهية في ديوان أبي العتاهية – ط) وكان يجيد القول في الزهد والمديح وأكثر أنواع الشعر في عصره. ولد في (عين التمر) بقرب الكوفة، ونشأ في الكوفة، وسكن بغداد. وكان في بدء أمره يبيع الجرار فقيل له (الجرَار) ثم اتصل بالخلفاء وعلت مكانته عندهم. وهجر الشعر مدة، فبلغ ذلك المهدي العباسي، فسجنه ثم أحضره إليه وهدده بالقتل أو يقول الشعر ! فعاد إلى نظمه، فأطلقه. وأخباره كثيرة. توفي في بغداد

مال أبو العتاهية إلى الشعر والأدب بعد أن كان بائعا للجرار، اشتهر بشعر الزهد، والمدح، لقب بهذا الاسم لأنه كان في شبابه معروف بالمجون، لكنه كف عن ذلك واتجه إلى حياة الزهد والتنسك، والانصراف عن ملذات الدنيا، والانشغال بالدار الآخرة والموت، ويعد أبو العتاهية من أعظم **شعراء العصر العباسي**، وله العديد من القصائد التي أسرت قلوب الخلفاء لاسيما الخليفة هارون الرشيد.

من أشعار الزهد يهدف شعر الزهد إلى التزهّد في أمور الدنيا، والشوق إلى حياة التزهّد الحقيقية، ومن ذلك أقوال أبي العتاهية [2]:

رَغِيفُ خُبْزٍ يَابِسٌ تَأْكُلُهُ فِي زَاوِيَـــــــــــهْ وَكُوزُ مَاءٍ بَارِدٍ تَشْرَبُهُ مِنْ صَافِيـــــهْ
وَغُرْفَةٌ ضَيِّقَةٌ نَفْسُكَ فِيهَا خَالِيَـــــــــــهْ أَوْ مَسْجِدٌ بِمَعْزِلٍ عَنِ الوَرَى فِي نَاحِيَهْ
تقرأ فيه مصحفا مستندا لساريـــــــــــة معتبرا بمن مضى من القرون الخاليــة
خير من الساعات في فيء القصور العالية تعقبها عقــوبة تصلي بنار حاميـــــة
فهذه وصيتي مخبرة بحاليـــــــــــة طوبى لمن يسمعها فهي لعمري كافيــة

---

[1] هناء دويدري (11-4-2016)، "تاريخ الشعر العربي في الأندلس"، www.islamstory.com، اطّلع عليه بتاريخ 15-10-2018. بتصرّف.

[2] كمال تمام (30-3-2011)، "أبو العتاهية ومذهبه الشعري"، www.alukah.net، اطّلع عليه بتاريخ 15-10-2018. بتصرّف.

يقول أبو العتاهية

إِذا ما خَلَوتَ الدَهرَ يَوماً فَلا تَقُل خَلَوتُ وَلَكِن قُل عَلَيَّ رَقيبُ

وَلا تَحسَبَنَّ اللَهَ يُغفِلُ ما مَضى وَلا أَنَّ ما يَخفى عَلَيهِ يَغيبُ

لَهَونا لَعَمرُ اللَهِ حَتّى تَتابَعَت ذُنوبٌ عَلى آثارِهِنَّ ذُنوبُ

فَيا لَيتَ أَنَّ اللَهَ يَغفِرُ ما مَضى وَيَأذَنُ في تَوباتِنا فَنَتوبُ

إِذا ما مَضى القَرنُ الَّذي كُنتَ فيهِم وَخُلِّفتَ في قَرنٍ فَأَنتَ غَريبُ

وَإِنَّ امرَأً قَد سارَ خَمسينَ حِجَّةً إِلى مَنهَلٍ مِن وِردِهِ لَقَريبُ

نَسيبُكَ مَن ناجاكَ بِالودِّ قَلبُهُ وَلَيسَ لِمَن تَحتَ التُرابِ نَسيبُ

فَأَحسِن جَزاءَ ما اجتَهَدتَ فَإِنَّما بِقَرضِكَ تُجزى وَالقُروضُ ضُروبُ[1]

ويقول في قصيدة أخرى:

لعَمْرُكَ، ما الدّنيا بدارِ بَقَاءِ؛

لعَمْرُكَ، ما الدّنيا بدارِ بَقَـــاءِ؛** كَفَاكَ بدارِ المَوْتِ دارَ فَنَـاءِ**

فلا تَعشَقِ الدّنْيا، أُخيَّ، فإنّمـا * يُرَى عاشِقُ الدُّنيَا بجُهْدِ بَلاَءِ**

حَلاَوَتُهَا ممزَوجَةٌ بمـــــرارة * ورَاحتُهَا ممزوجَةٌ بِعَنـــاءِ**

فَلا تَمشِ يَوْماً في ثِيابِ مَخيلَة * فإنَّكَ من طينٍ خلقتَ ومَـــاءِ**

لَقَلّ امرُؤٌ تَلقاهُ لله شاكِـــــراً؛ ****وقلَّ امروٌ يرضَى لهُ بقضَاءِ

وللّهِ نَعْمَاءٌ عَلَينا عَظيمَـــــــةٌ ، ****ولله إحسانٌ وفضلُ عطـاءِ

ومَا الدهرُ يوماً واحداً في اختِلاَفِهِ ****ومَا كُلُّ أيامِ الفتى بسَـــوَاءِ

ومَا هُوَ إلاَّ يومُ بؤسٍ وشـــــدةٍ ****ويومُ سُرورٍ مرَّةً ورخـــاءِ

وما كلّ ما لم أرْجُ أُحرَمُ نَفْعَـــــهُ؛ ** وما كلّ ما أرْجوهُ أهلُ رَجاءِ**

[1] – ديوان أبي العتاهية، تحقيق شكري فيصل. ص:311.

أيَا عجبَا للدهرِ لاَ بَلْ لريبِـــــهِ **** يخرِّمُ رَيْبُ الدَّهْرِ كُلَّ إخَـاءِ
وشَتّتَ رَيبُ الدّهرِ كلَّ جَماعَـــةٍ**** وكَدّرَ رَيبُ الدّهرِ كُلَّ صَفَاءِ
إذا ما خَليلي حَلّ في بَرْزَخِ البِلى **** فَحَسْبِي بهِ نأْياً وبُعْدَ لِقَاءِ
أزُورُ قبورَ المترفينَ فَـــلا أرَى **** بَهاءً، وكانوا، قَبلُ،أهل بهاءِ
وكلُّ زَمانٍ واصِلٌ بصَريمَـــــةٍ ، ****وكلُّ زَمانٍ مُلطَفٌ بجَفَـــــاءِ
يعِزُّ دفاعُ الموتِ عن كُلِّ حيلةٍ **** ويَعْيَا بداءِ المَوْتِ كلُّ دَواءِ
ونفسُ الفَتَى مسرورَةٌ بنمائِهَا ****وللنقْصِ تنْمُو كُلُّ ذاتِ نمَـاءِ
وكم من مُفدًّى ماتَ لم يَرَ أهْلَهُ ****حَبَوْهُ، ولا جادُوا لهُ بفِـــــداءِ
أمامَكَ، يا نَوْمانُ، دارُ سَعـــادَةٍ **** يَدومُ البَقَا فيها، ودارُ شَقاءِ
خُلقتَ لإحدى الغايَتينِ، فلا تنـمْ،****وكُنْ بينَ خوفٍ منهُمَا ورَجَاءُ
وفي النّاسِ شرٌّ لوْ بَدا ما تَعاشَرُوا ****ولكِنْ كَسَاهُ اللهُ ثوبَ غِطَاءِ[1]

أشد الجهاد جهاد الهوى

أشدُّ الجِهَادِ جهادُ الهـــوى *** ومَا كرَّمَ المرءَ إلاَّ التُّقَى
وأخلاَقُ ذِي الفَضْلِ مَعْرُوفة***ٌ ببذلِ الجميلِ وكفِّ الأذَى
وكُلُّ الفَكَاهاتِ ممْلُولـــــةٌ *** وطُولُ التَّعاشُرِ فيهِ القِلَى
وكلُّ طريفٍ لَـــهُ لـــــذَّة *** وكلُّ تَليدٍ سَريعُ البلَـــى
ولاَ شَيءَ إلاَّ لَـــــهُ آفَـــةٌ ***وَلاَ شَيْءَ إلاَّ لَهُ مُنْتَهَـــى
وليْسَ الغِنَى نشبٌ فِي يَـدٍ *** ولكنْ غِنى النّفس كلُّ الغِنى
وإنَّا لَفِي صُنْعِ ظَاهِـــــرٍ *** يدُلّ على صانعٍ لا يُـــرَى[2]

أذَلَّ الحِرْصُ والطَّمَعُ الرِّقابَا

أذَلَّ الحِرْصُ والطَّمَعُ الرِّقابَا *** وقَد يَعفو الكَريمُ، إذا استَرَابَـا
إذا اتَّضَحَ الصَّوابُ فلا تَدْعُهُ *** فإنّكَ قلّما ذُقـتَ الصّوابَـــــا
وَجَدْتَ لَهُ على اللّهَواتِ بَرْداً،*** كَبَرْدِ الماءِ حِينَ صَفَا وطَابَـــا
ولَيسَ بحاكِمٍ مَنْ لا يُبَالـــي، *** أأخْطأَ فِي الحُكومَةِ أمْ أصَابَا
وإن لكل تلخيص لوجهـــا،*** وإن لكـل مسألـــةٍ جوابـــا
وإنّ لكُلّ حادِثَةٍ لوَقْتـــــاً؛ *** وإنّ لكُلّ ذي عَمَلٍ حِسَابَـــا

---

[1]- ديوان أبي العتاهية، تحقيق شكري فيصل. ص:02

[2]- أبو العتاهية أشعاره وأخباره. شكري فيصل. ص:07

وإنّ لكُلّ مُطّلَـــعٍ لَحَـــــــدّاً،*** وإنّ لكُلّ ذي أجَلٍ كِتابَـــا
وكل سَلامَةٍ تَعِــدُ المَنَايَــا؛*** وكلُّ عِمارَةٍ تَعِدُ الخَرابَـــا
وكُلُّ مُمَلَّكٍ سَيَصِيرُ يَوْمـــاً، ***وما مَلَكَتْ يَداهُ مَعاً تُرابَـا
أبَتْ طَرَفاتُ كُلّ قَريرِ عَيــنٍ *** بِهَا إلاَّ اضطِراباً وانقِلاَبَـــا
كأنَّ محَاسِنَ الدُّنيا سَــرَابٌ *** وأيُّ يَدٍ تَنَاوَلَتِ السّرابَـــــا
وإنْ يكُ منيَةٌ عجِلَتْ بشيءٍ ***تُسَرُّ بهِ فإنَّ لَهَا ذَهَابَـــــا
فَيا عَجَبَا تَموتُ، وأنتَ تَبني،*** وتتَّخِذُ المصَانِعَ والقِبَابَـــا
أرَاكَ وكُلَّما فَتَّحْـــتَ بَابـــاً*** مِنَ الدُّنيَا فَتَحَتَ عليْكَ بابَـا
أَلَمْ ترَ أنَّ غُدوَةَ كُــلِّ يومٍ*** تزِيدُكَ مِنْ منيَّتِكَ اقترابـــــا
وحُقَّ لموقِنٍ بالموْتِ أنْ لاَ ***يُسَوّغَهُ الطّعامَ، ولا الشّرَابَـــا
يدبِّرُ مَا تَرَى مَلْكٌ عَزِيــزٌ ***بِهِ شَهِدَتْ حَوَادِثُهُ رِغَابَـــــا
أَليسَ اللّهُ في كُلِّ قَريبـــاً؟ *** بلى من حَيثُ ما نُودي أجابَا
ولَمْ تَرَ سائلاً للهِ أكْـــــدَى *** ولمْ تَرَ رَاجياً للهِ خَابَـــــا
رأَيْتَ الرُّوحَ جَدْبَ العَيْشِ لمَّا***عرَفْتَ العيشَ مخضاً، واحتِلابَا
ولَسْتَ بغالِبِ الشَّهَواتِ حَتَّى*** تَعِدُّ لَهُنَّ صَبْراً واحْتِسَابَـــا
فَكُلُّ مُصِيبةٍ عَظُمَتْ وجَلَّت*** تَخِفُّ إذَا رَجَوْتَ لَهَا ثَوَابـــا
كَبِرْنَا أيُّهَا الأتَرابُ حَتَّـــى ***كأنّا لم نكُنْ حِيناً شَبَابَـــــا
وكُنَّا كالغُصُونِ إذَا تَثَنَّـتْ*** مِنَ الرّيحانِ مُونِعَةً رِطَابَـــا
إلى كَمْ طُولُ صَبْوَتِنا بدارٍ، ***رَأَيْتَ لَهَا اغْتِصَاباً واسْتِلاَبـــا
ألا ما للكُهُولِ وللتّصابي، ***إذَا مَا اغْتَرَّ مُكْتَهِلٌ تَصَابَـــــى
فزِعْتُ إلى خِضَابِ الشَّيْبِ منِّي *** وإنّ نُصُولَهُ فَضَحَ الخِضَابَا
مَضَى عنِّي الشَّبَابُ بِغَيرِ رَدٍّ ***فعنْدَ اللهِ احْتَسِبُ الشَّبَابـــــا
وما مِنْ غايَةٍ إلاّ المَنَايَـــا، ***لِمَنْ خَلِقَتْ شَبيبَتُهُ وشَابَـــا
ومامِنك الشبابُ ولستَ مِنهُ *** إذا سَألتك لِحيتك الخِضابـــــا[1]

[1]- أبو العتاهية أشعاره وأخباره .شكري فيصل. ص ص:20-21.

الصوفية أو التصوف :هو مذهب إسلامي. وهو منهج أو طريق يسلكه العبد للوصول إلى الله، أي الوصول إلى معرفته والعلم به[1]، وذلك عن طريق الاجتهاد في العبادات واجتناب المنهيات، وتربية النفس وتطهير القلب من الأخلاق السيئة، وتحليته بالأخلاق الحسنة. وهذا المنهج يقولون أنه يستمد أصوله وفروعه من القرآن والسنة النبوية واجتهاد العلماء فيما لم يرد فيه نص، فهو علم كعلم الفقه له مذاهبه ومدارسه ومجتهدوه وأئمته الذين شيدوا أركانه وقواعده – كغيره من العلوم – جيلاً بعد جيل حتى جعلوه علما سموه علم التصوف، وعلم التزكية، وعلم الأخلاق، فألفوا فيه الكتب الكثيرة بينوا فيها أصوله وفروعه وقواعده، ومن أشهر هذه الكتب :الحِكَم العطائية لابن عطاء الله السكندري، وقواعد التصوف للشيخ أحمد زروق، وإحياء علوم الدين للإمام الغزالي، والرسالة القشيرية للإمام القشيري،ومن جوامع الكلم لمحمد ماضي أبو العزائم وغيرها.

ويقصد بالتصوف في الاصطلاح تلك التجربة الروحانية الوجدانية التي يعيشها السالك المسافر إلى ملكوت الحضرة الإلهية و الذات الربانية من أجل اللقاء بها وصالا وعشقا، ويمكن تعريفه كذلك بأنه تحلية وتخلية وتجل، ويمكن القول أيضا بأن التصوف هو محبة الله والفناء فيه والاتحاد به كشفا وتجليا من أجل الانتشاء بالأنوار الربانية والتمتع بالحضرة القدسية.

قول **زكريا الأنصاري** :التصوف علم تعرف به أحوال تزكية النفوس، وتصفية الأخلاق وتعمير الظاهر والباطن لنيل السعادة الأبدية[2] .

قول **الشيخ أحمد زروق** :التصوف علم قصد لإصلاح القلوب وإفرادها لله تعالى عما سواه. والفقه لإصلاح العمل وحفظ النظام وظهور الحكمة بالأحكام. والأصول" علم التوحيد "لتحقيق المقدمات بالبراهين وتحلية الإيمان بالإيقان[3].

الشعر الصوفي

يعتبر الشعر الصوفي أحد أنواع الأدب الصوفي وهو شعر روحي وجداني ظهر بعد شعر الزهد والوعظ، وبعد انتشار مظاهر التقوى بين الفقهاء والمحدثين والأدباء، بلغ هذا النوع من الشعر ذروته في الشعر العربي مع ابن الفارض وابن العربي واتضحت معالمه في القرن الثالث الهجري في النصف الأول منه على وجه التحديد، ومن أشهر الشعراء المتصوفين جلال الدين الرومي وأحمد بدوي وشهاب الديم ابن الخيمي والحلاج وعفيف الدين التلمساني إضافةً إلى رابعة العدوية، وسنعرف في هذا المقال معلومات عن الشعر الصوفي.

---

[1] – قال ابن عطاء الله السكندري في الحكم العطائية : وصولك إلى الله وصولك إلى العلم به، وإلا فجَلَّ ربُّنا أن يتصل به شيء، أو يتصل هو بشيء

[2] – على هامش الرسالة القشيرية .ص: 7.

[3] – قواعد التصوف، تأليف: أحمد زروق، قاعدة 13 ص 6.

معلومات عن الشعر الصوفي

-يعد الشعر الصوفي نوعاً من الأدب الذي جاء به الصوفيون على اختلاف اتجاهاتهم ويتمثل هذا الأدب الفني برقيه وبقصائده المنظمة.

-يتميز الشعر الصوفي بأسلوبٍ يُدخل الطمأنينة إلى القلب لسعيه في تطهير الروح والنفس من حب الدنيا.

-من سمات هذا الشعر التعبير الرمزي والحب الإلهي والحديث عن باطن النفس وأسرارها وعدم الاحتفال بالفخامة والجزالة.

-الصفاء من الاصطلاحات الصوفية التي يقصد بها توحيد الخالق بصورةٍ خالصة.

-استُخدم رمز الخمر في هذا الشعر ويعني عند شعراء التصوف بسكر الأرواح وعشقها للخالق.

-يتميز الشعر الصوفي بالقصائد النورانية والحب الصوفي اللذان يستحوذان على القلب.

-الحب الإلهي واللغة والرمز والخيال والإشادة برجالات الولة من ركائز الشعر الصوفي المملوكي.

-يتخذ الشاعر من الحب الصوفي موضوعه عن الذات الإلهية ولذة حبه، كما يصف من خلاله الوصال واللوعة وكل ما يمر به من أحوالٍ ومقامات.

-يحمل في طياته المجاهدة بالنفس والزهد في الدنيا والإلهام القلبي والفيض الرباني.

-أفاض الشعراء الصوفيون في أشعارهم الحب الصوفي الإلهي الذي يتعلق بحب العبد للخالق وبحب الخالق للعبد.

خصائص الشعر الصوفي

إن ما يتميز به الشعر الصوفي عن باقي ألوان الشعر العربي هو ما زاده جمالاً على جمال القصيدة العربية المعروفة من خلال ما يلي:

1-**استخدام الألفاظ الخاصة:** حيث تتميز لغة الشعر الصوفي باستخدام الألفاظ ذات الغزل الحسي، للتعبير عن معاني الروح، كما تحمل المفردات في طياتها العديد من الإشارات والإلماحات إلى كل ما هو روحاني.

2-استخدام الرموز: وتختلف الرموز في الشعر الصوفي اختلافًا كليًا عن الرموز الأخرى التي تستخدم في الأسطورة في الشعر أو ما شابه، فهي رموز ذات بعد ديني وتنتمي إلى الروح الصوفية، كالجبة، والقباب، والطواف، والصلاة، والعشق الإلهي.

3-عدم الكشف عن المعنى الحقيقي دائمًا: وهي من أهم ميزات الشعر الصوفي حيث يستخدم في الشعر الصوفي بعض الكلمات والمعاني ذات الدلالات غير الواضحة والتي قد تؤدي أكثر من غرض، ولا يتم الكشف عن هذه المعاني إلا من قبل الشعراء بينهم وبين ذواتهم

مختارات من الشعر الصوفي

هناك العديد من نماذج هذا الشعر نذكر منها ما يلي:

ابن الفارض

أترى من أفتاك بالصدّ عنـــي ولغيري بالود من أفتاكـــــا
بانكساري بذلتي بخضوعـــي بافتقاري بفاقتي بغناكـــــا
لا تكلني إلى قوي جَلـــدٍ خـــان فإني أصبحت من ضعفاكـــا
كنت تجفو وكان لي بعض صبرٍ أحسن الله في اصطباري عزاكا
كم صدوداً عساك ترحم شكـواي ولو باستماع قولي عساكـــا
شنّع المرجفون عنك بهجـــري وأشاعوا أني سلوت هواكـــا
ما بأحشائهم عشقت فأسلو عنك يوماً، دع يهجروا، حاشاكـــا[1].

يقول ابن الفارض

هُوَ الحُبّ فاسلمْ بالحشا ما الهَوَى سَهْلُ فَما اختارَهُ مُضْنًى بهِ، ولهُ عَقْـــلُ
هُوَ الحُبّ فاسلمْ بالحشا ما الهَوَى سَهْلُ فَما اختارَهُ مُضْنًى بهِ، ولهُ عَقْـــلُ
وعِشْ خالياً فالحبُّ راحتُهُ عنـــــــاً وأوّلُهُ سُقْمٌ، وآخِـــرُهُ قَتْـــــــلُ
ولكنْ لديَّ الموتُ فيه صبابـــــــةً حَياةٌ لمَن أهوَى، عليّ بها الفَضْلُ
نصحتُكَ علماً بالهوى والّـــــذي أرَى مُخالفتي فاختَرْ لنفسكَ ما يحلـــو
فإنْ شِئتَ أنْ تحيا سَعيداً، فَمُتْ بـــهِ شَهيداً، وإلاّ فالغرامُ لَهُ أهْـــــلُ
تمسّكْ بأذيالِ الهوى واخلعْ الحيـــــا وخلِّ سبيلَ النَّاسكينَ وإنْ جلُّـــوا
وقلْ لقتيلِ الحبِّ وفَّيتَ حقَّـــــــهُ وللمدَّعي هيهاتَ مالكحلُ الكحـــلُ
قلبى يُحَدّثنى بأنّكَ مُتْلِفِـــــــــي روحى فِداكَ عرَفْتَ أمَ لم تَعْـــرِفِ
لم أَقْضِ حَقّ هَواكَ إن كُنتُ الـــــذي لم أقضِ فيه أسىً ومِثليَ مَنْ يَفي
ما لى سِوَى روحى وباذِلُ نفسِـــــهِ فى حُبّ مَن يَهْواهُ ليسَ بِمُســـرِف
فلَئِنْ رَضِيتَ بها فقد أسعَفْتَنـــــى يا خَيبَةَ المَسْعَى إذا لم تسعـــفِ[2]

---

[1]- ديوان ابن الفارض. ص:218

[2] - المصدر نفسه . ص : 301

المحاضرة 09: شعر الحماسة: نصوص لأبي تمام. البحتري... الزوزني. الشاطبي. الحماسة المغربية لأبي الحجاج يوسف البياسي.. الكوراني.....

الحماسة:

هو شعر الذي يثير الحماس في نفس الشاعر أو في نفس المستمع ، ومجالاته كثيرة ، وليست فقط ميادين المعارك هي التي تستنبط الحماسة ، إذ غالباً ما يتبادر إلى الارض أن شعر الحماسة هو الشعر المتعلق بالحرب ، الذي يصف المعارك ويشيد بالأبطال ويتوعد الاصحاب. ورثاء أبطال المعارك ، ومدحهم ، أو فخر الشاعر ببطولاته في الحرب . فالشعر الحماسي قد نلحظه في مجال الفخر ، ومجال الرثاء ، ومجال الهجاء ، ومجال الغزل . لأن في كل تلك المجالات يتطلب أن يتصف الشاعر أو السامع بالصبر ، والجهاد ، وتقوية الجأش .. وما إلى ذلك من تحميس للنفس .

خصائص شعر الحماسة

-المبالغة في الفخر.

-الاعتداد بالنفس.

-وصف الخصم وصفاً كريكتورياً . أو وصفه بالقوة الزائدة المفرطة.

-الحماسة تعني في الأصل معنى الشجاعة وتقترن بمعاني البطولة عمومًا كالبأس والإقدام، لكنها اقترنت أساسًا بالحرب، فكانت تعكس انفعالات الشاعر إزاء وقائعها وعتادها وعدّتها وغير ذلك من لوازم الحروب. وهي ليست نهجًا جديدًا بل هي نزعة ضاربة بجذورها في القدم، حيث برزت منذ ميلاد الشعر العربي في طوره الجاهلي. ولكنها كانت تقوى وتفتر من حين لآخر حسب متطلبات الواقع الحضاري. وقد كانت حاضرة في أغلب الأغراض الجادّة كالمدح والرثاء والفخر والهجاء. فبرز في الجاهلية النابغة، وطرفة، والأعشى، وعنترة وغيرهم، كما برز في العصر الأموي الأخطل وجرير والفرزدق.

وتواصلت نزعة الحماسة في العصر العباسي لعدة شعراء منهم أبو تمام والمتنبي والحسن بن هاني (أبو نواس) كان لهم نصيب موفور في الشعر الحماسي. وقد بدأ بالمتنبي الذي أبدع في وصف الوقائع، وفي وصف الجيش ووصف ساحة النزال ووصف القتلى والدماء، وتفضيل السيف على الكتاب. ففي وصف الوقائع مثلًا أبدع المتنبي في هذا المستوى، وله عدة قصائد جياد لعل أبرزها ميميته التي أنشدها بعد سقوط قلعة الحدث بين يدي سيف الدولة والتي مطلعها:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارمُ[1]

---

[1]- ديوان المتنبي . ص:401.

وفي العصر العباسي وما يليه من عصور، يظل الصراع مشتدا بين المسلمين وخصوم عقيدتهم من الروم والصليبيين والمغول، وتثمر تلك الحروب فيضًا زاخرًا من شعر الحماسة. ويقف في مقدمة الحماسيين:

أبو تمام: أَبو تَمّام حبيب بن أوس بن الحارث الطائي (188- 231 هـ/ 803- 845 م)، أحد فحول الشعر العربي. ولد في جاسم (من قرى حوران في سوريا). وفي شبابه، سافر إلى مصر، وتردد على مسجد الفسطاط، حيث حلقات العلم في اللغة والنحو والفقه والأدب وعلوم الدين. ثم حفظ الشعر منذ طفولته، وصار يقلد الشعراء حتى أبدعه. واستقدمه المعتصم إلى بغداد فقدمه على شعراء وقته، وأقام في العراق. ثم ولي بريد الموصل، فلم يتم السنتين في ذاك، حتى توفي.

وتفيد المصادر، أن أبا تمام، كان غزير العلم. وتفقه في العديد من العلوم. وكذا كان أسمر، طويلاً، فصيحاً، حلو الكلام، فيه تمتمة يسيرة، يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة من أراجيز العرب. ووصف بطيبة القلب والأخلاق والظرف والسماحة. وفي شعره قوة وجزالة، واختلفوا في التفضيل بينه وبين المتنبي والبحتري.

ومن نماذجه الرفيعة بائيته الشهيرة في فتح عمورية والتي مطلعها:

السيفُ أصدقُ أنباءً من الكتبِ في حّدهِ الحدُّ بين الجّدِ واللعـــــبِ

بيضُ الصَّفائحِ لاَ سودُ الصَّحائفِ في مُتُونِهنَّ جلاءُ الشَّك والريـــــبِ

والعِلْمُ في شُهُبِ الأَرْمَاحِ لاَمِعَةً بَيْنَ الخَمِيسَيْنِ لافي السَّبْعَةِ الشُّهُبِ

أَيْنَ الرِوايَةُ بَلْ أَيْنَ النُّجُومُ وَمَا صَاغُوه مِنْ زُخْرُفٍ فيها ومنْ كَذِبِ

تخرُّصاً وأحاديثاً ملفَّقـــــــة لَيْسَتْ بِنَبْعٍ إِذَا عُدَّتْ ولاغَـــــرَبِ

عجائباً زعموا الأيَّامَ مُجْفلةً عَنْهُنَّ في صَفَرِ الأَصْفَار أَوْ رَجَبِ

وخَوَّفُوا الناسَ مِنْ دَهْيَاءَ مُظْلِمَةٍ إذا بدا الكوكبُ الغربيُّ ذو الذَّنبِ

وصيَّروا الأبرجَ العُلْيا مُرتَّبةً مَا كَانَ مُنْقَلِباً أَوْ غيْرَ مُنْقَلـــبِ

يقضون بالأمر عنها وهي غافلة ما دار في فلك منها وفي قُطُبِ[1]

كما صنَّف أبو تمام مجموعته المسماة بالحماسة. وجعل أشعار الحماسة أول أبوابها وأغزرها مادة، مما يدل على اعتداد المسلمين بالجهاد واتخاذهم من شعر الحماسة مادة لإثراء القرائح الشعرية من جهة، وإلهاب مشاعر الجهاد من جهة أخرى. وقد مضى القول عن أبي الطيب المتنبي، وقصائده في مدح

---

[1]- ديوان أبي تمام . ص:271.

سيف الدولة، أرفع نماذج البطولة في ذاكرة أبي الطيب، تعد بحق أرفع ما فاضت به القرائح من الحماسيات الإسلامية، سواء في دقة وصف المعارك والجيوش والأسلحة، لدى المسلمين والروم، أم في تصوير شجاعة سيف الدولة وجنوده.

تعد "حماسة" أبي تمام، أهمَّ اختيار شعري في التاريخ الأدبي، إذ حفظتْ كثيراً من شعر الشعراء المقلين والمجهولين في التاريخ الأدبي..

وأبرز شعرُ الحماسةِ الكثير من القيم الإنسانية والعربية، مثل: الشجاعة، المروءة، الصبر، الكرم، التعفف. فلا عجب أن يقول بعض النقاد القُدامَى: "إن أبا تمام في اختياره الحماسة، كان أشعرَ منه في شعره". ويحلو لبعض القدامى، أن يسمي هذا الديوان، الذي جمع آلاف الأبيات من الشعر العربي، بـ"الحماسة الكبرى".. ولأبي تمام تجميع شعري اسمه "الحماسة الصغرى" (كتابُ الوحشيات).

وإذا كانت اختيارات البحتري قد حملت اسم" الحماسة "عنوانًا لها فإن ذلك يعني أنه اقتفى أثر أبي تمام في إطلاق اسم الجزء على الكل، فإن البحتري استهل" حماسته "بالعديد من الأبواب في ذكر شعر الحماسة، فإذا كان أبو تمام قد استهل حماسته بالقصيدة المشهورة:

لو كنت من مازن لم تسبح إبلي بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا

فإن **البحتري** يستهل حماسته بأبيات عمرو بن الإطنابة الخزرجي التي يقول فيها:

أبت لي عفتي وأبى إبائي وأخذي الحمد بالثمن الربيح

وإعطائي على المعسور مالي وضربي هامة البطل المشيح

وقولي كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدي أو تستريحي

وأدفع عن مكارم صالحات فأحمي بعد عن عرضٍ صحيح[1]

وهي أبيات ربما فاقت في سمو معانيها، وشدة حماستها معاني أبيات العنبري التي افتتح بها أبو تمام حماسته، إن هذه الأبيات الحماسية التي استهل بها البحتري حماسته كانت السبب فيما يروى عن معاوية بن أبي سفيان في ثباته يوم صفين وعدم فراره، قد روي عنه أنه قال :لقد وضعت رجلي في الركاب يوم صفين وهممت بالفرار فما منعني إلا قول ابن الإطنابة:

---

[1]- حماسة البحتري. ص:09.

أبت لي عفتي وأبي إبائي وأخذي الحمد بالثمن الربيح

إلى آخر الأبيات:

وإذا كان أبو تمام قد جعل" حماسته "في أحد عشر بابًا، فإن البحتري قد جعل" حماسته "في مائة وأربعة وسبعين بابًا، ولكن شتان الفرق بين الباب عند أبي تمام وبينه عند البحتري، فهو عند الأول أطول ويحتوي على موضوعات فرعية أكثر، ولكن الذي لا شك فيه أن حماسة البحتري أكبر من حماسة أبي تمام من حيث عدد المقطوعات والقصائد التي ضمتها دفتا كل منهما، فإذا كانت حماسة أبي تمام تضم ثمانمائة وإحدى وثمانين حماسية ما

وقال أبو القاسم المهراني الزوزني:

بَلائِي منكَ يَا مَوْلا يَ في خَطَّينِ من مسْكِ

كليلٍ تحتَهُ صُبْحٌ تَلاشَى فيهما نُسْكـــي[1]

ولأبي القاسم الزوزني:

أعطِنِي تَذكرةً خاتَمـــاً اسمُكَ مكتُوبٌ علَى فَصِّهِ

مَا روَّعَتْني زَفَراتُ الهَوَى ... إلاَّ تَرَوَّحتُ إلى مَصِّـــهِ[2]

وقال أبو علي الطلقي، وقد كتب بها إلى أبي القاسم الزوزني هذا مع غلام أهداه له:

قدْ وَهَبْنا غزالَنَا المَوْموقا ... لكَ إذْ كنتَ للغزالِ حَقِيقَـــا

وأَفَقْنا عن الصَّبابةِ واللَّهْ ... وِ وما كانَ عزمُنَا أنْ نُفِيقَـــا

هاكَ خذه إليكَ بَدراً مُنيراً ... وغزالاً أحوَى وغُصناً أَنيقَـــا

أبداً يَستفيدُ من وجهِهِ النَّا ... ظرُ معنًى من الجمالِ دَقيقَا[3]

البياسي صاحب الحماسة:(653 –573هـ)

أبو الحجاج يوسف بن محمد بن إبراهيم الأنصاري البياسي، أحد فضلاء الأندلس وحفاظها المتقنين؛ كان أديباً بارعاً فاضلاً، مطلعاً على أقسام كلام العرب من النظم والنثر، وراوياً لوقائعها وحروبها وأيامها، كان يحفظ كتاب "الحماسة" تأليف أبي تمام الطائي، والأشعار الستة، وديوان أبي تمام المذكور، وديوان أبي الطيب المتنبي، و"سقط الزند " ديوان أبي العلاء المعري، إلى غير ذلك من الأشعار من شعراء الجاهلية والإسلام.

---

[1]- حماسة الظرفاء من أشعار المحدثين والقدماء. الزَّوْزَني، عبد الله بن محمد بن يوسف العبدلكاني. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.ص:18.

[2]- المصدر نفسه . ص:18.

[3]- المصدر نفسه . ص:18.

تنقل في بلاد الأندلس وطاف بأكثرها. ولما قدم من جزيرة الأندلس إلى مدينة تونس، جمع للأمير أبي زكريا يحيى بن أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص عمر، صاحب إفريقية، كتاباً سماه "الإعلام بالحروب الواقعة في صدر الإسلام " ابتدأ فيه بمقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وختمه بخروج الوليد بن طريف الشاري على هارون الرشيد ببلاد الجزيرة الفراتية.

له كتاب "الحماسة" في مجلدين، كتبه في أواخر شهر ربيع الآخر سنة خمسين وستمائة، وقال في آخر الكتاب: وكان الفراغ من تأليفه وترتيبه بمدينة تونس، حرسها الله تعالى، في شوال سنة ست وأربعين وستمائة؛ ونقلت من أوله بعد الحمدلة ما مثاله: أما بعد فإني قد كنت في أوان حداثتي وزمان شبيبتي، ذا ولوع بالأدب ومحبة في كلام العرب، ولم أزل متتبعاً لمعانيه، ومفتشاً عن قواعده ومبانيه، إلى أن حصلت لي جملة منه لا يسع الطالب المجتهد جهلها، ولا يصلح بالناظر في هذا العلم إلا أن يكون عنده مثلها، وحملتني المحبة في ذلك العلم والولوع به على أن جمعت مما اخترته واستحسنته من أشعار العرب: جاهليها ومخضرميها وإسلاميها ومولدها، ومن أشعار المحدثين من أهل المشرق والأندلس وغيرهم، ما تحسن به المحاضرة وتجمل عليه المناظرة. ثم إني رأيت أن بقاءها دون أن تدخل تحت قانون يجمعها، وديوان يؤلفها، مؤذن بذهابها ومؤدٍ إلى فسادها، فرأيت أن أضم مختارها وأجمع مستحسنها، تحت أبواب تقيد نافرها وتضم نادرها، ونظرت في ذلك، فلم أجد أقرب تبويبٍ، ولا أحسن ترتيبٍ، مما بوبه ورتبه أبو تمام حبيب بن أوس رحمه الله تعالى في كتابه المعروف بكتاب "الحماسة" وحسن الإقتداء به والتوخي لمذهبه، لتقدمه في هذه الصناعة، وانفراده منها بأوفر حظ وأنفس بضاعة، فاتبعت في ذلك مذهبه ونزعت منزعه، وقرنت الشعر بما يجانسه، ووصلته بما يناسبه ونقحت ذلك، واخترته على قدر استطاعتي، وبلوغ جهدي وطاقتي.

كان مولده يوم الخميس الرابع عشر من شهر ربيع الأول. وتوفي يوم الأحد الرابع من ذي القعدة بمدينة تونس.

والبياسي: بفتح الباء الموحدة والياء المشددة المثناة من تحتها، هذه النسبة إلى بياسة، وهي مدينة كبيرة بالأندلس معدودة في كورة جيان، هكذا قاله ياقوت الحموي في كتابه " المشترك وضعا[1] .

---

[1]- ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. ابن خلكان، أحمد بن محمد بن أبي بكر. تحقيق: إحسان عباس، دار صادر بيروت، 1972م.ص: 312.

المحاضرة 10:الشعر السياسي في المشرق والمغرب(الفتوحات. الخوارج. الشيعة.السجون.. رثاء المدن..)

الشعر السياسي

عُدَّ الشعرُ السياسيّ على مدى الحياة الأدبيّة مَنصّةً للتعريفِ بالحركات السياسيّة التي وُلدت في كلّ عصر، من حيث أنّ المؤثّراتِ السياسيّة عامل رئيسٌ في تفتيق المَلَكات الأدبية، وقد تَضمّنَ هذا النوعُ من الشعر توجّهاتٍ وآراءَ سياسيّة تعبّر عن مذهب الشاعر، أو تخدم الطرف السياسي الذي يناصره وينافح عنه ويحتجّ له ويشايعُ أفكارَه، مع حرصه على الجانب الفنيّ للقصيدة وقيمتها الأدبيّة، وفي هذا المقال سيتم التحدّث عن نشأة الشعر السياسي، وذكر أهم شعراء الشعر السياسي.

نشأة الشعر السياسي

يرى النقادُ أنّ الشعرَ الذي دافع عن القبيلة وسجّلَ وقائع الحروب التي خاضتها العرب فيما بينَها آنذاك نواةَ الشعر السياسي؛ إذ إن القبيلة كانت تمثّلُ وحدةً سياسيّة منفردة بآرائها وأعرافِها، وكانت تنبري ألسنة الشعراء لخدمة مصالح قبائلهم، وكان ذلك في فترة ما قبل عصر الإسلام، وقال آخرون إنّ عصر صدر الإسلام هو مَن أوجدَ هذا الشعر؛ فقد عدّوا الإسلامَ حركةً سياسيّة لها مناصرون ولها خصوم، لكنْ لم يتح لهذا الشعر أن يضرب جذوره في الأرض لقصر فترة صدر الإسلام.

في حين يرى آخرون أنه نشأ وليدًا للعصبيّة القبلية بين فخذين لقبيلة واحدة هما: بنو عبد المطلب وبنو أميّة، فقد ظهرت القصائد التي سجّلت المعارك التي دارت بين هذين الفريقين، والتي اتخذت طابعًا سياسيًا، ومن هذا الموضع عَدّهما النقاد طرفين سياسيّيْن أنْشَآ هذا الأدبَ، والتي أوصلتهما الخلافات إلى حرب صفّين وحادثة التحكيم، ما أدّى إلى بروز فئة سياسيّة ثالثة عُرفت بالخوارج، تلك التي خرجت على الإمام عليّ بن أبي طالب –رضي اللهُ عنه– ورفضت التحكيم، وقد خلّدَ التاريخُ الأدبي والسياسيّ مساجلاتِهم ومبارزاتهم الشعريّة، لذا فإنّ الرأي استقرّ على أنّ الشعر السياسي قد اكتملت أركانُه في عصر بني أميّة.

وهذا النوع من الشعر السياسي الديني يمثل :

اولا – شعر الشيعة

ان تاريخ الشيعة مليء بالثورات والانتفاضات على الحكام الظالمين ، حيث اخذ الطغاة يراقبونهم سرا وعلنا مع العلم ان الشيعة لم يتراجعوا عن مبداهم .

لو تصفحنا كتب الادب العربي لرايناان فنون الادب الشيعي قد ملئتبها وبالاخص الشعر السياسي الديني ; لانه ادب يلهب العاطفة ويهيجها نظرا لما مر في تاريخ الشيعة من ثورات ، خاصة واقعة صفين، حيث الدم اريق ، والحرمات انتهكت ، والبيوت سبيت ودمرت ، والاجساد صلبت . ونتيجة لهذا كله برز شعراء سياسيون امثال :السيد الحميري ، شاعر عاش في العصرين الاموي والعباسي ، توفي

سنة 173هـ . الكميت بن زيد. الفرزدق.

الكميتبن زيد الاسدي ، ت سنة 126هـ حيث كان شاعرا وخطيبا وحافظا للقرآن وفقيها وفارسا ، ويعتبر شعره ثروة كبيرة ، والذي بلغ 5289 بيتا «اذ قال عنه ابو عكرمة الضبي: لولا شعر الكميت لم يكن للغة ترجمان ولا للبيان لسان» . واشهر قصائده الهاشميات التي بلغت 563 بيتا . لقد احتوت قصائده الفخر والمدح والهجاء والرثاء والحماسة ، واشتهر بقصيدته البائية ومن المعها :

طربت وما شوقا الى البيض اطرب ولا لعبا مني وذو الشوق يلعب
بني هاشم رهط النبي فانني بهم ولهم ارضى مرارا واغضب
فطائفة قد كفرتني بحبكم وطائفة قالوا: مسيء ومذنب
وقالوا ترابي هواه ورايه بذلك ادعى فيهم والقب
فما لي الا آل احمد شيعة وما لي الا مذهب الحق مذهب
ومن غيرهم ارض لنفسي شيعة ومن بعدهم لا من اجل وارحب
اريب رجالا منهم وتريبني خلائق مما احدثوهن اريب
اليكم ذوي آل النبي تطلعت نوازع من قلبي ظماء والبب
فاني عن الامر الذي تكرهونه بقولي وفعلي ما استطعت لاجنب[1]

ينتقل شاعرنا ويخاطب الامويين بقوله: كيف ان دماء المسلمين محللة سفكها عندهم اضافة الى حرماننا من الغنائم كما وان الحقوق ايضا مغتصبة ، وقد جاء في قصيدته :

تحل دماء المسلمين لديهم ويحرم طلع النخلة المتهدل
وليس لنا في الفيء حظ لديهم وليس لنا في رحلة الناس ارحل
فيا رب هل الا بك النصر يرتجى عليهم وهل الا عليك المعول
ومن عجب لم اقضه ان خيلهم لاجوافها تحت العجاجة ازمل
هما هم بالمستلئمين عوابس كحدآن يوم الدجن تعلو وتسفل
يحلئن عن ماء الفرات وظله حسنا ولم يشهر عليهن منصل
كان حسينا والبهاليل حوله لاسيافهم ما يختلي المتبقل[2]

---

[1] الهاشميات. الكميت بن زيد. ص:27

[2] المصدر نفسه.ص:125.

أما الفرزدق هو همام بن غالب بن صعصعة ، الملقب بالفرزدق لجهومة وجهه ولاثر للجدري فيه ، ولد في سنة 20هـ بالبصرة ، من اسرة ذات جاه وكرم ، كان يتردد على البلاط الاموي ، بل كان مسؤولا في البلاط لسد ودفع التهمة; لان البعض يحتمل ذلك ، كما انه يحسب على الشيعة .

كان الفرزدق شاعرا غير ملتزم لكن في اواخر عمره وحياته قرر مصيره مع اهل البيت. قال ابن رشيق في كتابه العمدة في النقد الادبي: ابلغ وافصح بيت قيل بيت الفرزدق في وصف السجاد عليه السلام ، حيث يقول :

ما قال لاقط الا في تشهده لولا التشهد كانت لاءه نعم[1]

لقد اشتهر الفرزدق في قصيدته الميمية في حق الامام علي بن الحسين ، حيث وقف في تلك اللحظة وقال الحق مما يذكرنا بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «افضل كلمة كلمة حق عند سلطان جائر» ، حيث يروى ان هشام بن عبد الملك لم يتمكن ان يصل الى الحجر الاسود في موسم الحج من شدة الزحم ، وبما ان لباس الحجاج واحد وبدون تمييز بين الامير والفقير ، وفي هذه اللحظة وصل شاب نوراني انشقت له الصفوف ووصل الى الحجر ، فقال رجل لهشام: من هذا الذي فتح له الطريق بهذه الهيبة والاجلال ؟ فاجاب هشام: لا اعرفه وكان به عارفا فقال الفرزدق: انا اعرفه ، وانشد قصيدته المعروفة ، فغضب هشام وسجنه ، وقد بدات قصيدته في مدح زين العابدين ، حيث يقول :

هذا الذي تعرف البطحاء* وطاته والبيت يعرفه والحل والحـــــرم
هذا ابن فاطمة ان كنت بضائره بجده انبياء الله قد ختمـــــــوا
هذا ابن خير عباد الله كلهم هذا التقي النقي الطاهر العلـــم
وليس قولك: من هذا ؟ بضائره العرب تعرف من انكرت والعجـــم
ان عد اهل التقى كانوا ائمتهم او قيل من خير اهلالارض قيل هم[2]

وقد اختلف رواة آخرون في افتتاحية هذه القصيدة حيث لم اعثر عليها في ديوانه والتي تبدا :

يا سائلي اين حل الجود والكرم عندي بيان اذا طلابــه قدمـــوا
هذا الذي احمد المختار والده صلى عليه الهي ما جرى القلـم
هذا الذي عمه الطيار جعفر والمقتول حمزة ليث حبه قســم
هذا ابن سيدة النسوان فاطمة وابن الوصي الذي في سيفه نقم[3]

---

[1]- ديوان الفرزدق.ص: 201.

*البطحاء: هي أرض منبطحة في وسطها مكة.

[2]- ديوان الفرزدق.ص: 178.

[3]- المصدر نفسه. ص:178.

ثانيا: شعر الخوارج

يعتبر الخوارج حزب من الاحزاب السياسية وتعني المتمردين[1]، حيث يرى بعض المؤرخين ان تاريـــخ الخوارج يبدا من حادثة «التحكيم في حرب صفين»[2] التي قعت بين الامام علي بن ابي طالب ، وجيشه وبين معاوية وجيشه عام 37هـ . ويرى الشهيد المطهري بقوله: اول تيار متزمت ظهر في دنيا الاسلام هو تيار الخوارج[3] .

اما سبب تسميتهم بالخوارج فيرجع الى خروجهم على امير المؤمنين علي بن ابي طالب ومحاربتهم اياه[4]. وقد بايعوا معاوية بعد شهادة الامام سنة 41هـ[5] .

كما يرى البعض الآخر من المؤرخين ان «الخوارج اقدم الفرق الاسلامية»[6] ; لذا انقسم الخوارج الى فرق كثيرة اهمها: الازارقة والنجدات والبيهسية والثعالبة والعجارد والاباظية[7] والصفرية[8] والحرورية [9] والمحكمة اهل النهروان[10] .

ان المتتبع لتاريخ وتاسيس وظهور الاحزاب والفرق المشهورة في الدنيا يرى ان نشاة الخوارج ما زال يكتنفها الغموض ، وذلك بسبب عدم الامكان من ظهور فرقة بهذه الصورة والحجم دون ان يسبقها تنظيم وتخطيط دقيق واشتهروا بالتشدد وكفروا من يعارضهم او من لم يحارب معهم[11]، وبنفس الوقت لا بد من وجود مبادئ ومصالح مشتركة يلتفون حولها ويضحون من اجلها.

مكانة الشعر الخارجي في العصر الاموي :

لقد كان الشعر السياسي في العصر الجاهلي مدحا سياسيا او فخرا او هجاء ، اما في هذا العصر فقد تحول الشعر السياسي من مجرد مدح او هجاء او تاييد ديني اسلامي الى شعر سياسي بمعناه الصحيح

1- الامام علي عليه السلام . الاستاذ مرتضى المطهري: ص:122 .

2- دائرة المعارف. بطرس البستاني: ج7 ، ص:492.

3- الاسلام ومتطلبات العصر . الاستاذ مرتضى المطهري: ص:84 .

4- الموسوعة السياسية . الدكتور عبد الوهاب الكيالي: ج2 ، ص:631

5- دائرة المعارف. بطرس البستاني. ص:493 .

6- المنجد في الاعلام: ص:274 .

7- الخوارج في العصر الاموي . الدكتور نايف محمود معروف: ص:219 .

8- الخوارج اصول وعقائد . حبيب طاهر الشمري: ص:160.

9- الغلو والفرق الغالية: ص:282 .

10- المعجم المفصل في الادب . محمد التونجي: ج1 ، ص:418 .

11- أدب الخوارج في العصر الاموي . سهير القلماوي: 150 .

يدافع عن طائفته التي ينتمي اليها وبكل وسائل الدفاع[1] .

راينا ان الكميت الاسدي – وهو احد شعراء الشيعة – كان يتعصب للكوفة ، واول من جاهر بحب آل البيت في شعره والذي يعتبر وثيقة تاريخية . يقابله في هذا العصر ايضا الشعراء :

-الطرماح بن حكيم (المتوفى سنة 100هـ).

-الضحاك بن قيس (المتوفى سنة 129هـ).

-عمران بن حطان (المتوفى سنة 89هـ).

قطري بن الفجاءة (المتوفى سنة 79هـ)، وهم يمثلون حزب الخوارج الذين كانوا يتعصبون لاهل الشام عمران بن حطان

كان عمران سني المذهب ، وانه تزوج من امراة من الخوارج ينوي ان يعيدها الى مذهب اهل السنة حيث هي اثرت عليه واتبع مذهبها (مذهب الخوارج) حيث كان خطيبا وشاعرا[2]، وقد مدح عبد الرحمن بن ملجم عندما قام الاخير بضربه لامير المؤمنين في محرابه بالكوفة حيث قال :

يا ضربة من كريم* اراد بها الا ليبلغ من ذي العرش رضوانا

اني لافكر فيه ثم احسبه اوفى البرية عند الله ميزانا[3]

فاجابه القاضي ابو الطيب طاهر بن عبدالله الشافعي :

اني لابرا مما انت قائله عن ابن ملجم المعلون بهتانا

يا ضربة من شقي ما اراد بها الا ليهدم للاسلام اركانا

اني لاذكره يوما فالعنه دنيا والعن عمرانا وحطانا

عليه ثم عليه الدهر متصلا لعائن الله اسرارا واعلانا

فانتما من كلاب النار جاء به نص الشريعة برهانا وتبيانا[4]

مات ابن حطان سنة 89هـ (38) ، وقيل: عام 84هـ [5]

---

[1] الخوارج . ناصر بن عبدالكريم الفعل: ص:30 .

[2] تاريخ الادب العربي . عمر فروخ: ج1 ، ص:491.

* وردت كلمة «تقي» ، «ولي» بدل «كريم» في مصادر كثيرة .

[3] مروج الذهب / المسعودي: ج2 ، ص428 .

[4] المصدر نفسه. ص:435.

[5] الاعلام: ج5 ، ص70 .

ثالثا: شعر الفتوحات:

شعر الفتوح هو كل شعر ارتبط بتلك الفترة المتمثلة في فتح المسلمين لمختلف الأقطار العربية بغية نشر الإسلام[1] . وتميَّز شعر الفتوحات بظهور موضوعات جديدة فيه, منها :

أ- الحنين إلى الوطن:

فالشاعر المجاهد خرج من موطنه في جزيرة العرب, إلى بلاد بعيدة في بلاد فارس أو الروم أو غيرها، وفي أثناء رحلة جهاده يشعر بالحنين إلى وطنه، فيعبِّر عن هذا الحنين في شعره على نحوٍ نَجِده عند أحدهم إذ يقول:

أُكرِّر طَرفي نحو نجْدٍ وإنَّني برغْمي وإن لم يَدرِكِ الطرفُ أنْظُرُ
حنينًا إلى أرضي كأنَّ ترابَها إذا أمطرت عودٌ ومسْكٌ وعَنبـــــرُ
بلادي كأنّ الأقحوان بروضة ونوْر الأقاحي وشْيُ بُرْدٍ مُحبّـــــرُ[2]

ومن هذه الموضوعات أيضاً :

ب- تشوّق آباء الجنود إلى رؤية أبنائهم: ومن ذلك مثلًا: قول المخبّل السعدي بعد أن تطوّع ولده شيبان في جيش سعد بن أبي وقاص المتوجِّه إلى بلاد فارس:

أيملكني شيبانُ في كل ليلةٍ لقلبٍ من خوْف الفراق وجيبُ
ويُخبرني شيبان أن لم يَعُقَّني تعقّ إذا فارقْتني وتجـــوب[3]

-ومن ذلك أيضًا: قول أميّة بن الأسكر يشكو شوقه وشوق زوجه إلى ابنيْهما كلاب، الذي خرج غازيًا في سبيل الله:

لِمَن شيخان قد نشدا كلابا كتابَ الله إن حفظ الكتابا
إذا هتفَتْ حمامةٌ بطن وجٍّ على بيضاتها ذكَرًا كلابَـا
وإنَّك والتماس الأجر بَعْدي كباغي الماءِ يَتَّبِع السَّرابا
تركتَ أباك مُرْعشةً يداهُ وأمّك ما تُسيغُ لها شرابـا[4]

---

[1]- ينظر: شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام. النعمان عبد المتعال القاضي . ط1. مكتبة الثقافة الدينية،1426هـ/2005م .ص:45.

[2]- معجم البلدان. ياقوت الحموي، ج4. ص: 747.

[3]- المفضليات، مختارات أبي العباس المفضل بن محمد الضبي، تحقيق:عمر فاروق الطباع، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت لبنان، ط1، ص:102.

[4]- الإصابة في تمييز الصحابة. أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني. تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود على محمد معوض. ط1. دار الكتب العلمية – بيروت . النشر: 1415 هـ/1995م.ص:65.

ومن الموضوعات التي نتجت عن شعر الفتوحات أيضًا :

ج- وصف المشاهد الجديدة التي رآها الشعراء في البلاد المفتوحة: ومن هذه المشاهد: مناظر الحدائق: البِرك والقصور والكنائس والقلاع .

وغيرها ومن موضوعات شعر الفتوح أيضًا :

د- شعر الشكوى: الذي صاغه الشعراء عندما رأوا الولاة في البلاد البعيدة عن مركز الدولة لا يسيرون في حكم الناس على النهج الإسلامي الصحيح, ويستأثرون دونهم بالغنائم وبالأموال.

ومن موضوعات هذا الشعر أيضًا :

هـ- رثاء الشهداء الذين قُتِلُوا في معارك الفتوح:

2- السمات الفنية في شعر الفتوحات:

وقد غلبت على شعر الفتوح سمات فنية وخصائص، منها :

-إنه كان في أغلبه شعر مقطوعات قصيرة، وإن أثر الإسلام فيه واضح جدًّا باستخدام الألفاظ القرآنية والمصطلحات الإسلامية .

-وأنه تغلب عليه روح البديهة والارتجال، بسبب الظروف التي قيل فيها؛ فلم يكن عند الشعراء حنيئذ وقت للتجويد وترديد النظر وتحسين الصنعة.

رابعا: شعر السجون:

تعددت أغراض الشعر العربي بتعدد وجوه الحياة وتجاربها. والسجن هو أحد المواضيع التي عالجها الشعراء وعبروا من خلالها عما يعتمل في أعماقهم من مشاعر وألم والسجين يتأمل واقعه ويرتد إلى أعماق نفسه ويحتاجه والخواطر وهو يعاني الأسر الضاغط على نفسه وجسده في آن واحد.

ما أكثر الشعراءَ الذين حُبسوا! وما أكثر الأشعار التي قيلت في السجون !فبددت بنور توهجها ظلامَ السجون الدامسَ، وتنسمت قوافي تلك الأشعار نسائمَ الحرية، وخرجت من غياهب السجون وديا جيرها، لتصبح تاجاً مرصَّعا على هامة الخلود، وقلادةً حرةً في صدر الزمان.

ونحن عندما نتحدث عن الشعراءِ وقصائدهم التي دبَّجوها في غياهب السجون، لا بد أن نتذكر جميعاً قصيدةَ أبي فراس الحمْداني الرائعةَ، التي قالها عندما كان أسيراً, وسمعَ حمامةً تنوح على شجرة عالية بقربه، فأراد منها أن تشاركَه في أحزانه، وتحملَ عنه بعضَ الهموم، فقال يخاطبها، وهو في سجنه:

أقولُ وقد ناحت بقربي حمامةٌ أيا جارتا, هل بات حالك حالـــــي؟
أتحملُ محزونَ الفؤادِ قوادمٌ على غصُنٍ نائي المسافةِ عالِ
أَجارتَنا، ما أنصف الدهرُ بيننا تعالَي أقاسمْكِ الهمومَ تعالِي

تعالَي ترَيْ روحاً لديّ ضعيفةً تردَّدُ في جسمٍ يعذَّبُ بالِ
أيضحكُ مأسُورٌ وتبكيْ طَليقةٌ؟ ويسكُت محزونٌ ويندبُ سالِ؟
لقد كنتُ أولى منكِ بالدَّمعِ مقلةً ولكنّ دمعِي في الحوادثِ غالِ[1]

قد أورد البغدادي في خزانته أبياتَ شعرٍ لجَعْفَر بن عُلْبَة الحارِثِيّ قالها في سجنه، وأوردها أبو تمام في أول الحماسة، وهي في غاية الروعة:

هَوايَ مع الرَّكْبِ اليَمانِينَ مُصْعِدٌ جَنِيبٌ وجُثْمانِي بمَكَّةَ مُوثَقُ
عَجِبْتُ لِمَسْراها وأَنَّى تَخَلصَتْ إليَّ، وبابُ السَّجْنِ دُونِي مُغْلَقُ
أَلَمَّتْ فحَيَّتْ ثُم قامَتْ فَوَدَّعَتْ فَلمَّا تَوَلَّتْ كادَتِ النَّفْسُ تَزْهَـــقُ
فلا تَحْسَبِي أَنِّي تَخَشَّعْتُ بَعْدَكُم بِشَيْءٍ، ولا أَنِّي مِنَ المَوْتِ أَفْرَقُ
ولا أَنَّ نَفْسِي يَزْدَهِيها وَعِيدُكُمْ ولا أَنَّنِي بالمَشْيِ في القَيْدِ أَخْرَقُ
ولكنْ عَرَتْنِي مِن هَواكِ صَبابَةٌ كما كنتُ أَلْقى مِنْكِ إِذْ أَنا مُطْلَقُ

أسجنٌ وقيدٌ واغترابٌ وعَبرةٌ وفقدُ حبيبٍ؟ إنّ ذاك عظيمُ
وإنّ امرأً تبقى مواثيقُ عهدِه، على كلِّ هذا، إنه لكَريمُ[2]

وأما ابنُ زيدون فإنه عندما كان في نكبته، وأُودِع في السجن، أتى بصوَرٍ بديعة، فهو لا يرى في نفسه عندما سُجن سوى قمرٍ قد أصابه الخسوفُ, أو شمسٍ قد ألمَّ بها الكسوفُ، وهو نجم إلا أنه في الأرض لا في السماء، يقول:

هل الرّياحُ بنجمِ الأرضِ عاصفةٌ أمِ الكسوفُ لغَيرِ الشمسِ والقمرِ؟
إن طال في السِّجنِ إيداعيْ فلا عجبٌ قدْ يوْدعُ الجفن حدّ الصارمِ الذّكَرِ[3]

---

[1] – ديوان الأمير أبي فراس الحمداني. تحقيق وشرح: محمد ألتونجي، دمشق، 1408هـ، ص ص: 246– 147.

[2] – بهجة المجالس وأنس المجالس. ابن عبد البر، باب في السجن، 194/1، وينظر: نوادر الحطيئة. محمد إبراهيم سليم، مصر: دار الطلائع، ص: 39.

[3] – إعتاب الكتاب. ابن الأبار، 46/1.

كم من أبياتٍ أخرجت صاحبَها من السجن! وما ذلك إلا لرقتها وعذوبتها، فترى القوافيَ فيها تبكي، ودموعَ سامعها تهمي، وقلبه يذوب ليناً وعطفاً، ومعلومةٌ تلك الأبياتُ التي جعلت الشاعر الحطيئةَ يخرج من سجنه، والتي قالها لسيدنا عمرَ بنِ الخطاب – رضي الله عنه – عندما أودعه في السجن:

ماذا تقولُ لأفراخٍ بذي مَرَخٍ؟ زغبِ الحواصلِ لا ماءٌ ولا شجـــرُ؟
ألقيتَ كاسِبَهُم في قعرِ مظلمةٍ فاغفر, عليك سلامُ اللهِ يا عُمَرُ
أنت الإمامُ الذي مِن بَعد صاحبِهِ ألقتْ إليكَ مقاليدَ النُّهى البشَرُ
لم يؤْثروك بها إذ قدَّموكَ لها لكِنْ لأنفسِهم كانتْ بكَ الإثرُ
فامننْ على صبيةٍ في الرملِ مَسكنُهُم بين الأباطحِ يغشاهمْ بها القَدرُ
أهلي فداؤكَ، كم بينيْ وبينهمُ مِن عرضِ داويةٍ يعمَى بها الخبرُ! [1]

فبكى عمرُ رضي الله عنه, وأخرجه من السجن، ثم دعاه فهدّدَه بقطع لسانه إنْ عاد يهجو أحداً.

خامسا: رثاء المدن: إحدى موضوعات الشعر العربي، ظهر في الدولة العباسية ولكنه لم يكن قوياً في تلك الفترة.

رثاء المدن في المشرق:

عرف المشرق قدرا من هذا الرثاء شعرًا، عندما تعرضت عاصمة الخلافة العباسية للتدمير والخراب خلال الفتنة التي وقعت بين الأمين والمأمون. فنهبت بغداد وهتكت أعراض أهلها واقتحمت دورهم، ووجد السّفلة والأوباش مناخًا صالحا ليعيثوا فسادا ودمارا. وقد عبر الشاعر أبو يعقوب إسحاق الخريمي، وهو شاعر خامل الذكر، عن هذه النّكبة في مرثيته لبغداد فقال:

يا بؤس بغداد دار مملكـــــة دارت على أهلها دوائرهـا
أمهلها اللّه ثم عاقبهـــــــا لما أحاطت بها كبائرهـا
رقّ بها الدّين واستخفّ بذي ال فضل وعزّ الرجال فاجرها
وصار ربّ الجيران فاسقهـــم وابتزّ أمن الدروب شاطرها
يحرق هذا وذا يهدّمهـــــــا ويشتفي بالنّهاب داعـرها
والكرخ أسواقها معطّلـــــــة يستنّ شذّابها وعائـــرها[2]

---

[1] بهجة المجالس وأنس المجالس/ ابن عبد البر، باب في السجن، 194/1، وانظرها في كتاب: نوادر الحطيئة/ محمد إبراهيم سليم، مصر: دار الطلائع، ص 39.

[2] تاريخ الطبري. ابن جرير الطبري. 8|454.

رثاء المدن في الأندلس .

كان هذا الغرض في الأندلس من أهم الأغراض الشعرية، إذ كان مواكبًا لحركة الإيقاع السياسي راصدًا لأحداثه مستبطنًا دواخله ومقومًا لاتجاهاته.

وكان محوره الأول يدور حول سلبيات المجتمع الأندلسي بسبب ما انغمس فيه الناس من حياة اللهو والترف والمجون وانصراف عن الجهاد. وأن الأمر لن يستقيم إلا برفع علم الجهاد تحت راية لا إله إلاالله. ومن هنا فالصوت الشعري لرثاء المدن في الأندلس يخالف الأصوات الشعرية الأندلسية الأخرى التي ألفها أهل الأندلس في الموشحات ووصف الطبيعة والغزل وبقية الأغراض الأخرى.

ويلفت النظر أن عددا من قصائد رثاء المدن في الأندلس لشعراء مجهولين؛ ويُفَسَّرُ ذلك إما بخشيتهم من السلطان القائم بسبب نقدهم للأوضاع السياسية وإما أن عنايتهم بالحس الجماعي واستثارته كانت أكثر من عنايتهم بذواتهم الشاعرة.

يقوم هذا الرثاء على مقارنة بين الماضي والحاضر؛ ماضي الإسلام في مجده وعزه، وحاضره في ذله وهوانه. فالمساجد غدت كنائس وبيعًا للنصارى وصوت النواقيس أضحى يجلجل بدلا من الأذان، والدويلات المسلمة تستعين بالنصارى في تدعيم حكمها. وتمتلئ كل هذه النصوص بشعور ديني عميق يطفح بالحسرة والندم.

كان سقوط مدينة طليطلة في أواخر القرن الخامس الهجري بداية المأساة؛ فهي أول بلد إسلامي يدخله الفرنجة وكان ذلك مصابا جللا هزّ النفوس هزًا عميقًا. يقول شاعر مجهول يرثي طليطلة في قصيدة مطلعها:

لثُكلكِ كيف تبتسم الثغور سرورًا بعدما سبيت ثغور

طليطلة أباح الكفر منها حماها إنّ ذا نبـأ كبيـــر[1]

ومن أهم شعراء رثاء المدن في العصر الأندلس أبو البقاء الرندي .

من قصيدة رثاء الأندلس لأبي البقاء الرندي:

لكل شيء إذا ما تم نقصان فلا يغر بطيب العيش إنسان

هي الأمور كما شاهدتها دولٌ من سرَّهُ زمنٌ ساءته أزمانُ

وهذه الدار لا تبقي على أحد ولا يدوم على حال لها شانُ

يمزق الدهر حتمًا كل سابغةٍ إذا نبت مشرفيات وخرصان[2]

---

[1]- تاريخ الأدب الأندلسي(عصر الطوائف والمرابطين). إحسان عباس،ط5.دار الثقافة، بيروت، لبنان.1978م.ص: 125.

[2]- المصدر نفسه. ص:32.

المحاضرة 11:الشعر الفلسفي وشعر الحكمة

لقد عُرِف العصر العباسي بعصرالإنفتاح والتجدد، واندماج الثقافات الدخيلة بالثقافة العربية، وقد أخذ العرب الكثير من تلك الثقافات فى الكثير من المجالات، أدبيّة، حكميّة، وعلميّة،وماشابه ذلك. وتحدث المجتمع العباسي بما فيهم الشعراء بتلك الحكم والأقوال المأثورة، وأدخلوها في طيّات أبياتهم الشعريّة، فقد أخذوا من الحكمة اليونانية والحكمة الفارسية والهندية و...علماً بأنّ العديد من الشعراء كانوا من أصول غير عربيّة، وهولاء الشعراء أدخلوا ثقافتهم غير العربية بالثقافة العربية، ولربّما تقبّلها المجتمع العباسي،وأيضاً رأينا من خلال الدراسة بأنّ شعراء العرب أنفسهم أتوا بمضامين ما أخذوا من الثقافات الأخرى في أشعارهم

المدلول اللّفظي والإصطلاحي لكلمة الحكمة:لاشك أنَّ كلمةَ «الحِكمة» لها معانٍ كثيرة، وحسب الاستعمال يكون المعنى وارداً في الكلام أوالجملة. نأتي في البداية بمعنىً لغوي، ثمَّ اصطلاحي. مما ذكر في مختلف المعاجم اللغوية حول «الحكمة»، أولاً: جاء في لسان العرب: «الحِكمَةُ: هي عبارةٌ عن معرفة أفضل الأشياء بأفضلِ العلوم » [1].

جاء في المُنجِد:« الحِكمَة: جمع حِكَم، الكلام الموافق الحقّ، الفلسفة، صواب الأمر وسداده، العدل، العلم، الحلم»[2].

جاء في المعجم الوسيط: « الحِكمَةُ: معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، والكلام الذَّي يَقِلُّ لَفظُه ويَجِلُّ معناه».(أنيس، إبراهيم وآخرون، لاتا، مادة «حَ كَ م»). جاء في مفردات القرآن الكريم: «الحِكمَةُ: عبارةٌ عن معرفة أعيان المجودات على ما هي عليها»[3]

والحُكمُ أعمُّ من الحِكمَةِ، الحكمة حكمٌ، وليس كل حُكمٍ حِكمَةً، فإنَّ الحُكم أن يُقضى بشيءٍ على شئ. وقال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم):«إنَّ من الشعرِ لَحِكمَةٌ»[4].

وجاء في مُنجدِ الطلاب: « الحِكمَةُ: العدل والحِلم وقول الحق المطلوب، والحِكمَةُ: الفلسفة»[5].

كما جاء في «صوان الحِكمَةُ»: « الحِكمَةُ: هي عِلم حقائق الأشياء، الموجودة بحالٍ واحدة أبداً»[6].

---

[1]- لسان العرب ، ابن منظور، مادة «ح ك م».

[2]- المنجد ، معلوف، لويس. مطبعة معراج، ط2، طهران، إيران،1367هـ/1988م. مادة «ح ك م».

[3]-مفردات ألفاظ القرآن الإصفهاني،راغب، تحقيق:صفوان عدنان داودي، طليعة النور، ط2، قم، إيران، 2006 م ص:31.

[4]- المصدرنفسه ، ص: 249.

[5]-منجد الطلاب ، البستاني، فؤاد أفرام، ترجمة : محمّد بندر ريگي، مطبعة حيدري، ط17، طهران، إيران،2002 م. ماده «ح ك م».

[6]- السجستاني، أبوسليمان: صوان الحكمة وثلاث رسائل، حققه:عبد الرحمن بدوي، انتشارات بنياد فرهنگ إيران، طهران، 1974 مص:117.

أما الحِكمَة في المصطلح، فهي: «كل ما يهدي إلى الخير في العقيدة والسلوك، فهوحكمة»[1]. الحكمة هي التي تهدي الإنسان من الظلمات إلى النور، والحِكمَة، هي التجربة الذاتيّة المكتسبة مِن فعلٍ أورأي. ومن طبيعة الحِكمَة أنها تنتشر بين الآخرين للانتفاع بها، والحِكمَة تَنبذُ الرذائل وتَحُثُ على المكارم والمحاسن. قال تعالى: «**يؤتِي الحِكمَةَ مَنْ يشاء** » [2]. تنبيهاً على أن الله يُعطي الحِكمَة لمن يَستحقها ويضع كلَّ شيءٍ في مكانه، كما قال عزَّوجلّ: «**ولَقَد آتَينَا لُقمان الحِكمَة**» [3]. ومما قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عن الحِكمَة: «خُذوا الحِكمَة ولومِنْ ألسنةِ المشرِكين» [4].

أنواع الحكمة:

تنقسم الحِكمَة إلى نوعين:«حكمة نظريّة» و« حكمة عمليّة»، وفيما يلي نأتي بما ورد من تعاريف لهاتين الحكمتين:

الحكمة العمليّة :هي التَعرُّف إلى أفعال البشر الاختيارية، كيف وبأي طريقة يَتم التعرُّفُ إليها، الحسنة والمطلوبة منها، والرديئة المذمومة. والحكمة العملية هي العلم بما يؤدي إلى إصلاح المعاش والمعاد والعمل به، ومعرفة الأمور التي لها مساس مباشر بالعمل كالطب والحساب والهندسة، وتنشعب الحِكمَة العملية، إلى الأخلاق، وتدبير المنزل، وسياسة المدن»[5]

الحكمة النظرية :وأما الحِكمَة النظرية، فهي العلم بحالات الأشياء كما هي أوكما سوف تكون، هذه الحِكمَة يكسبها الفرد عن طريق الفكر والدراسة والتحقيق، مثل معرفة حالات الأجسام ومعرفة النّجوم وأماكنها. والحِكمَة النظريّة، المقصود منها ما حصل بالنظر. الحِكمَة النظرية تَتحدثُ عن الوجود وما هوكائن، بينما تتحدث الحِكمَة العملية عما يجب وعما ينبغي. ومسائلها من نوع الجمل الخبرية» [6]

ونستطيع تقسيم مصادر الحكمة إلى قسمين:

أ – الموروث الشعبي.

ب– التأثيرات الأجنبيّة.

---

[1]– تفسير الكاشف ، مغنية، محمّد جواد، ، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي،ط4، قم، إيران،2007م. ص: 232.

[2]– سورة البقرة. الآية: 269.

[3]– سورة لقمان. الآية: 12.

[4]– موسوعة روائع الحكمة والأقوال الخالدة، بعلبكي، روحي، دار العلم للملايين، ط12، بيروت، لبنان،2008م. ص:245.

[5]–الحكمة الهندية فى الاعصر العباسية ،آل غالب،على رضا، رسالةماجستير،جامعة آزاد الاسلامية، آبادان،ايران2009م. ص:12.

[6]– المرجع نفسه. ص:13.

أ-**الموروث الشعبي** :الوراثة التي يرثها الشعب من الأسلاف، تشمل العادات، التقاليد ومن ضمنها الحِكم والأمثال، الحكايات، القصص، النوادر والتجارب الذاتيّة الجمعية والفرديّة. من الأمثال والحكم والأقوال المأثورة نذكر من المتنبي:

إذا أنتَ أكرمتَ الكريمَ ملكتَهُ وإن أنتَ أكرمتَ اللئيمَ تمرَّدا[1]

وقال الفرزدق في امرأة قالت شعراً فأصبح مثلاً: «إذا صاحتِ الدَّجاجة صياحَ الدّيكِ فلتذبَح»[2].

«إذا شاورت العاقل صار عقلهُ لكَ»[3] .

وقال أبو نواس:

خيرُ هذا بشرّ ذا فإذا الربُّ قد عفا[4]

الأقوال والحكم العربية الموجودة في الموروث الشعبي، كثيرة لا تعد، وقد جُمع الكثير منها في « مجمع الأمثال للميداني» المتوفى سنة (518ه .(والأقوال والحكم التي قالها الإمام علي (عليه السلام) قد جمعت في كتاب «نهج البلاغة» على يد الشريف الرضي (359ه -406ه). وأما القصص والنوادر فمنها قصة «ألف ليلة وليلة» و«كان ياماكان» و«سندباد» وغيرها التي أخذت من القصص الهنديّة.

ب -**التأثيرات الأجنبية:**

أولاً: الفرس: كان للفرس الدور البارز في إيصال الثقافات الأخرى إلى العرب، كالهنديّة واليونانيّة والسريانيّة. وكان الخلفاء العباسيون متأثرين بالفرس أشد التأثر، حيث نرى مؤدب المأمون والرشيد فارسيّاً والوزير، والكاتب والمشاور فرسا. والأهم من ذلك أن أكثر زيجات الخلفاء فارسيّات، فَمنهُنَّ أمُّ هارون وإحدى نسائه، التي هي أُم المأمون[5] .

إنَّ التأثير الفارسي شمل ألوان الحضارة في العصر العباسي برمَّتِها. والثقافة الفارسيّة التي كانت يانعة بثمارها العلمية وحكمتها البهيّة خلَدها حكماء الفرس مثل، «بزرجمهر»، و«كسرى»، و«أردشير بن بابك» (226-241 م) و«سابوربن أردشير» و«قُباذ» الذي تولى الملك سنة (448م). والحكمة في كتاب «جاويدان خرد»[6] لإبن مسكويه فيه حكم منسوبة «لبزرجمهر» وزير كسرى أنوشيروان، الذي أنشأ مدرسة

---

[1]- مجمع الأمثال. الميداني، أبي الفضل أحمد، ، قدم وعلّق عليه : نعيم حسين زرزور، نشر دار الكتب العلمية، ط2،ج1، بيروت، لبنان،2004 م.ص:43 .

[2]- المصدر نفسه. ص : 97.

[3]- المصدر نفسه. ص : 128.

[4]- المصدر نفسه. ص : 195.

[5]- الحكمة الهندية فى الاعصر العباسية . آل غالب. ص:15.

[6]- العاكوب، عيسى، تأثير الحكم الفارسية في الأدب العربي (العصر العباسي الأول)، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط1، دمشق،سورية، 1989م.ص:83.

«جنديسابور»، فإذاً ؛كان للفرس الدور الفعال في إيصال العلوم والحكمة الفارسية إلى العباسيين، وكان لهم الدور الأساس في ايصال حكم الثقافات الأخرى وعلومها إلى العرب.

أثرَّت حركة الترجمة الواسعة في شعر الحكمة، فنجد أن شعراء بني العباس استوعبوا حكم اليونان و الفرس وحكم كليلة ودمنة الهندية التي ترجمت للفارسية ثم نقلها ابن المقفع إلى العربية فتمثلوا كل ذلك شعراً ، وضمنوا بعضه أبياتهم ، وما كادوا يقعون على كتابي الأدب الكبير والأدب الصغير اللذين نقل فيهما ابن المقفع تجارب الفرس وحكمهم ووصاياهم في الصداقة والمشورة وآداب السلوك حتى أخذوا يفردون المقطعات في تصويرها شعراً ، يقول بشار بن برد في إحدى مدائحه:

إذا بلغَ الرأيُ المشورةَ فاستعـــن برأيٍ نـصيحٍ أو نصيحةِ حازمِ

ولا تجعلِ الشورى عليك غضاضةً مكانُ الخوافي نافعٌ للقــوادمِ[1]

ويقال : إنه كان في ديوان صالح بن عبد القدوس ألف مثل للعجم.

و لقد كانت حِكَمُ العصور الأدبية السابقة تبدو منثورة في قصيدة المديح أو الهجاء أو الرثاء أو حتى الغزل ، لتلخص تلك التجربة في حكمة أو اثنتين خلال القصيدة، فزهير بن أبي سلمى ضمَّن معلقته شذرات من تجربته تخدم غرض القصيدة. و تميّز شعر الحكمة العباسي بإفراد قصائد أو مقطوعات كاملة للحكمة ، ينتقل الشاعر فيها من عرش الشاعر العفوي إلى كرسي الناظم المعلم ، يجمع فيها كل ما وافق وزنُه وثمُنَ معناه. من ذلك قصيدة (ذات الأمثال) لأبي العتاهية التي جمع فيها كثيراً من الأمثال البليغة ذكر صاحب الأغاني أنها تبلغ نحو أربعة آلاف مَثَل ومن الشعراء الذين أفردوا للحكمة قصائد كاملة صالح بن عبد القدوس:

المرءُ يجمعُ والزمـــانُ يُفَــرّقُ ويظلّ يرقعُ والخطــوبُ تُمــزّقُ

ولأن يُعادى عاقلٌ خيــرُ لَـــه مِنْ أن يَكونَ لهُ صديقٌ أحْمــقُ

فاْربأْ بِنَفْسِكَ أنْ تُصادقَ أحمقــا إنّ الصديقَ على الصديقِ مُصَدّقُ

وزنِ الكلامَ إذا نطقْتَ فإنمـــــا يَبدي عَقَّلَ ذَوي العقولِ المنطِــقُ

ومن الرجال إذا استوت أحلامهم من يستشار إذا استشير فيطـرق

---

[1]- ولهذين البيتين رواية أخرى وردت في الموسوعة الشعرية وهي:

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن ... برأي حكيمٍ أو نصيحة حازم

ولا تجعل الشورى عليك غضاضة ... مكان الخوافي قوة للقوادم.

وهناك رواية ثالثة وردت في ديوان بشار المطبوع في لبنان سنة 1413هـ , جاء فيها:

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن ... برأي لبيب أو مشورة حازم

ولا تجعل الشورى عليك غضاضة ... فإن الخوافي قوة للقوادم.

والجميع من حيث المعنى والوزن والروية صحيح.

حتى يجـول بكـــل واد قلبـــه فيري ويعرف ما يقول فينطـــق
وإن امرؤ لسعته أفعـي مـــــرة تركته – حين يجر حبل – يفرق
ما الناسُ إلا عامِــلانِ فَعَامـــلٌ قَدْ ماتَ مِنْ عَطَشٍ وَآخَرُ يَغْرَقُ
والنَّاسُ في طَلَـبِ المعاشِ وإنَّمـا بالجَدِّ يُرزَقُ مِنْهُمُ مَنْ يُـــرْزَقُ
لو يُرزقون الناسُ حسب عقولهم ألفيتَ أكثرَ من ترى يَتَصَـــدَّقُ
لكنه فضـل المليـك عليهـــم هذا عليه موسع ومضيـــــق
لو سار ألف مدجـج في حاجـة لم يقضها إلا الذي يترفـــــق
إن الترفــق للمقيـــم موافـــق وإذا يسافر فالترفق أرفـــــق
وإذا الجنـــازَةَ والعروسُ تلاقيـــا وَرَأَيْتَ دَمْعَ نوائِـــحٍ يَتَرَقْـرَقُ
سكّتَ الذي تبعَ العَروُسَ مُبَهَّتـــاً ورَأَيْتَ مَنْ تَبِعَ الجنازَةَ يَنْطِـــقُ
بقي الذيـنَ إذا يَقولـــوا يَكذِبـــوا ومَضَى الّذينَ إذا يقولوا يصدُقُوا[1]

من أجمل أبيات الشّعر العربي هي تلك التي تحتوي على نصائح، وحكم، وتكون ذات محتوىً شيّق، وهي تلك التي تعبّر عمّا يدور بخلدنا ويصعب علينا إيجاد الكلام المناسب لها. يقول **أبو العتاهية** في أفضل قصائده:

ما اِستَعبَدَ الحِرصُ مَن لَهُ أَدَبُ لِلمَرءِ في الحِرصِ هِمَّةٌ عَجَبُ
لِلَّهِ عَقلُ الحَريصِ كَيفَ لَـــهُ في كُلِّ مـــا لا يَنالَـــهُ أَرَبُ
ما زالَ حِرصُ الحَريصِ يُطعِمُهُ في دَركِهِ الشَيءَ دونَهُ العَطَبُ
ما طابَ عَيشُ الحَريصُ قَطُّ وَلا فارَقَهُ التَعسُ مِنهُ وَالنَصَـــبُ
البَغيُ وَالحِرصُ وَالهَوى فِتَـــنٌ لَم يَنجُ مِنها عُجمٌ وَلا عَـــرَبُ
لَيسَ عَلى المَرءِ في قَناعَتِـــهِ إِن هِيَ صَحَّت أَذىً وَلا نَصَبُ
مَن لَم يَكُن بِالكَفافِ مُقتَنِعـــاً لَم تَكفِهِ الأَرضُ كُلُّها ذَهَـــبُ
مَن أَمكَنَ الشَكَّ مِن عَزيمَتِـــهِ لَم يَزَلِ الرَأيُ مِنهُ يَضطَـــرِبُ
مَن عَرَفَ الدَهرَ لَم يَزَل حَـــذِراً يَحذَرُ شِدّاتِـــهِ وَيَرتَقِـــبُ
مَن لَزِمَ الحِقدَ لَم يَزَل كَمِـــداً تُغرِقُهُ في بُحورِهـــا الكُـــرَبُ
المَرءُ مُستَأنِسٌ بِمَنزِلَـــــةٍ تَقتُـــلُ سُكّانَهـــا وَتَستَلِـــبُ

[1]-بهجة المجالس وأنس المجالس. ابن عبد البر. تحقيق: محمد مرسي الخولي،ج3.ص ص:321-322.

وَالمَرءُ في لَهـوِهِ وَباطِلِـــهِ وَالمَوتُ في كُلِّ ذاكَ مُقتَـرِبُ
يا خائِفَ المَوتِ لَستَ خائِفُهُ وَالعُجبُ وَاللَهُ مِنكَ وَاللَعِـبُ
دارُكَ تَنعي إِلَيـكَ ساكِنَهـا قَصرُكَ تُبلي جَديدَةَ الحِقَـبُ
يا جامِعَ المالِ مُنذُ كانَ غَداً يَأتي عَلى ما جَمَعتَهُ الحَرَبُ
إِيّاكَ أَن تَأمَنَ الزَمـانَ فَمـا زالَ عَلَينا الزَمـانُ يَنقَلِـبُ
إِيّاكَ وَالظُلـمَ إِنَّـهُ ظُلَـمٌ إِيّاكَ وَالظَـنَّ إِنَّـهُ كَـذِبٌ
بَينا تَرى القَومَ في مَحَلَّتِهِم إِذ قيلَ بادوا بِلىً وَقَد ذَهَبـوا
يا بانِيَ القَصرِ يـا مُشَيِّـدَهُ قَصرُكَ يُبلي جَديدَهُ الحِقَـبُ
إِنّي رَأَيتُ الشَريـفَ مُعتَرِفـاً مُصطَبِراً لِلحُقوقِ إِذ تَجِـبُ
وَقَد عَرَفتُ اللِئامَ لَيسَ لَهُـم عَهدٌ وَلا خِلَّـةٌ وَلا حَسَـبُ
إِحذَر عَلَيكَ اللِئـامَ إِنَّهُـمُ لَيسَ يُبالونَ مِنكَ ما رَكِبـوا
فَنِصفُ خُلقِ اللِئامِ مُذ خُلِقوا دُلٌّ ذَليـلٌ وَنِصفُـهُ شَغَـبُ
فِرَّ مِنَ اللـؤمِ وَاللِئـامِ وَلا تَدنُ مِنهُـم فَإِنَّهُـم جَـرَبُ[1]

أبو العلاء المعرّي من أشعاره في **الحكمة** ما يأتي

حَيـاةٌ عَنـاءٌ وَمَـوتٌ عَنـا فَلَيـتَ بَعيـدَ حِمـامٍ دَنـا
يَـدٌ صَفَـرَت وَلَهـاةٌ ذَوَت وَنفسٌ تَمَنَّت وَطَـرفٌ رَنـا
وَمَوقِدُ نيرانِـهِ فـي الدُجـى يَرومُ سَناءً بِرَفـعِ السَنـا
يُحاوِلُ مَن عاشَ سَترَ القَميصِ وَمَلءَ الخَميصِ وَبُرءَ الضَنى
وَمَن ضَمَّهُ جَـدَثٌ لَـم يُبَـل عَلى ما أَفادَ وَلا مـا اِقتَنـى
يَصيـرُ تُرابـاً سَـواءٌ عَلَيـهِ مَسُّ الحَريرِ وَطَعـنُ القَنـا
وَشُربُ الفَناءِ بِخَضرِ الفِرنـدِ كَأَنَّ عَلـى أُسِّهِـنَّ الفِنـا
وَلا يَزدَهـي غَضَـبٌ حِلمَـهُ أَلَقَّبَـهُ ذاكِـرٌ أَم كَنـى
يُهَنَّأُ بِالخَيـرِ مـَن نالَـهُ وَلَيسَ الهَناءُ عَلى ما هُنـا
وَأَقرَب لِمَن كانَ في غَبطَـةٍ بِلُقيا المُنى مِن لِقاءِ المَنـا
أَعائِبَـةٌ جَسَـدي روحُـهُ وَما زالَ يَخدُمُ حَتّى وَنـى
وَقَـد كَلَّفَتـهُ أَعاجيبَهـا فَطَوراً فُرادى وَطَوراً ثُنـا
يُنافي اِبنُ آدَمَ حالَ الغُصونِ فَهاتيكَ أَجنَت وَهَذا جَنـى

---

[1]-الديوان .أبو العتاهية، **إسماعيل بن القاسم بن سويد العيني أبو إسحاق**، دار بيروت، لبنان، 1406هـ/1986م.ص ص:321-322

تُغَيِّرُ صِنّاوُهُ شيبَهُ فَهَل غَيَّرَ الظَهرَ لَمّا اِنحَنى
إِذا هُوَ لَم يُخنِ دَهرٌ عَلَيهِ جاءَ الفَرِيَّ وَقالَ الخَنى
وَسَيّانِ مَن أُمُّهُ حُرَّةٌ حَصانٌ وَمَن أُمُّهُ فَرتَنى
وَلي مَورِدٌ بِإِناءِ المَنونِ وَلَكِنَّ ميقاتَهُ ما أَنى
زَمانٌ يُخاطِبُ أَبناءَهُ جِهاراً وَقَد جَهَلوا ما عَنى
يُبَدِّلُ بِاليُسرِ إِعدامَهُ وَتَهدِمُ أَحداثُهُ ما بَنى
لَقَد فُزتَ إِن كُنتَ تُعطى الجِنانَ بِمَكَّةَ إِذ زُرتَها أَو مِنى[1]

الشعر الفلسفي:

تنحدر كلمة فلسفة من (فيلو سوفيا) يوناينة الأصل، وكلمة (فيلو) تعني: محبة أو صداقة، وكلمة (سوفيا) معناها: الحكمة ، فالفلسفة هي (محبة الحكمة) والفيلسوف هو الحكيم أو محب الحكمة، وموضوع الفلسفة في الأصل اليوناني هو البحث في الكون وفي طبيعة الإنسان ومركزه في العالم وسلوكه الأخلاقي، وأداة الفلسفة للوصول إلى المعرفة هي: (العقل)، وما اكتشفه من قوانين المنطق، وأساليب الجدل، والبرهان، والاستنتاج . أما مجالات الفلسفة الإسلامية فكثيرة ومتعددة؛ نتيجة للثقافة الموسوعية لدى علماء المسلمين ومنهم : الكندي، وان سينا، وأخوان الصفا، وابن رشد.

يعد أبو العلاء المعري شاعر فلسفة الحياة، فهو أول شاعر ينظم ديواناً كاملاً في الفلسفة يدعى (اللزوميات) وفيه ملخص للمذاهب الفكرية السائدة في عصره.

وهو يرى أن السلطة المدنية فاسدة بسبب المكر والرشوة، والحكام أصحاب فوضى ويتبعون هواهم، ويحكمون الرعية بالظلم وينعمون بمالها وثمرة تعبها، فيقول:

يسوسونَ الأمورَ بغير عقلٍ فينفذُ أمرُهُم ويُقالُ ساسَهْ
فَأُفٍ مِنَ الحياةِ وأُفٍ منِّي ومن زَمَنٍ رئاسَتُهُ خَساسَهْ[2]

هناك رأي يقول بأن المعري من المشككين في معتقداته، وندد بالخرافات في الأديان. وبالتالي فقد وصف بأنه مفكر متشائم[3] ، وقد يكون أفضل وصف له هو كونه يؤمن بالربوبية .حيث كان يؤمن بأن الدين "خرافة ابتدعها القدماء" [4] لا قيمة لها إلا لأولئك الذين يستغلون السذج من الجماهير .وخلال حياة

---

[1]- الديوان . المعري ، أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي. دار بيروت، لبنان، 1406هـ/1986م.ص ص:287-288.

[2]- المصدر نفسه . ص : 301.

[3]- By Philip Khuri Hitti *Islam, a way of life* p. 147نسخة محفوظة 14 مايو 2016 على موقع واي باك مشين.

[4]- Reynold Alleyne Nicholson, 1962,*A Literary History of the Arabs*, page 318 Routledge

المعري ظهر الكثير من الخلفاء في مصر وبغداد وحلب الذين كانوا يستغلون الدين كأداة لتبرير وتدعيم سلطتهم. وقد رفض المعري بعض معتقدات الإسلام وغيره من الأديان الأخرى مصرحاً:

أَفيقوا أَفيقوا يا غُواةُ فَإِنَّمـــا دِيانَتَكُم مَكرٌ مِنَ القُدَمـــاءِ

أَرادوا بِها جَمعَ الحُطامِ فَأَدرَكوا وَبادوا وَماتَت سُنَّةُ اللُؤَمـــاءِ

يَقولونَ إِنَّ الدَهرَ قَد حانَ مَوتُهُ وَلَم يَبقَ في الأَيّامِ غَيرُ ذَمـاءِ

وَقَد كَذَبوا ما يَعرِفونَ اِنقِضاءَهُ فَلا تَسمَعوا مِن كاذِبِ الزُعَماءِ

وَكَيفَ أُقَضّي ساعَةً بِمَسَـرَّةٍ وَأَعلَمُ أَنَّ المَوتَ مِن غُرَمائـي[1]

يرى بعض الباحثين أن المعري قد انتقد العديد من عقائد الإسلام، مثل ، الذي وصفه بأنه "رحلة الوثني. كما ينقل أن المعري قد أعرب عن اعتقاده بأن طقوس تقبيل الحجر الأسود في مكة المكرمة من خرافات الأديان . وهذه إحدى أبياته:

ويهود حارت والمجوس مضلله هفت الحنيفة والنصارى ما اهتدت

دين وآخر ديّن لا عقل لـــــه اثنان أهل الأرض ذو عقل بـــــلا[2]

كما يزعم بعض المستشرقين أن المعري رفض مزاعم "الوحي الإلهي[3] .عقيدته كانت عقيدة الفيلسوف والزاهد، الذي يتخذ العقل دليلاً أخلاقياً له، والفضيلة هي مكافأته الوحيدة[4].

وذهب في فلسفته التشاؤمية إلى الحد الذي وصى فيه بعدم إنجاب الأطفال كي نجنبهم آلام الحياة. وفي مرثاة ألفها عقب فقده لقريب له جمع حزنه على قريبه مع تأملاته عن سرعة الزوال، قال:

خفّف الوَطْءَ ما أظنّ أَدِيْمَ الـ أرض إلا من هذه الأجساد[5]

<u>الرأي الأخر:</u>

يقول الباحث نرجس توحيدي فر عن عقيدة أبي العلاء: قُباذ

« يعتقد أبو العلاء في الله تعالى. ما يعتقده المؤمنون المخلفون من المسلمين، ويثبت له من صفات الكمال ما يثبتون له، وينفي عنه من صفات الحدوث والنقص ما ينفون. وإذا استقريت أقواله في هذا

---

[1] الديوان . أبو المعري المعري. ص:196.

[2] المصدر نفسه . ص143.

[3] Reynold Alleyne Nicholson, 1962, *A Literary History of the Arabs*, page 317. Routledge

[4] Reynold Alleyne Nicholson, 1962, *A Literary History of the Arabs*, page 323. Routledge

[5] Encyclopedia Britannica al-Ma'arri ^ نسخة محفوظة 15 ديسمبر 2014 على موقع واي باك مشين.

الغرض لا ترى فرقاً بينه وبين أعظم المسلمين في الاعتقاد»[1]

وتقول بنت الشاطئ عائشة عبدالرحمن عن أبي العلاء:

« وشاعت كلمت السوء فيه، ومن شأنها أن تشيع فجُرِّح ببعض ما قال مما قد يوهم ظاهره ويشكل، وبغيره مما لم يقل. وإن أكثر مصنفاته لفي الزهد والعظات وتمجيد الله سبحانه وتعالى. وديوان (اللزوم) نفسه مليء بنجوى إيمانه الصادق، وأناشيد ضراعته للخالق، جل جلاله ...وشهد له الذين عرفوه عن قرب، بنقاء العقيدة ورسوخ الإيمان. وفيهم من كان قد استراب في أمره، تأثرا بشائعات السوء، ثم بان له من حقيقته ما جعله يشهد له بصحة الدين وقوة اليقين»[2] .

ويقول الدكتور طه حسين إن:« أبا العلاء قد هداه عقله إلى أن لهذا العالم خالقاً، وإلى أن هذا الخالق حكيم. لا يشك في ذلك، أو على الأقل لا يظهر فيه شكاً... وهو إذا تحدث عن هذا الخالق الحكيم تحدث عنه في لهجة صادق يظهر فيها الإخلاص واضحاً جلياً. ولكنه عاجز عن فهم هذه الحكمة التي يمتاز بها هذا الخالق الحكيم. وعجزه عن فهم هذه الحكمة هو الذي يضنيه ويعنِّيه ويعذبه في نفسه أشد العذاب. خالق حكيم، خلق هذا العالم ورتبه على هذا النحو الذي رتبه عليه. ولكن لماذا، وما بال هذا الخالق الحكيم الذي منحنا هذا العقل وهدانا إلى التفكير لم يكشف لنا القناع كله أو بعضه عن وجه هذه الحكمة التي لا نشك فيها ولا نرتاب؟»[3] .

كان أصحاب الشعر الفلسفي يعنون بتحليل الفكرة وتوليد المعاني وإخضاع التجربة الشعرية للمنطق والفلسفة أكثر من الخيال والعاطفة، لأن العرب استلهموا بلاغات اليونان والفرس. ويعتبر أبو العلاء المعري(اللزوميات) نابغ هذا الشعر وكذا البحتري. هذا الأخير لم يكن البحتري يعتمد في شعره على فلسفة وثقافة يعقدان في أدواته، وكان يعرف ذلك من نفسه، كما كان يعرفه معاصروه، وتلوموه من أجله فرد عليهم بقوله:

كلفتمونا حدود منطقكـــــــم ... والشعر يغني عن صدقه كذبه

ولم يكن ذو القروح يلهج بالـ ... منطق ما نوعه وما سببـــــه

والشعر لمح تكفي إشارتـــــه ... وليس بالهذر طولت خطبـــه[4]

---

[1]- أبو العلاء دراسة في معتقداته الدينية . نرجس توحيدي فر، دار صادر بيروت .، لبنان، ص: 66

[2]- مع أبي العلاء في رحلة حياته . عائشة عبدالرحمن، دار المعارف. ص ص: 264-265.

[3]- مع أبي العلاء في سجنه . طه حسين.ط14. دار المعارف. ص ص. 44-45.

[4]- الديوان. البحتري، أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى التنوخي الطائي.ط3. تحقيق: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، مصر. ص:132.

ولكن أحقا ما يقول البحتري من أن الشعر لا يحتاج فلسفة ولا منطقا؟ إن وقائع الفن المادية في العصر العباسي لا تتفق وهذا القول؛ فقد دخلت الفلسفة والمنطق في صناعة الشعر وعقدا في وسائله وأدواته هذا التعقيد الذي رأينا وجها من وجوهه عند أبي تمام، ولا ينفع البحتري استشهاده بامرئ القيس، حقا أن امرأ القيس لم يكن يعرف فلسفة ولا منطقا، ولكن هل يمكن تطبيق ذلك على العصر العباسي؟ إن امرأ القيس تثقف بالثقافة التي عاصرته. يقول أبو العلاء المعري:

غَيْرُ مُجْدٍ في مِلّتي واعْتِقـــادي نَوْحُ باكٍ ولا تَرَنّـــــمُ شـــادِ
وشَبِيهٌ صَوْتُ النّعيّ إذا قِـــــي سَ بِصَوْتِ البَشيرِ في كلّ نادِ
أَبَكَتْ تِلْكُمُ الحَمَامَةُ أمْ غَـــــنْ نَت عَلى فَرْعِ غُصْنِها المَيّــادِ
صَاحِ هَذِي قُبُورُنا تَمْلأ الـــــرُّحْ بَ فأينَ القُبُورُ مِنْ عَهدِ عـادِ
خَفّفِ الوَطْء ما أظُنّ أدِيـــــمَ ال أرْضِ إلاّ مِنْ هَذِهِ الأجْســـــادِ
وقَبيحٌ بنَـــا وإنْ قَـــدُمَ العَـــهْ دُ هَوَانُ الآبَاءِ والأجْـــــــدادِ
سِرْ إنِ اسْطَعتَ في الهَوَاءِ رُوَيداً لا اخْتِيالاً عَلى رُفَاتِ العِبـــادِ
رُبّ لَحْدٍ قَدْ صَارَ لَحْداً مِـــــراراً ضَاحِكٍ مِنْ تَزَاحُمِ الأضْـــدادِ[1]

يعتبر أبو العلاء المعري شاعر فلسفة الحياة , وهو أول شاعر ينظم ديوانا كاملا في الفلسفة يدعى " اللزوميات " وفيه ملخص للمذاهب الفكرية السائدة في عصره.

فهو يرى أن السلطة المدنية فاسدة بسبب المكر والرشوة , والحكام أصحاب فوضى ويتبعون هواهم , ويحكمون الرعية بالظلم وينعمون بمالها وثمرة تعبها .

---

[1]- زهر الأكم في الأمثال والحكم. الحسن بن مسعود بن محمد، أبو علي، نور الدين اليوسي. ط1. تحقيق:محمد الأخضر، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب،1401هـ/1981م. ص: 259.

المحاضرة 12: الموشحات والأزجال.

أولا: الموشح: فن شعري مستحدث، يختلف عن ضروب الشعر الغنائي العربي في أمور عدة، وذلك بالتزامه بقواعد معينة في التقنية، وباستعماله اللغة الدارجة أو الأعجمية في خرجته، ثم باتصاله القوي بالغناء. ومن الملفت ان المصادر التي تناولت تاريخ الأدب العربي لم يُقدم تعريفا شاملا للموشح، واكتفت بالإشارة إليه إشارة عابرة، حتى ان البعض منها تحاشى تناوله معتذرا عن ذلك لأسباب مختلفة. فابن بسام الشنتريني، لا يذكر عن هذا الفن إلا عبارات متناثرة، أوردها في كتابه "الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة"، وأشار إلى أنه لن يتعرض للموشحات لأن أوزانها خارجة عن غرض الديوان، لا أكثر على غير أعاريض أشعار العرب. أما ابن سناء الملك فيقول: "الموشح كلام منظوم على وزن مخصوص."

موشح أو موشحة أو توشيح، وتجمع على موشحات أو تواشيح من وشح بمعنى زين أو حسن أو رصع.[1] والوشاح : كله حلي النساء[2] .

ظل الشعر العربي في المشرق والمغرب على القافية الرتيبة حتى عصر الخلافة بالأندلس في القرن التاسع الميلادي حيث ظهر شعراء مجددون عملوا على تطوير الاتجاه الشعبي بحيث ظهرت بعض الألفاظ العامية موظفة شعريا في هذا العصر. وبعد انتشار الغناء الذي تطور بشكل كبير بعد الاختراعات الموسيقية التي ظهرت على يد زرياب، وكان من الطبيعي أن يتطور معه الشعر، نتج عن ذلك لون جديد يدعى فن التوشيح.

يبنى الموشح على المقطوعات الشعرية التي تنظم بصورة محكمة، وقد ظهر في الشعر العربي لأول مرة في بلاد الأندلس[3]. تبدأ الموشحة بالمطلع وتختم بالخرجة، وهي القفل الأخير الذي لا يلتزم قواعد اللغة العربية. ومن خلال الخرجة التي كانت تنظم بالأعجمية أحيانا، استطاع الأوربيون في القرون الوسطى، أن يقتبسوا أكثر الأغراض التي وردت في الشعر العربي.

لكن ليس معنى ذلك أن الموشح لون قائم بذاته لا علاقة له بالشعر العربي، بل هو ضرب من ضروب الشعر العربي لا يختلف عن القصيدة التقليدية إلا في تعدد قوافيه وتنوع أوزانه أحيانا، وفي الخرجة التي يخرج بها الوشاح من الفصيح إلى العامي تارة، وتارة أخرى إلى العجمي، كما يختلف عنها أيضا في

---

[1]- لسان العرب. ابن منظور،ج2. مادة « ر ص ع».ص:633.

[2]- المصدر نفسه. مادة « و ش ح».ص:217.

[3]- ينظر: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة. ابن بسام الشنتريني . تحقيق : إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، 1979.- ق 1، م 1، ص: 469. وعبد الرحمن بن خلدون : المقدمة، باريس، طبعة كاترمير، 1857.- 391/3.

تسمية أجزائه. فالموشح الأندلسي يعد بذلك، ثورة على القصيدة التقليدية التي تلتزم وحدة الأوزان ورتابة القافية، وليس تمرداً على الشعر العربي في جملته وتفصيله.

فإذا كانت الموشحات قد ظهرت في القرن التاسع الميلادي حسب ما استقيناه من المصادر التي أرخت للأدب الأندلسي[1]، فإنه لم يصل إلينا منها إلا ما يعود إلى القرن العاشر الميلادي، أي ما أنتجه الشعراء على مدى قرن من الزمن قد ضاع. لقد كسدت الموشحات الأولى بسبب النقلة الذين سكتوا عن هذا الفن، لاعتقادهم أنها خارجة عن الأعاريض المألوفة. ولعل أقدم موشحات أندلسية وصلت إلينا هي لعبّادة بن ماء السماء (ت 422 هـ – 1030 م) [2]. ولم تدون الموشحات إلا في القرن الحادي عشر الميلادي بعد وفاة عبادة بن ماء السماء الذي أورد له صاحب " الوفيات " موشحتين[3] .

اتخذ فريق من الباحثين الأسبان موضوع اللهجات في الأندلس حُجّة لتغريب أصل الموشح، خاصة بعد اكتشاف بعض الخرجات العجمية في الموشحات. لقد ذهب هؤلاء الباحثون إلى أن الخرجات العجمية التي ذيلت بها بعض الموشحات الأندلسية ما هي إلا بقايا أغان إسبانية، والموشحات الأندلسية إنما نشأت تقليدا لهذه الأغاني[4]. لكن هذا الزعم لم يتأكد بأدلة قاطعة. لأنه لم يثبت فيما إذا كانت الموشحات الأولى تحتوي على الخرجة أم لا. لأن الخرجة حسبما جاء في المصادر، تمثل مرحلة من مراحل تطور الموشح.

غير أن الخرجات لم تكتب كلها بالعجمية، وإنما أكثر الخرجات التي نظمها الوشاحون بهذه اللهجة تخللتها بعض الألفاظ العربية أو العامية. ثم إن وزنها العروضي ليس فيه شيء من العجمة، بل يبعد كثيرا عن أوزان الشعر الأوربي القديم التي خلطت بين النظامين المقطعي والمنبور، وعن الأغاني الشعبية الأسبانية التي يزعم أنها ظهرت قبل الموشحات.

إن وجود هذه الخرجات يُعد خروجا على اللغة التي نظمت بها الموشحة. فلما نظم الوشاح الأندلسي قطعته باللغة الفصحى، استحسن الخروج في آخر قفل عن اللغة الأصلية، فكتب الخرجة بالعامية أو العجمية أحيانا. وقد نظم بعض الشعراء اليهود موشحات عبرية ذات خرجات بالعربية وأخرى باللهجة الرومانسية، وذلك في القرن الحادي عشر الميلادي.

---

[1]– الذخير في محاسن أهل الجزيرة. ابن بسام :. ق 1، م 1.ص:469. وانظر أيضا، بن سعيد، علي : المقتطف من أزاهير الطرف، مستلة من كتاب " أعمال مهرجان ابن خلدون".– القاهرة، 1962. ص:477.

[2]– له كتاب في أخبار الأندلس لكنه لم يصل إلينا. انظر، أحمد الضبي : بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس.– مصر، دار الكتاب العربي، 1967. ص:396.

[3]– فوات الوفيات،ج1. الكتبي، ابن شاكر ، بيروت، 1974. ص:426.

[4]–ينظر: تاريخ الفكر الأندلسي. آنخل جنثاث بالنثيا، تحقيق: حسين مؤنس، القاهرة، 1955. ص:142 وما بعدها.

ولما نظم الوشاحون الخرجات بلهجات مخالفة للغة أقسام الموشح، كانوا يقصدون من وراء ذلك أن تتميز الخرجة عن بقية الأقفال في الموشحة. ولم يقتبس الوشاحون أبياتا ولا أوزانا عجمية، كما أن مؤرخي الأدب الأندلسي القدامى لم يشيروا البتة إلى أن الوشاحين كانوا يأخذون الخرجات من أغنية عجمية. فقد جاء في " الذخيرة " أن الوشاح كان يأخذ اللفظ العامي والعجمي[1]. وهذا يؤكد أن ما كان يعرفه الوشاحون هي الألفاظ العجمية وليست الأغاني. فالموشح إذن، هو أندلسي المنشأ وعربي الأصل، ولا يمتّ بأي صلة، لا من بعيد ولا من قريب، إلى مصادر أجنبية.

الخرجة هي عبارة عن القفل الأخير الذي تختم به الموشحة، وهي ركن أساسي لا يمكن الاستغناء عنه في الموشحات بعكس المطلع الذي قد تبتدئ به الموشحة وقد تخلو منه. وقد تتميز الخرجة عن الأقفال من حيث اللغة، لأنها القفل الوحيد من الموشحة الذي يجوز فيه اللحن.

ويجوز أن تكون الخرجة في الموشحة عجمية اللغة، ولا يشترط أن تكون ألفاظ الخرجة كلها عجمية، بل تكون أيضا مزيجا من ألفاظ عربية وعجمية أو عامية وعجمية، وهو الأغلب في الموشحات. كما أنه ينبغي على العجمية أو العامية أن تستخدم في الخرجة فقط، فإذا تسربت هذه الألفاظ إلى الأجزاء الأخرى من الموشح، سمي موشحا مزنما لا ينظمه إلا الضعفاء[2].

رغم الازدواج اللغوي والعناصر البشرية المختلفة، فإن الشعر الأندلسي لم ينحرف عن نظيره المشرقي من حيث اللغة باستثناء الموشحات. ولغة الموشحات ليست لغة متميزة، وإنما هي اللغة العربية التي نظم بها الشعر. أما الخرجة التي كتبت بالعجمية تارة وبالعامية تارة أخرى فهي تظرف استحسنه الوشاح لِما في ذلك من متعة يتذوقها الناس. ولم تكتب كل الخرجات بالعجمية سوى بعض منها، واقتصرت العجمية في الموشح على الخرجة فقط، أو على جزء منها، ولم تصل إلينا موشحة واحدة تخللتها ألفاظ عجمية. فلغة الموشح إذن هي العربية.

أما أكثر الخرجات التي ابتعدت عن الفصحى، فقد نظمها أصحابها بالعامية. والعامية لا يجوز أن تتسرب إلى الأجزاء الأخرى في الموشحة، وإلا أصبح الموشح مزنما، كما سبقت الإشارة إليه. وهذا يدل على أن الموشحة نظمت في بداية الأمر كلها بالفصحى، ولما لجأ بعض الشعراء إلى تقليد فحول التوشيح وقعوا في التزنيم. وهذا الانحراف عدّه بعض المستشرقين اللبنة الأولى في تكوين الموشح بغية إرجاع مصدره إلى عناصر غير عربية.

---

[1]- الذخيرة . ابن بسام . ص: 469.

[2]- العاطل الحالي والمرخص الغالي . الحلي، صفي الدين ، تحقيق: ولهلم هونرباخ، مطبعة فرانتز شتاينر، فيسبادن، 1955. ص:10.

تكوين الموشح: يضم الموشح عادة ثلاثة أقسام، دورين وخانة كل منها بلحن مختلف والختام بالخانة الأخيرة غالباً ما يكون قمة اللحن من حيث الاتساع والتنويع مثلما في موشح لما بدا يتثنى وموشح ملا الكاسات، وقد لا تختلف الخانة الأخيرة ويظل اللحن نفسه في جميع مقاطعه كما في موشح يا شادى الألحان، وقد تتعدد أجزاء الموشح لتضم أكثر من مقطع لكل منها شكل وترتيب وتتخذ تسميات مثل المذهب، الغصن، البيت، البدن، القفل، الخرجة.[1].أما ابن سناء الملك فيقول: (الموشح كلام منظوم على وزن مخصوص وهو يتألف في الأكثر من ستة أقفال وخمسة أبيات ويُقال له التام، وفي الأقل من خمسة أقفال وخمسة أبيات ويُقال له الأقرع، فالتام ما ابتدئ فيه بالأقفال، والأقرع ما ابتدئ فيه بالأبيات. اما الموشحات فهي تتالف من اسماط (اقفال . يقابلها الردة) ومن ابيات تتفرع إلى اغصان (أجزاء . يقابلها دعامات) وهي كالاتي:

1-القفل (الاسماط): هو بيت أو عدة ابيات من الشعر تبتدئ بها الموشحات في اغلب الأحيان ، وتتكرر قبل كل بيت منها ، ويسمى القفل سمطا ويشترط في الاقفال التزام القافية والوزن والأجزاء وعدد الابيات الشعرية . وهكذا تكون كلها في الموشحة ذات موسيقى لفظية وتلحينية واحدة . والقفل لا يكون اقل من جزأين (دعامتين) ويصل إلى ثمانية أجزاء عند البعض وهي قليلة .فمثلا

- القفل المركب من جزاين

شمس قارنت بدرا راح وناديم 7+5 حركات

- القفل المركب من ثلاث أجزاء

حلت يد الامطار ازرة النوار فياخذني 7+7+5 حركات

- القفل المركب من أربعة أجزاء

2-البيت: هو ما نظم بين القفلين من ابيات شعرية (ويسمى الدور) ويشتمل على أجزاء تسمى اغصانا تتعدد بتعدد الاغراض والمذاهب . وقد يتالف البيت من جزاين أو ثلاثة أجزاء . ومن شروط الابيات ان تكون كلها متشابهة وزنا ونظاما وعدد أجزاء ، واما الروي فيحسن تنويعه ، ومن عادة الموشح ان يبدا بقفل وينتهي بقفل ويسمى بالتام وعادة يتردد ست مرات . اما اذا تردد خمس مرات (أي لا يبدا بقفل) يسمى بالاقرع . وقد قسم ابن سناء الملك الموشحات إلى قسمين:

1- ما جاء على اوزان العرب وهي تشبه المدراش السرياني ذو الوزن المتساوي

2- الخالية من العروض كما يقول : (اردت ان أقيم لها عروضا يكون دفترا لحسابها وميزانا لاوتارها واسبابها فعز ذلك واعوز لخروجها عن الحصر وانفلاتها من الكلف ... واكثرها مبني على تأليف الارغن

---

[1]-المختار من الموشحات. مصطفى السقا، تح: حسين نصار، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر.2008 م .ص: 38.

<u>بناء الموشح</u> : تختلف الموشحات عن القصائد العربية من حيث البناء ويتألف الموشح من أجزاء مختلفة يكوّن مجموعها بناء الموشح الكامل ، وقد اصطلح النقاد على تسمية هذه الأجزاء بمصطلحات ، وهذه الأجزاء هي:

-1المطلع 2- القفل 3- الدور 4- السمط 5- الغصن 6- البيت 7- الخرجة

إليكم موشح نموذجي البناء للموشح الأندلسي ويمكن بناء الموشحات المكفرة للذنوب عليه

موشح " أيُّها الساقي إليك المُشتكى" لابن زُهْر الإشبيلي ، وقد قام على خمسة أدوار:

أيُّها الساقي إليك المشتكى ** قد دعوناك وإن لم تسمعِ (مطلع)

ونديمٍ هِمْتُ في غُرَّتِهِ(سمط)

وشربْتُ الراحَ من راحتِهِ (سمط)

كلّما استيقظ من غفوتِهِ (سمط)

جذب الزق إليه واتّكا ** وسقاني أربعا في أربعِ(قفل)

غصنُ بانٍ مال من حيث استوى (سمط)

باتَ من يهواه من فَرط الجوى (سمط)**خافقَ الأحشاءِ موهونَ القوى** (سمط)

كلّما فكّر في البَيْنِ بكى ** ويحه ! يبكي لِمَا لم يقعِ(قفل)

ما لعيني عَشِيَتْ بالنظرِ (سمط)

أنْكرَتْ بَعدَك ضوءَ القمرِ (سمط)

وإذا ما شِئْتَ فاسمع خبري (سمط)

عشيَتْ عيناي من طولِ البُكاء ** وبكى بعضي على بعضي معي (قفل)

ليس لي صبرٌ ولا لي جلدٌ (سمط)

يا لَقومي عذلوا واجتهدوا (سمط)

أنكروا شكوايَ ممّا أجدُ(سمط)

مثلُ حالي حقُّه أن يشتكى ** كمدَ اليأسِ وذُلَّ الطمعِ(قفل)

كبدي حرى ودمعي يكفُ (سمط)

يعرفُ الذنبَ ولا يعترفُ (سمط)

أيُّها المعرضُ عمّا أصفُ (سمط)

قد نما حبُّك عندي وزكا ** لا تقل في الحبِّ إنّي مُدّعي (خرجة)

نلاحظ أن حرفا الروي في الأقفال متماثلة بالتقابل (ك) في الشطر(الغصن) الأول و (ع) في الشطر(الغصن)الثاني، بينما تتماثل حروف الروي في أسماط الدور الواحد وتختلف عنها في باقي الأدوار في أسماط بيت الدور الأول (ت) – في أسماط بيت الدور الثاني (ى)– في أسماط بيت الدور الثالث (ر).في أسماط بيت الدور الرابع (د) - في أسماط بيت الدور الخامس (ف)

البحر المستعمل هو بحر الرمل في أغصان الأقفال وأسماط البيوت معاً (موحد في جميع الموشح)

من أشهر الوشاحين الأندلسيين: (عبادة بن ماء السماء ، عبادة القزاز ، ابن بقي الأعمى التطيلي ، لسان الدين بن الخطيب ، ابن زمرك ابن سناء الملك ، شهاب الدين العزازي ، ابن باجة ابن سهل ، ،ابن زهر ، محيي الدين بن العربي أبو الحسن المريني.

نماذج من الموشحات

ابن سناء الملك أضناه الهوى

وفي شعر ابن سناء الملك (شاعر وأديب عاش بين 550 هجري و608 هجري وله كتاب الطراز في عمل الموشحات – أول كتاب نظر في وزن وكتابة الموشحات) تجليات العاشق المترفع عن مفاتن الجسد.

فمحبوبته أضحت جزءاً من روحه، فكان أن أضناه هيامه، **فقال:**

يا شقيق الروح في جسدي أهوىً بي منك أم ألم

ضعت بين العذل والعذل

وأنا وحدي على خبلِ

ما أرى قلبي بمختبلِ

ما يريد البين من خلدي....وهو لا خصمٌ ولا حكمٌ

لسان الدين يمدح الوزير أبي عامر

يمدح الشاعر الأندلسي لسان الدين بن الخطيب الوزير أبي عامر بن ينق الملقب بالحاجب المنصور، والذي كان من أشهر الوزراء في عهد الخلافة الأموية في الأندلس، فيصفه بأنه حاكم كل الناس ونورهم وأشجع فرسانهم، **فقال:**

أنتَ العزيزُ الأبيّ والَملكُ مَلْكُ الأنامْ

أنت السراجُ الوضيّ البدرُ بدرُ التّمامْ

ليث إذا ما الكميُّ قد هابَ روعَ الحِمامْ

ابن زمرك مشتاقاً لغرناطة

يصف الشاعر ابن زمرك (أبو عبدالله محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد) شوقه لمنبته ومسقط رأسه غرناطة، ويتذكر عهده فيها كلما هبت نسمةٌ من صوبها، **فقال:**

أبلغ لغرناطة السلامْ وصفْ لها عهديَ السليمْ

فلو رعى طرفها ذمام ما بتّ في ليلة السليـــمْ

كم بثّ فيها على اقتراح أُعلّ من خمرة الرضاب

أدير فيها كؤوس راح قد زانها الثغر بالحبـــاب

أختال كالمهر في الجماح نشوانَ في روضة الشباب
أضاحك الزهر في الكمام مباهيا روضه الوسيـــــم
وأفضح الغصن في القوام إن هبّ من جوّها النسيم

أكثر الموشحات الأندلسية

تعد موشحة الشاعر لسان الدين الخطيب من أكثر الموشحات التي انتشرت وشاعت لما فيها من رقيق الكلام وعذبه، وقدرة على التصوير.

وقد غنت فيروز أجزاءً منها، وفيها يصف حاله مع محبوبته، فيتذكر أيام الوصل واللقاء، وكيف غدت سراباً سرعان ما اندثر، **فيقول:**

جادك الغيث إذا الغيث همـــى ... يـا زمـان الوصل بالأندلـــــس
لـم يكن وصلك إلا حلمـــــــاً ... في الكرى أو خلسة المختلس
إذ يقود الدهر أشتات المنـــى ... ننقل الخطو على ما ترســـم
زمرا بيـن فُـــــــرادى وثنـــا ... مثلما يدعو الحجيج الموسم
في ليال كتمت سر الهـــــوى ... بالدجى لولا شموس الغُـــرر
مال نجم الكأس فيها وهـــوى ... مستقيم السير سعد الأثـــر
وطرٌ ما فيه من عيب ســـــوى ... أنـه مـرَّ كلمـح البصـــــــر
حين لذّ النوم شيئاً أو كمـــــا ... هجم الصبح هجوم الحرس
يا أهَيلَ الحي من وادي الغضـا ... وبقلبي مسكنٌ أنتم بـــــه
ضاق عن وجدي بكم رحب الفضا ... لا أبالي شرقه من غربـــه
فأعيدوا عهد أنس قد مضـــــى ... تعتقوا عبدكم من كربـــه
قد تساوى محسنٌ أو مذنـــــبٌ ... في هواه بين وعدٍ ووعيـد
أحور المقلة معسول اللمـــــــى ... سدد السهم فأصمى إذ رمى .

ثانيا: الأزجال: وفي أواخر عصر الخلافة، اخترع الأندلسيون فنا آخر، يدعى الزجل. لقد نظموا الزجل بلغة مجردة من الإعراب ومزدحمة بالكلمات التي هي من أصل محلي أو بربري. وكل ذلك ظهر بسبب التعدد الثقافي الذي عرفته الأندلس، واختلاط الشعوب الأندلسية ببعضها. الأمر الذي أدى إلى هذا التنويع الثقافي ضمن هذه اللغة والأدب الواحد.

والزجل في الاصطلاح، ضرب من ضروب النظم يختلف عن القصيدة من حيث الإعراب والتقفية كما يختلف عن الموشح من حيث الإعراب، ولا يختلف عنه من جانب التقفية إلا نادرا. يعد الزجل بهذه الصورة موشحا ملحونا إلا أنه ليس من الشعر الملحون. وقد كتِب بلغة ليست عامية بحتة بل هي مهذبة وإن كانت غير معربة.

يمثل الزجل الفن الثاني المستحدث في الأندلس بعد الموشح، وقد تباينت آراء المؤرخين القدامى في نشأة هذا الفن، ولو أنهم يتفقون على أن الزجل وليد البيئة الأندلسية، ومنها خرج إلى الديار المغربية والمشرقية وانتشر فيها. وقد ظهر الزجل بعد الموشح إلا أن بعض الباحثين من عرب ومستشرقين يرون عكس ذلك[1].

إن الذين يرون أن الزجل سابق للموشح، انطلقوا من نص ابن بسام حول الموشحات الأندلسية القائل بأن محمد بن محمود القبري " كان يأخذ اللفظ العامي والعجمي ويسميه المركز، ويضع عليه الموشحة "[2].معتقدين في ذلك بأن هذه الألفاظ وجدت في قصائد عامية، وأن الموشح يُعد تطورا لهذه القصائد. ولم يكن لهم دليل قاطع فيما يذهبون، لأن القبري لم يأخذ بيتا من الأبيات وإنما كان يأخذ اللفظ من اللغة لا من القصائد، حسبما ورد في " الذخيرة ". ولعل مما ساعد على نشأة الزجل في الأندلس ما كان من شيوع الموشحات بين العامة والخاصة.

وقد اتفق مؤرخو الأدب الأندلسي على أن الموشح أسبق من الزجل، ومنهم ابن خلدون الذي قال: " ولما شاع التوشيح في أهل الأندلس، وأخذ به الجمهور لسلاسته، وتنميق كلامه، وتصريع أجزائه، نسجت العامة من أهل الأمصار على منواله ونظموا في طريقته بلغتهم الحضرية، من غير أن يلتزموا فيه إعرابا، واستحدثوا فنا سمّوه الزجل والتزموا النظم فيه على مناحيهم لهذا العهد، فجاءوا فيه بالغرائب، واتسع فيه للبلاغة مجال بحسب لغتهم المستعجمة "[3]ويتضح من كلام العلامة ابن خلدون أن الزجل الأندلسي نشأ تقليدا للموشح.

---

[1]- تاريخ الفكر الأندلسي . أ. ج. بالنثيا . ص 143. ينظر: أيضا: الفن ومذاهبه في الشعر العربي .شوقي ضيف، القاهرة، دار المعارف، ط7، 1969. ص:454.

[2]- الذخيرة . ابن بسام .ص: 469.

[3]- المقدمة . ابن خلدون . ص:404.

غير أنه لا يمكن الاعتقاد أن شعراء من العامة لما عجزوا عن نظم الموشح، نظموا فنا آخر بعامية أهل الأندلس وسمّوه الزجل، لأن الذين أنشأوا الزجل لأول مرة، هم المثقفون الذين كانوا ينظمون القصائد الفصيحة، والذين ينتمون إلى الطبقة الوسطى وليس العامة. وكان لاختراع هذا النظم تلبية لحاجة العامة في القول الرفيع والغناء المنسجم.

إن عامية أهل الأندلس كانت بعيدة بعدا شديدا عن اللغة الفصحى، لاتصالها بلهجات متعددة غير عربية من جهة، واختلاف أصول الأندلسيين من جهة أخرى. لأنه لو كانت لغة الزجل الأندلسي هي لغة العامة نفسها، لمَا انتشرت أزجال الأندلسيين في العراق وبلاد الشام واستعذبها المشارقة ونسجوا على منوالها.

وقد ذهب صفي الدين الحلي إلى أن : " أول ما نظموا الأزجال جعلوها قصائد مقصدة وأبياتا مجردة في أبحر عروض العرب بقافية واحدة كالقريض لا يغايره بغير اللحن العامي، وسمّوها القصائد الزجلية "[1]وقد عدّ صفي الدين الحلي للشيخ ابن عبد الله مدغليس زجال الموحدين في الأندلس، ثلاثة عشرة قصيدة من هذا القبيل.

إن ما يلاحظ من خلال هذا الكلام هو أن صفي الدين الحلي لم يكن يعلم أن هذا النوع من الشعر الذي لا يختلف عن القصيدة إلا من حيث اللحن، يسمى عند المغاربة الشعر الملحون وقد سبق الموشح بزمن طويل وهو من نسج العوام. لذا لا يمكن أن نسمّي كل ما حاد عن الإعراب زجلا. أما القصائد الزجلية التي ذكرها صفي الدين الحلي فقد ظهرت في مرحلة من مراحل تطوّر الزجل، لأنه لا يمكن أن نعد مدغليس الذي جاء بعد أبي بكر بن قزمان من منشئي الزجل.

أما الزجالون الأندلسيون الأوائل فقد ظهروا في أواخر القرن العاشر الميلادي، غير أن أزجالهم كسدت ولم تحظ باعتراف المؤرخين القدامى، شأنها في ذلك شأن الموشحات في بداياتها، فنسيت أسماؤهم بعدما ظن المؤرخون أن هذا النوع من الفن هو من الموشحات الملحونة، لأنهم كانوا يعرضون عن تدوينه.

لم يصل إلينا من زجل المتقدمين إلا ما يعود إلى القرن الحادي عشر الميلادي، وهو زمن ملوك الطوائف، فكان الزجل في هذا العصر قد اتضحت معالمه الفنية، أما الأزجال الأولى فقد كسدت ووقع لها ما وقع للموشحات في القرنين التاسع والعاشر الميلاديين. وفي القرن الثاني عشر الميلادي ازدهر فن الزجل بسبب تذوق المرابطين لهذا النوع من الشعر وليس لنفورهم من اللغة الفصحى كما ذهب بعض الباحثين العرب[2].

---

[1]- العاطل الحالي والمرخص الغالي . الحلي، صفي الدين . ص:17 وما بعدها.

[2]- الزجل في الأندلس . الأهواني، عبد العزيز . القاهرة،1967. ص:55. وينظر أيضا: الأدب العربي في الأندلس. عتيق، عبد العزيز، بيروت، ط2، 1976. ص:98.

مر الزجل الأندلسي بأطوار لغوية مختلفة، فكان الطور الأول اللغة الفصحى غير المعربة، وكان الزجل في ذلك الوقت، من اختصاص الطبقات المثقفة التي نسجته على منوال الموشحات. ثم بدأت تتسرب إليه عناصر اللهجة الأندلسية حسبما تقتضيه ضرورة الوزن والغناء عند أهل الأندلس، ومع ذلك لم يستطع الزجالون الأولون التخلص من الإعراب إلى أن جاء إمام الزجالين أبو بكر بن قزمان (ت 554 هـ – 1160 م)، الذي مهّد الطريق في ديوانه إلى العناصر اللغوية العامية التي غزت اللغة الرفيعة في الزجل وقد أشار إلى ذلك في ديوانه[1].

أما الحموي فيرى أن ابن قزمان " قال ذلك نهيا عن تقصد الإعراب وتتبعه والاستكثار منه لئلا يغلب على معظم أزجالهم "[2].فابن قزمان لم ينهِ عن الإعراب مطلقا، بل سوء فهم كلامه هو الذي جعل صفي الدين الحلي يعتقد أن الإعراب لا يجوز في الزجل لخلطه بين الشعر غير المعرب والشعر الملحون العامي.

وعلى هذا النحو، لا تعتبر القصائد العامية أزجالاً حتى وإن كانت مقطعية الشكل، لأنه ليس كل ما هو غير معرب زجلا، فهناك لغة مجردة من الإعراب لها قواعد مطردة، وهي قريبة جدا من الفصحى، وهناك لغة عامية ليس فيها شيء من الاطراد إلا التغير، يختلف نطقها من جهة إلى أخرى، والزجل نهجَ اللغة الأولى حتى لا يتغير لفظه ونطقه عبر الزمن.

ولغة الزجل تتألف من هذه اللغة غير المعربة بالإضافة إلى عناصر لغوية أندلسية اختلطت فيها لهجات شمال إفريقيا مع لسان الوافدين من المشارقة والعناصر المحلية المولَدة والمبتكرة التي يبيحها الزجال في نظمه. أما الذين نظموا الزجل فهم من الشعراء المثقفين الذين لجأوا إلى هذه العناصر وهذبوها، لأنه لا يمكن لأي أحد كان أن يقول زجلا، فهذا الفن يخضع للوزن والقافية.

ولم تسلم الأزجال من التزنيم، فقد جاء التزنيم في الزجل كما جاء أيضا في الموشح، وهو اللحن في الموشح والإعراب في الزجل. وقد أنكر ابن قزمان التزنيم على متقدميه[3]. والتزنيم حسب اعتقادنا، ثلاثة أنواع، فهناك من يزنم رغبة في التزنيم ومذهبا فيه، وهناك التزنيم الناتج عن ضعف الناظم، فتكون أزجاله عرضة للانتقاد. وأخيرا، التزنيم الذي تقتضيه ضرورة قواعد النظم في الموشح والزجل كما سبقت الإشارة إليه.

ويجب أن نشير أيضا إلى أن الزجالة لم يولوا اهتماما لعجمية أهل الأندلس. فلا نجد من اللهجة الرومانسية إلا بعض الألفاظ، متناثرة في أثناء أزجال الإمام ابن قزمان، وما جاء على لسان العجم والعجميات في أزجال الحوار. ولم نجد خرجة عجمية في الزجل كما هو الشأن في بعض الموشحات، ذلك

---

[1]– الديوان . ابن قزمان ، حققه فيدريكو كورينطي، المعهد الأسباني العربي للثقافة، مدريد 1980. ص:01

[2]– بلوغ الأمل في فن الزجل .الحموي، ابن حجة ، تحقيق: رضا محسن القريشي، دمشق 1974. ص: 60.

[3]– الديوان . ابن قزمان. ص:01.

لأن لغة الزجل غير معربة، فيلجأ الزجال إلى الفصيح بدلاً من الألفاظ العجمية، أو إلى التحايل، كأن يمهد للخرجة بألفاظ تدل على أن الزجل قد أوشك على النهاية.

لقد استخدم الإمام أبو بكر بن قزمان في أزجاله بعض المقطوعات بالعجمية. ومن المؤكد أنه ورث هذه الطريقة عن الوشاحين الذين كانوا يستعملون العجمية في خرجات موشحاتهم. أما المستشرقون فقد أولوا اهتماما بالغا للأزجال الأندلسية وبالأخص ديوان ابن قزمان، وزعموا أن أزجال الإمام تمثلُ ذروة الشعر العربي وواقع المجتمع الإسلامي، إذ ركزوا بحوثهم على الألفاظ العجمية التي استخدمها ابن قزمان في أثناء أزجاله، وقد زعموا أن الزجال الأندلسي نظم بعض الخرجات الزجلية باللغة العجمية.

لكن خرجات الزجل لم تكتب بالرومانسية كما يذهب هؤلاء المستشرقون، وإنما وُجدتْ بعض الألفاظ في ثنايا أزجال ابن قزمان لا علاقة لها بالوزن أو الموسيقى أو القافية، وهي ألفاظ تعوّد الأندلسيون على استخدامها في حديثهم اليومي مع أفراد النصارى. ولم نجد ألفاظا عجمية عند الزجالة الذين تقدموا الإمام ابن قزمان أو عاصروه أو خلفوه، فيما وصل إلينا من أزجالهم.

أما العناصر التي يتكون منها الزجل فهي العناصر نفسها التي سبق إليها الوشاحون شكلا واصطلاحا في موشحاتهم، وهي **المطلع** و**البيت** و**القفل** و**الخرجة**. وغالبا ما تكون الخرجة في الزجل بلغة فصيحة حسب ما وصل إلينا من أزجال، لأن الزجل ينظم بلغة غير معربة أو ما يشبهها، ولا بد من تمييز الخرجة منه، ولذلك يلجأ الزجال إلى نظمها بالفصحى.

وإلى جانب الألفاظ العجمية المتناثرة في أجزاء الأزجال، استخدم ابن قزمان أيضا بعض الأشطار تكاد تكون كلها عجمية أحيانا، أو تشاركها ألفاظ عربية وأندلسية محلية. كأن يصور في زجل من أزجاله، حوارا بينه وبين رومية، يسائلها بالعربية فتجيبه بالعجمية [1] وكان أبو بكر بن قزمان يستعذب بعض الألفاظ العجمية في أزجاله. ومثل هذا الحوار أوهَمَ بعض المستشرقين بأن الزجالين أخذوا مقطوعات من أغان عجمية، وبنوا عليها أزجالهم.

وبعد، يمكن القول إن لغة الزجل هي تلك اللغة التي يفهمها فئة واسعة من المجتمع، وهي لغة مهذبة سادت الزجل منذ نشأته إلى غاية القرن الثاني عشر الميلادي، وهو بداية ازدهار الزجل الذي كان في الحقيقة بداية انحطاط مذهبه ولغته حتى ظن أحد المستشرقين أن الأزجال الأندلسية نظمت للشارع [2]وقد أولى المستشرقون هذه الجوانب اهتماما بالغا، أما قيمة الزجل الحقيقية، فلم يتطرقوا إليها كما تقتضيه الحقيقة.

---

[1]- المصدر السابق . ص:542.

[2]-مع شعراء الأندلس والمتنبي. إيميليو غرسيا غومث، ترجمة : الطاهر أحمد مكي،القاهرة، دار المعارف، ط2، 1978، ص:163.

ورغم انتشار الشعر الشعبي في ذلك العصر إلا أن هذا لم يحد من انتشار العلم والمعرفة في أوساط المفكرين من علماء الإسلام، بل إن عصر المرابطين والموحدين هو العصر الذي عرف تجدد الفكر العربي الإسلامي على يد الفلاسفة الكبار أمثال ابن رشد وابن طفيل وغيرهما من جهابذة الإسلام. وبفضل هؤلاء، انتقلت زبدة المعارف العربية الإسلامية من الجنوب إلى الشمال وقد استفاد منها الأوربيون في بناء حضارتهم الحديثة.

فاللهجة أو اللغة غير المعربة لم تكن عائقا في وجه العلوم طالما ظلت اللغة الفصحى تحظى بالاهتمام والاحترام من قبل السلطة. وهذا عكس ما آلت إليه اللغة الفصحى في عصر الحكم العثماني عندما انحطت العلوم وانحط المجتمع الذي ساده الخرافات والبدع بسبب إهمال اللغة العربية، لغة العلم والتعلم والآداب الرفيعة. لذا لم نر منذ ابن خلدون والمقري كتابا واحدا على الأقل يمكن عده من أمهات الكتب، بل حتى تراثنا الذي جادت به قريحة مفكري الإسلام، تعرفنا عليه في العصر الحديث بواسطة الأوربيين من مستشرقين ومستعربين.

أعلام الأزجال:

تعد المصادر الأندلسية عددا من الزجالة، فابن سعيد الأندلسي تحدث عن سبعة عشر زجالا في كتابه) المغرب في حلي المغرب(،وعن ثمانية زجالين في كتابه (المقتطف من أزاهر الطرف)، وعن ثلاثة زجالين في كتابه (اختصار القدح المحلى في التاريخ المحنى)، ولم يفته التحدث عن ابن قزمان، في كتابه "رايات المبرزين وغايات المميزين"، وهؤلاء الزجالة يمثلون القرنيين السادس والسابع الهجريين[1]ولسان الدين ابن الخطيب نص على ذكر ستة زجالين من القرون السادس والسابع والثامن، توفي آخرهم سنة 761هـ، وذلك في كتابه) الإحاطة في أخبار غرناطة[2].

نماذج من الأزجال

خمريات

قال أبو بكر بن صارم الأشبيلي:

حقاً نحب العقار فالدير طول النهار نرتهن خلع أنا لس قدا عن فلان
نشرب بشقف القدح كف ما كن
للدير مر وتراني عيان
قد التويت فالغبار وماع كانون بنار فالدكان
ومذهبي فالشراب القديم

---

[1]- أبحاث في الأدب الأندلسي، مقداد رحيم، دار ومكتبة الشعب، مصراته، ط1. 1994.ص:40.

[2]- بلوغ الأمل في فن الزجل، تقي الدين أبوبكر الحموي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1974.ص:40.

وسكرا من هُ المنى والنعيم

ولس لي صاحب ولا لي نديم

فقدت أعيان كبار واخلطن مع ذا العيار الزمن

لا تستمع من يقول كان وكان

وانظر حقيق الخبر والعيان

بحال خيالي رجع ذا الزمان

فأحلى ما يوريك ديار غيبها واخرج جوار اليمن[1]

وصف الأماكن

وخرج **ابن قزمان** إلى منتزه مع بعض أصحابه ، فجلسوا

تحت عريش وأمامهم تمثال أسد من رخام يصب الماء من فمه على صفائح من الحجر متدرجة فقال:

وعريش قد قام على دكـان بحال رواق

وأسد قد ابتلع ثعبــان من غلظ ساق

وفتح فمه بحال إنســان بيه الفراق[2]

---

[1]- دراسات في الأدب الأندلسي، سامي العاني، العراق، 1978. ص:457.

[2]- مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 2006.ص:697.

المحاضرة 13: الشعر الأندلسي.(نصوص من أشعار ابن زيدون....)

الشعر الأندلسي: مميزاته وخصائصه:

إنَّ الباحث في تراث الأندلُس ليجد من أمر هذه البلاد عجبًا، سواء في الثقافة أو الحضارة والعمران، بشكلٍ جعل من الأندلس على مرِّ التَّاريخ معينًا لا ينضب، يُقبِل عليه أهل الشرق والغرب على حدٍّ السواء، بدراسات وأبحاث لم تنقطع يومًا، ولعلَّ ذلك راجع بالأساس إلى الحضارة الإسلاميَّة التي سادت لقرون عدَّة في هذه البقعة، هذا أوَّلاً.

وثانيًا :لما اتَّسم به أهلُها من مميِّزات وصفات جعلتْهم أحرَصَ النَّاس على التفرُّد والتميُّز، وفي هذا الصَّدد يقول المقري: "حال أهل الأندلس في فنون العلوم، فتحقيق الإنصاف في شأنِهم في هذا الباب أنَّهم أحْرَص النَّاس على التميُّز، فالجاهل الذي لم يوفِّقْه الله للعِلْم يَجهد أن يتميَّز بصنعة ويربأ بنفسه أن يُرى فارغًا عالة على الناس؛ لأنَّ هذا عندهم في نهاية القُبح، والعالِم عندهم معظَّم من الخاصَّة والعامَّة، يُشار إليْه ويُحال عليْه، وينْبه قدره وذكْرُه عند الناس"[(1)]. وهي من الصفات الحميدة التي إن توفَّرت في شعب ما، وضعتْه في المراتب السامية، ودفعتْه إلى مدارج التقدُّم والازدهار[(2)]

وسنحاول في هذه المقالة الوقوف على مكانة الشِّعْر عند الأندلسيين، ومميّزاته وخصائصه وأغراضه الأدبيَّة، مع الإشارة إلى مظاهر التميُّز والتفرُّد الأندلسي الذي دفعهم إلى ابتكار أجناس أدبيَّة خاصَّة باللغة العربية الفصيحة، سمِّيت بالموشَّحات، وأخرى بالعامِّية سميت بالزَّجل.

أوَّلاً :مكانة الشِّعْر عند الأندلسيِّين:

كان الشِّعر على مرِّ العصور وسيلةً تزْفع صاحبها إلى أسمى مراتب الدَّولة، بغضِّ النَّظر عن عقيدة الشَّاعر ودينه، فقد نبغ عددٌ من الشُّعراء غير المسلمين، من بيْنِهم شواعر مثل: قسمونة بنت إسماعيل[(3)]

---

[1]- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر: بيروت، لبنان، السنة: 1968، ج:1، ص: 220.

[2]- الأدب الأندلسي: موضوعاته وفنونه، مصطفى الشكعة، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، السنة: 1979، ص: 71.

[3]-قسمونة بنت إسماعيل النغريلة: شاعرة أندلسيَّة يهودية، عاشت في حوالي سنة 1009م، وللأسف لم تذكر المصادر نسبَها كاملاً، وكل ما ذكرته هي بعض المقاطع من موشَّحاتها، ومنها أنَّها ذات يوم نظرت إلى وجهها في المرآة وكانت عانسًا فأنشدت: **أَرَى رَوْضَةً قَدْ حَانَ مِنْهَا قِطَافُهَا وَلَسْتُ أَرَى الجَانِي يَمُدُّ لَهَا يَدَا**

فَوَا أَسَفًا يَمْضِي الشَّبَابُ مُضَنِّيًا وَيَبْقَى الَّذِي مَا إِنْ أُسَمِّيهِ مُفْرَدَا

وحمدونة بنت زياد... [1] ولم يكن لشيءٍ من ذلك أن يحدث لولا تسامُح سائر المجتمع وتجانُسٍ أرْسى أصوله بين الناس[2].

هي حمدة ويقال حمدونة بنت زياد بن تقي، من قرية بادي من أعمال وادي آش في المغرب، كان أبوها زياد مؤدبًا، وبوظيفة أبيها اشتهرتْ ونسبت فقالوا: حمدة بنت المؤدِّب، ومن ألقابها خنساء المغرب، ومن أشعارها:

وَقَانَا لَفْحَةَ الرَّمْضَاءِ وَادٍ سَقَاهُ مُضَاعَفُ الغَيْثِ العَمِيمِ
حَلَلْنَا دَوْحَهُ فَحَنَا عَلَيْنَا حُنُوَّ المُرْضِعَاتِ عَلَى الفَطِيمِ
وَأَرْشَفَنَا عَلَى ظَمَأٍ زُلالاً أَلَذَّ مِنَ المُدَامَةِ لِلنَّدِيمِ

وقد حظِي الشِّعْر عند الأندلسيِّين بمكانة عظيمة، وكان للشُّعراء من ملوكهم وجاهة ولهم عليهم وظائف، والمجيدون منهم ينشدون في مجالس عظماء ملوكهم المختلفة، ويوقع لهم بالصلات على أقدارهم[3].وهو أمرٌ لم يكن مختلفًا كثيرًا عما كان للشُّعراء عند العرب.

وللإشارة فإنَّ بلاد الأندلُس عُرِفَت بِجمال مناظرِها وأوْضاعها الطبيعيَّة الخلاَّبة، فأفاض الشُّعراء في التغنِّي بمناظرها[4].وقال فيها الوزير ابن الحمارة الأندلسي:

لاحَتْ قُرَاهَا بَيْنَ خُضْرَةِ أَيْكِهَا كَالدُّرِّ بَيْنَ زَبَرْجَدٍ [5] مَكْنُون[6].

وكذلك قول ابن سفر المريني متغنِّيًا بمشاهد الأندلس ومواطن الجمال فيها:

فِي أَرْضِ أَنْدَلُسٍ تَلْتَذُّ نَعْمَاءُ وَلا يُفَارِقُ فِيهَا القَلْبَ سَـرَّاءُ
وَلَيْسَ فِي غَيْرِهَا بِالعَيْشِ مُنْتَفَعٌ وَلا تَقُومُ بِحَقِّ الأُنْسِ صَهْبَاءُ
وَأَيْنَ يُعْدَلُ عَنْ أَرْضٍ تَحُضُّ بِهَا عَلَى المُدَامَةِ أَمْوَاهٌ وَأَفْيَاءُ

---

[1]- للمزيد عن هذه الشاعرة ينظر: معجم الأدباء، ياقوت الحموي الرومي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ج: 3، ص:1211، وأعلام النساء، عمر رضا كحالة، مؤسَّسة الرسالة، مصر، ج: 1، ص: 292 – 293.

[2]- الأدب الأندلسي: موضوعاته وفنونه، مصطفى الشكعة، م س، ص: 75.

[3]- نفح الطيب من غصن الأندلُس الرَّطيب، أحمد بن محمد المقري التلمساني، م س، ج: 1، ص: 222.

[4]- الأدب الأندلُسي: موضوعاته وفنونه، مصطفى الشَّكعة، م س، ص: 409.

[5]- جاء في "لسان العرب"، الزَّبَرْجَد: حجرٌ يشبه الزمرُّد وهو ألوانٌ كثيرة، والمشْهور منها الأخضر.

[6]- نفح الطيب من غصن الأندَلُس الرَّطيب، أحمد بن محمد المقّري التلمساني. ج: 1، ص: 148.

وَكَيْفَ لا يُبْهِجُ الأَبْصَارَ رُؤْيَتُهَا وَكُلُّ رَوْضٍ بِهَا فِي الوَشْيِ صَنْعَاءُ
أَنْهَارُهَا فِضَّةٌ وَالمِسْكُ تُرْبَتُهَا وَالخَزُّ رَوْضَتُهَا وَالدُّرُّ حَصْبَـــاءُ[1].

ويقول في هذا الصدد لسان الدين بن الخطيب: [2]

غِرْنَاطَةٌ مَا لَهَا نَظِيـــرٌ مَا مِصْرُ مَا الشَّامُ مَا العِرَاقُ
مَا هِيَ إِلاَّ العَرُوسُ تُجْلَى وَتِلْكَ مِنْ جُمْلَةِ الصَّـــدَاقِ[3].

ولعلَّ هذه الطبيعة هي التي غذت فيهم الروح الموسيقيَّة المرحة التي حدت بهم إلى أن يتفنَّنوا في الأوزان الشعريَّة، فيضيفوا إلى ما هو معروف منْها أوزانًا في غاية الخفَّة والجمال، وتعد الموشحات خير دليل.

ثانيا :نشأة الشعر الأندلسي:

ظهر الشعر الأندلسي في ظروف مختلِفة عن مثيله في الشرق، ظروف تتَّصل بطبيعة الأندلس وتنوُّعها وغنًى بمواطن جمالها، وأخرى متَّصلة بالتكوين الثقافي للسكَّان، فلأوَّل مرة يلتقي الجنس العربي مع أجناس لاتينيَّة وقوطية وبربريَّة ويهوديَّة على أرض واحدة، وتتعايش تحت سمائها الأدْيان السماوية الثلاثة: الإسلام واليهودية والمسيحيَّة، فيسمع صوت المؤذن إلى جانب رنين أجراس الكنائس والبِيَع، وتتحدَّث العربيَّة إلى جانب الأمازيغية، الإسبانية والكتلانية، فنشأ من التعايش بين هذه الأديان والأجناس والثقافات واللغات جوٌّ خاص وحضارة فذَّة.

إنَّ السماحة التي ظلَّلت المجتمع الأندلُسي وبعده عن التعصُّب المقيت، لعِب دورًا كبيرًا في خلق التَّعايُش والتَّجانُس بين سكَّان الأندلس، كان أثره المباشر على الشِّعْر الأندلسي.

وقد برز منهم بعض الأعلام في ميادين الأدَب والثقافة مثل ابن المعز الإشبيلي، الَّذي كان يكنى بأبي إسحاق، فقد كان شاعرًا مجيدًا ظهر في أيَّام المعتمد بن عبَّاد، ومن لطائف شعرِه قوله في كلبة صيد:

---

[1]- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، المقري ، ج1، ص: 209، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، شوقي ضيف، دار المعارف للنشر، الطبعة: العاشرة. دون تاريخ، ص: 411.

[2]- لسان الدين أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن سعيد بن الخطيب، انتقلت أسرته من قرطبة إلى طليطِلة بعد وقعة الربض أيَّام الحكم الأوَّل، ثم رجعت إلى مدينة لوشة واستقرَّت بها، وبعد ولادة لسان الدِّين في رجب سنة 713هـ انتقلت العائلة إلى غرناطة حيث دخل والده في خدمة السلطان أبي الحجاج يوسف، وفي غرناطة درس لسان الدين الطب والفلسفة والشريعة والأدب، ولما قتل والده سنة 741هـ في معركة طريف كان مُتَرْجَمنا في الثامنة والعشرين، فحلَّ مكان أبيه في أمانة السِّر للوزير أبي الحسن بن الجيّاب.

[3]- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، المقري،ج1، ص: 148.

لَمْ أَرَ مَلْهَى لِذِي اقْتِنَاصِ وَمَقْنَعَ الكَاسِبِ الحَرِيصِ
كَمِثْلِ خَطْلاءَ ذَاتِ جِيدٍ أَغْيَدَ تِبْرِيَّةِ القَمِيـــصِ
كَالقَوْسِ فِي شَكْلِهَا وَلَكِنْ تَنْفُذُ كَالسَّهْمِ لِلقَنِيصِ[1]

لَم يكن ظهور الشِّعر الأندلُسي المعبِّر عن البيئة نتيجةَ عمل فرْدٍ واحد، إنَّما هو عبارة عن ملامح نجِدُها لدى شُعراء كثيرين على نحْوٍ مُتفاوت فيما بينهم، وتزداد مع الأيَّام وضوحًا إلى أن أصبح الشِّعر الأندلسي مميَّز الخصائص والسِّمات.

الشَّيء الذي يدفع للقَول بأنَّ اكتمال الشَّخصيَّة الشعرية الأندلسيَّة لم يؤدِّ إلى إثبات الوجدان الأندلسي المستقل فحسب؛ بل ساهم بشكْلٍ كبير في ظهور إبداع أندلسي أصيل شهِدته الأندلس، متمثِّلٍ في الموشَّحات والزَّجل، باعتبارهما فنَّين غير مسبوقين، كانا من ثمار التميز الأندلسي.

<u>خصائص الشعر الأندلسي</u>:

1-تأثر الشعر الأندلسي بالشعر الإسلامي خصوصا **العصر العباسي**، حتى أن شعراء الأندلس قد لقبوا باسم شعراء المشرق.

2- عبر الشعر الأندلسي عن ذاتية صاحبه، وارتبط ارتباطا كبيرا بالواقع، وهذا بسبب تأثير البيئة في الأندلس على أشعارهم.

3- اتسم الشعر الأندلسي بالبساطة في التعبير، وقدرته على استخدام التصورات والأخيلة الجميلة والواضحة.

4- بسبب انتشار الغناء في المجالس الأندلسية، فقد اتسم الشعر بالإيقاع الموسيقي الواضح الذي نراه في ألفاظهم وتراكيبهم.

5- التناغم في الحروف التي بآخر الأبيات، ورقة الألفاظ ،وسهولة التعبير والتركيب، كان من أهم ما اتسم به الشعر الأندلسي.

6- اهتموا اهتماما كبيرا بشعر **الغزل**، وتميزت عاطفتهم بالصدق، خصوصا في إظهار الشوق إلى الحبيب.

7- أثرت الطبيعة في أشعارهم إلى حد كبيرة، واتسم شعر الطبيعة عندهم بنظام المقطوعات، لا نظام القصيدة.

8- كان من أهم أغراض الشعر الأندلسي هو المدح، حيث مدح الشعراء الملوك بصورة كبيرة، كما احتل الغزل مكانة كبيرة في الشعر الأندلسي والذي ارتبط بالطبيعة في وصف الحبيب، وكذلك اشتهروا بشعر

[1]- الأدب الأندلسي: موضوعاته و فنونه، مصطفى الشكعة، م س، ص ص: 80 - 81

الرثاء خصوصا في الفترة التي سقطت فيها الأندلس.

مميزات الشعر الأندلسي

1- خلوه من الألفاظ الغريبة المبهمة.

2- ترابط أفكاره ووضوح معانيه.

3- استخدام التصوير والاستعارات الدقيقة والتخيل.

4- ابتكار أفكار جديدة.

5- البعد عن المبالغة والمغالاة.

6- استخدام البحور القصيرة الخفيفة للتماشي مع طبيعة الحياة وانتشار الغناء.

أبرز شعراء العصر الأندلسي: من أبرز شعراء العصر الأندلسي الذين ألفوا العديد من القصائد هم : أبو البقاء الرندي، أبو إسحاق الألبيري، ابن الزقاق البلنسي، ابن خفاجة، ابن دارج القسطلي، ابن زمرك، ابن زيدون، ابن سهل الأندلسي، ابن شهاب، ابن شهيد، ابن عبد ربه، ابن معتوق، ابن نباتة المصري، ابن هانئ الأندلسي (وكان الوحيد الذي استخدم ألفاظ غريبة في الشعر متأثرا بالمتنبي)، الحداد القيسي، ابن حمديس، ابن خاتمة الأندلسي، علي الحصري القيرواني، ابن شرف القيرواني، أبو حيان الأندلسي، يوسف الثالث، عباس ابن فرناس، أمية الداني، ابن جبير،ابن زيدون .وغيرهم الكثير.

مختارات من الأبيات الشعرية الأندلسية

1-وكذلك قول **ابن سفر المريني** واصفا جمال الأندلس:

في أرض أندلس تلتد نعمـــــاء، ولا يفــارق فيهــا القلب ســـراء
وليس في غيرها بالعيش منتفع، ولا تقوم بحــق الأنــس صهبــاء
وأين يعدل عن أرض تخض بها، علــى المدامـــــة أمـــواه وأفيــاء
وكيف لا يبهج الأبصار رؤيتها، وكل روض بها في الوشي صنعاء
أنهارها فضة والمسك تربتهـــا، والخز روضتها والــدر حصبـــاء [1]

2- قال ابن خفاجة:

يَا أَهلَ أَندَلُــسٍ لِلَّــهِ دَرُّكُـــــمُ ماءٌ وَظِلٌّ وَأَنهارٌ وَأَشجـــارُ
ما جَنَّةُ الخُلدِ إِلّا فـــي دِيارِكُــمُ وَلَو تَخَيَّرتُ هَذا كُنتُ أَختـارُ
لاتَختَشوا بَعدَ ذا أَن تَدخُلوا سَقراً فَلَيسَ تُدخَلُ بَعدَ الجَنَّةِ النارُ [2]

---

[1]- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، المقري،ج1، ص: 312.

[2]- ديوان ابن خفاجة. ص:213

3- وفي الغزل قالت ولادة بنت الخليفة المستكفي لحبيبها الشاعر ابن زيدون:

ألا هل لنا من بعد هذا التفـــرق، سبيل فيشكو كل صب بمـا لقـــي
وقد كنت أوقاتا لتزاور في الشتا، أبيت على جمر من الشوق المحرق
تمر الليالي لا أرى البين ينقضي، ولا الصبر من رق التشوق معتقـــي
سقا الله أرضا قد غدت لك منزلا، بكل سكون هاطل الوبـــــل معــدق [1]

ابن زيدون: وُلِدَ ابن زيدون في قرطبة سنة 1003م (394هـ) واسمه أحمد بن عبد الله بن زيدون أبوه فقيه من سلالة بني مخزوم القرشيين، وجدُّه لأمه صاحب الأحكام الوزير أبو بكر محمد ابن محمد بن إبراهيم، وكلمة صاحب الأحكام تعني أنه اشتغل بالفقه والقضاء .

تعلَّم ابن زيدون في جامعة قرطبة التي كانت أهم جامعات الأندلس يَفِدُ إليها طلاب العلم من الممالك الإسلامية والنصرانية على السواء.. ولمع بين أقرانه كشاعر.. وكان الشعر بداية تعرُّفه بفراشة ذلك العصر ولادة بنت المستكفي الخليفة الأموي الضعيف المعروف "بالتخلف والركاكة، مشتهرًا بالشرب والبطالة، سقيم السر والعلانية، أسير الشهوة، عاهر الخلوة" كما يقول عنه أبو حيان التوحيدي .

كانت ولادة جميلة مثقفة شاعرة مغنية، لها مجلس بقرطبة يضم أشهر مثقفي وشعراء هذا العصر، أحبها ابن زيدون حبًّا ملك عليه حياته، وأحبته هي أيضًا، وعاش معها في السعادة أيامًا، ثم هجرته لسبب تافه اختلف فيه المؤرخون بغناء إحدى جواريها في حضورها فأغضبها منه ذلك.. ولكي تغيظه وجدت عاشقًا جديدًا هو الوزير أبو عامر بن عبدوس.. وحاول ابن زيدون إبعادها عن ابن عبدوس واستعادة الأيام الجميلة الماضية، لكنها رفضت، واتهمه ابن عبدوس بأنه ضالع في مؤامرة سياسية لقلب نظام الحكم وزُجَّ به في السجن.. وكتب ابن زيدون قصائد كثيرة يستعطف فيها "أبا الحزم جهور" حاكم قرطبة، كما كتب قصائد أخرى لأبي الوليد بن أبي الحزم ليتوسط لدى أبيه، وكان أبو الوليد يحب ابن زيدون، لكن وساطته لم تنفع، فهرب ابن زيدون من السجن، واختبأ في إحدى ضواحي قرطبة وظل يرسل المراسيل إلى الوليد وأبيه حتى تمَّ العفو عنه، فلزم أبا الوليد حتى تُوُفِّيَ أبو الحزم وخلفه أبو الوليد الذي ارتفع بابن زيدون إلى مرتبة الوزارة .

أثناء ذلك كله لم يَنْسَ ابن زيدون حبه الكبير لولادة التي أهملته تمامًا، فجعله أبو الوليد سفيرًا له لدى ملوك الطوائف حتى يتسلى عن حبه بالأسفار وينساه، لكن السفر زاد من حب ابن زيدون لولادة وشوقه إليها، فعاد إلى قرطبة.. وما لبث أن اتهم مرة أخرى بالاشتراك في محاولة قلب نظام الحكم على أبي الوليد بن جهور الذي غضب عليه، فارتحل ابن زيدون عن قرطبة وذهب إلى بلاط المعتضد بن عباد في أشبيلية، وهناك لقي تكريمًا لم يسبق له مثيل، ثم زادت مكانته وارتفعت في عهد المعتمد بن المعتضد،

---

[1]- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، المقري،ج1، ص: 405.

ودان له السرور وأصبحت حياته كلها أفراحًا لا يشوبها سوى حساده في بلاط المعتمد أمثال "ابن عمار" و "ابن مرتين" اللذين كانا سببًا في هلاكه في الخامس عشر من رجب سنة 463 هجرية؛ إذ ثارت العامة في أشبيلية على اليهود فاقترحا على المعتمد إرسال ابن زيدون لتهدئة الموقف، واضطر ابن زيدون لتنفيذ أمر المعتمد رغم مرضه وكبر سنه، مما أجهده وزاد المرض عليه فدهمه الموت .

ظل ابن زيدون حتى آخر يوم في حياته شاعرًا عاشقًا، فبالشعر عشق، وبالشعر خرج من السجن، وبالشعر نال حظوظه من الحياة.. ولم ينس أبدًا ذكرى ولادة وأيامه الجميلة معها.. وقد كانت حياته المتقلبة، وحبه الكبير لولادة بالإضافة إلى أعماله الشعرية والنثرية المتميزة موضوعات لدراسات وإبداعات كثيرة لعل أشهرها مسرحية الشاعر المصري فاروق جويدة "الوزير العاشق" التي قام ببطولتها عبد الله غيث وسميحة أيوب .

ومن أهم أعمال ابن زيدون الباقية للآن غير أشعار "الرسالة الجدية" التي استعطف فيها ابن جهور ليخرجه من السجن، و"الرسالة الهزلية" التي كتبها على لسان ولادة ذمًّا في ابن عبدوس حبيبها الجديد، وهي الرسالة التي زادت الهوة بينه وبين ولادة وعجلت بابن عبدوس ليزج بالشاعر في السجن.. وقد بقيت هاتان الرسالتان علامة على الموهبة الكبيرة والثقافة المتنوعة التي تميز بها ابن زيدون في أعماله الشعرية والنثرية على السواء. ومن أجمل ما قال إبن زيدون:

إنّي ذكرْتُكِ، بالزّهـــراء، مشتاقـــا ... والأفقُ طلقٌ ومرْأى الأرض قـد راقَـــا

وَلِلنّسيمِ اعْتِلالٌ، فـــي أصائِلِـــهِ ... كأنهُ رَقّ لـــي، فاعْتَـلّ إشْفَاقـــا

والرّوضُ، عن مائِه الفضّـيّ، مبتسـمٌ ... كما شقَقتَ، عنِ اللَّبّـــاتِ، أطواقَـــا

يَوْمٌ، كأيّامِ لَـذّاتٍ لَنَـــا انصرَمـــتْ ... بتْنَا لها، حينَ نامَ الدّهـــرُ، سرّاقَـــا

نلهُو بما يستميـلُ العيـــنَ من زهـرٍ ... جالَ النّدَى فيـهِ، حتى مـــالَ أعناقَـا

كَأنّ أعْيُنَـــهُ، إذْ عايَنَـــتْ أرَقـــي ... بَكَتْ لِمـــا بـــي، فجـالَ الدّمـعُ رَقْرَاقَـا

وردٌ تألّقَ، فـــي ضاحـــي منابتِـــهِ ... فازْدادَ منهُ الضّحى ، في العينِ، إشراقَا

سرى ينافحُـــهُ نيلوفـــرٌ عبِـــقٌ ... وَسْنَانُ نَبّهَ مِنْـــهُ الصّبْـحُ أحْدَاقَـــا

كلٌّ يهيـــجُ لنَـــا ذكـــرَى تشوّقِنَـــا ... إليكِ، لم يعدُ عنها الصّدرُ أن ضاقَـــا

لا سكّنَ اللهُ قلبـــاً عـــقّ ذكرَكُـــمُ ... فلم يطرْ، بجناحِ الشّـــوقِ، خفّاقـــا

لوْ شاء حَملي نَسيمُ الصّبحِ حينَ سـرَى ... وافاكُمُ بفتىً أضنـاهُ مـا لاقَـــى

لوْ كَانَ وَفّى المُنى، في جَمعِنَا بكـــمُ ... لكانَ منْ أكـــرمِ الأيّـامِ أخلاقـــا

يا علقيَ الأخطرَ، الأسنى ، الحبيبَ إلى ... نَفسي، إذا ما اقتنَى الأحبابُ أعلاقَا

كان التَّجاري بمَحض الوُدّ، مذ زمَـــنٍ ... ميدانَ أنسٍ، جريْنَا فيـــهِ أطلاقَـــا

فالآنَ، أحمدَ مـــا كنّـــا لعهدِكُـــمُ ... سلوْتُـــمُ، وبقينَـــا نحـــنُ عشّاقَـــا! [1]

يقول إبن زيدون في قصيدةٍ لولّادة بنت المستكفي:

يا غزالاً ! أصَارنـي	موثقاً، في يد المِحـــــنْ
إنّني، مُذْ هَجرْتَنـــي	لمْ أذُقْ لذّةَ الوســـــنْ
ليتَ حظّي إشـــارةٌ	منكَ، أو لحظةٌ عـنـــنْ
شافِعي، يا مُعذّبـــي	في الهوَى ، وجهُكَ الحسنْ
كُنْتُ خِلواً منَ الهَوى	فأنَا اليَوْمَ مُرْتَهَـــــنْ
كانَ سرّي مكتَّمـــاً	وَهُوَ الآنَ قَدْ عَلَـــــنْ
ليسَ لي عنكَ مَذهَبٌ	فكما شئتَ لي فكُـــــنْ[2]

<u>نونية إبن زيدون</u>

أَضْحَى التَّنَائِي بَدِيْلاً مِنْ تَدانِيْنـــا * * * وَنَابَ عَنْ طِيْبِ لُقْيَانَا تَجَافِيْنَـا

ألا وقد حانَ صُبح البَيْنِ صَبَّحنـــا * * * حِينٌ فقام بنا للحِين ناعِينـــا

مَن مُبلغ المُبْلِسينا بانتزاحِهـــــم * * * حُزنًا مع الدهر لا يَبلى ويُبلينا

أن الزمان الذي ما زال يُضحكنـــا * * * أنسًا بقربهم قد عاد يُبكينـــا

غِيظَ العِدى من تساقينا الهوى فدعوا * * * بأن نَغُصَّ فقال الدهر آمينـا

فانحلَّ ما كان معقـــودًا بأنفسنـــا * * * وانبتَّ ما كان موصولاً بأيدينا

لم نعتقد بعدكم إلا الوفـــاءَ لكـــم * * * رأيًا ولم نتقلـد غيـــرَه دينـــا

ما حقنا أن تُقروا عيـــنَ ذي حســد * * * بنا، ولا أن تسروا كاشحًا فينـا

كنا نرى اليـــأس تُسلينـــا عوارضُـه * * * وقد يئسنا فما لليـأس يُغرينـا

بِنتم وبنا فمـــا ابتلـــت جوانحُنـــا * * * شوقًا إليكم ولا جفـت مآقينـا

نكاد حيـــن تُناجيكـــم ضمائرُنـــا * * * يَقضي علينا الأسى لولا تأسِّينا

حالـت لفقدكـــم أيامنـــا فَغَـــدَتْ * * * سُودًا وكانت بكم بيضًا لياليـنـــا

إذ جانب العيش طَلْقٌ مـن تألُّفنـــا * * * ومورِدُ اللهو صافٍ من تصافينا

وإذ هَصَرْنا غُصون الوصل دانيـــة * * * قطوفُها فجنينا منـه ما شِينـــا

ليسقِ عهدكم عهد الســـرور فمـا * * * كنتم لأرواحنـا إلا رياحينـــــا

لا تحسبوا نَأْيكـــم عنـــا يُغيِّرنـــا * * * أن طالما غيَّر النـــأي المحبينا

والله ما طلبـــت أهواؤنـــا بـــدلاً * * * منكم ولا انصرفت عنكم أمانينـــا

يا ساريَ البرقِ غادِ القصرَ فاسق به * من كان صِرفَ الهوى والود يَسقينا

---

[1]- ديوان ابن زيدون.ص ص:256-257.

[2]- المصدر نفسه. ص: 235.

واسأل هناك هل عنَّـي تذكرنـــا * * * إلفًا، تذكـــره أمســـى يُعنِّينـا
ويا نسيمَ الصِّبا بلـــغ تحيتنـا * * * من لو على البعد حيًّا كان يُحيينا
فهل أرى الدهر يَقصينا مُساعَفةً * * * منه ولم يكن غِبًّـــا تقاضينـــا
ربيب ملك كأن اللـــــه أنشـــأه * * * مسكًا وقدَّر إنشاء الورى طينـا
أو صاغـه ورقًا محضًا وتَوَّجَـه * * * مِن ناصع التبر إبداعًا وتحسينا
إذا تَـــأَوَّد آدتـــــه رفاهيَـــة * * * تُومُ العُقُود وأَدْمَته البُرى لِينـــا
كانت له الشمسُ ظِئْرًا في أَكِلَّتِـه * * * بل ما تَجَلَّى لهـا إلا أحايينـــا
كأنما أثبتت في صحن وجنتـــه * * * زُهْرُ الكواكب تعويذًا وتزيينـــا
ما ضَرَّ أن لم نكن أكفاءَه شرفًـــا * * * وفي المودة كافٍ مـن تَكَافينـا
يا روضةً طالما أجْنَتْ لَوَاحِظَنـــا * * * وردًا أجلاه الصبا غَضًّا ونَسْرينا
ويا حيـــاةً تَمَلَّيْنـــا بزهرتهـــا * * * مُنًى ضُرُوبًا ولذَّاتٍ أفانِينـــــا
ويا نعيمًا خَطَرْنا مـــن غَضَارتـــه * * * في وَشْيِ نُعمى سَحَبْنا ذَيْلَه حِينا
لسنا نُسَمِّيك إجـــلالاً وتكْرِمَـــة * * * وقدرك المعتلى عـن ذاك يُغنينـا
إذا انفردتِ وما شُورِكْتِ في صفـــةٍ * * * فحسبنا الوصف إيضاحًا وتَبيينـا
يا جنةَ الخلـــد أُبدلنـــا بسَلْسِلِهـا * * * والكوثر العذب زَقُّـومًا وغِسلينـا
كأننا لم نَبِـت والوصـــل ثالثنـــا * * * والسعد قد غَضَّ من أجفان واشينا
سِرَّانِ في خاطـرِ الظَّلْمـاء يَكتُمُنـا * * * حتى يكاد لسان الصبح يُفشينـــا
لا غَرْو فِي أن ذكرنا الحزن حِينَ نَهَتْ * * * عنه النُّهَى وتَرَكْنا الصبر ناسِينا
إذا قرأنا الأسى يـــومَ النَّـــوى سُـوَرًا * * * مكتوبة وأخذنا الصبر تَلْقِينـــا
أمَّا هـــواكِ فلـــم نعـــدل بمنهلـــه * * * شِرْبًا وإن كان يروينا فيُظمينـــا
لم نَجْفُ أفق جمـــال أنـــت كوكبـــه * * * سالين عنه ولم نهجـــره قالينـــا
ولا اختيـارًا تجنبنـــاه عـــن كَثَـبٍ * * * لكن عدتنا على كـره عوادينـــا
نأسى عليك إذا حُثَّـت مُشَعْشَعـــةً * * * فينـا الشَّمُـول وغنَّانـا مُغَنِّينـا
لا أَكْؤُسُ الراحِ تُبدى من شمائلنـــا * * * سِيمَا ارتياحٍ ولا الأوتـارُ تُلهينـا
دُومِي على العهد، ما دُمْنا، مُحَافِظةً * * * فالحُرُّ مَنْ دان إنصافًا كمـا دِينَـا
فما اسْتَعَضْنا خليلاً مِنك يَحْبسنـــا * * * ولا استفدنا حبيبًا عنـك يُثْنينـــا
ولو صَبَا نَحْوَنا من عُلْوِ مَطْلَعِـــه * * * بدرُ الدُّجَى لم يكن حاشاكِ يُصْبِينا
أَوْلِي وفاءً وإن لم تَبْذُلِي صِلَـــةً * * * فالطيفُ يُقْنِعُنا والذِّكْـــرُ يَكْفِينـــا
وفي الجوابِ متاعٌ لو شفعتِ بـــه * * * بِيْضَ الأيادي التي ما زلْتِ تُولِينا
عليكِ مِني سلامُ اللهِ مـــا بَقِيَـــتْ * * * صَبَابةٌ منكِ نُخْفِيهـــا فَتُخفينـــا[1]

---

[1]- ديوان ابن زيدون.ص:259-269.

المحاضرة 14: نصوص من الشعر الجزائري القديم . بكر بن حماد التيهرتي .

حفل التراث الجزائري بصنعة الكتابة، ورفع لواءها أدباء خاضوا في إنشاء القريض خوضهم في الديباجة النثرية العربية بنسقها الموكول إلى عصرها، من حيث طرائق الصّوغ الفنّي في صناعة الكتابة.
والحديث عن الأدب الجزائري لا ينبغي أن ينطلق من أقرب فترة، أي من فترة النهضة العربية الحديثة، أو من فترة الحركة الاستعمارية بشكل عام، وإنما يكون من الإنصاف لهذا الأدب، أن نؤرخ له منذ عصوره الغابرة، شأنه شأن التأرخة للأدب في المشرق العربي.

ولا شك أن الباحث في جذور هذا الأدب سيقف على نتاج متنوع، ويجمع بين التركة الأدبية والتركة اللغوية، في مسيرة متأنية، حسب البيئة التي احتضنت هذا الأدب وحسب الذهنية المنتجة.
لا نبالغ إذا قلنا إننا لم نكن أقل شأنا من المشارقة في فضاء الأدب، ولا نبالغ إذا حكمنا على موروثنا الأدبي في الجزائر بأنه ذلك الشبح الذي يتوارى كلما حاولنا الاقتراب منه، ونفض الغبار عنه، والعلّة في ذلك تكمن في التهميش من جهة، وفي قلة المصادر، إن لم أقل غيابها، من جهة أخرى.
لقد وُجد الأدب العربي في الجزائر منذ القديم، كما وُجدت الذات الجزائرية على هذه الأرض، ورافق ما تمخض عنه التاريخ من إيجابيات وسلبيات، فاختلط الأصيل بالوافد، وهو الإشكال الذي يواجه الباحث في الأدب الجزائري القديم، فكثيرا ما قطن الجزائر أدباء وعلماء من بلدان مختلفة، كالمغرب وتونس والأندلس، واستوطنوها طوال حياتهم، وانصهروا في مناخها، وأثروا وتأثروا بحياتها العلمية والأدبية، فكان النتاج متشابكا متداخلا، يتطلب كثيرا من الدقة للفصل بين الأصيل والوافد.

وإذا كان المعلوم أن "الكمال إنما يتحقق في الماضي" كما قال أبو عمرو بن العلاء، فإن أدبنا برهن حسب ذهنيات أصحابه على أنه مرجعية ثقافية مميزة، لا يمكن تجاهلها، حتى وإن زهد الباحثون في الاهتمام بها. وسأحاول تتبع محطات هذا الأدب حتى يتسنى الانطلاق من قاعدة صلبة، تجلو هوية الأدب العربي في الجزائر. ولن يتم ذلك إلا برصد نماذج من أبنية نصية متنوعة.
ظهر أول جيل من الأدباء الجزائريين على عهد الدولة الرستمية (160-299هـ؛ 676-911م). وكانت عاصمة الرستميين مدينة تيهرت، المعروفة باسم "عراق المغرب" أو "بلخ المغرب" [1] وقد شهدت انتشار المعرفة بها وازدهارها.
ومن الشخصيات البارزة في هذا الطور:
بكر بن حماد التيهرتي: ولد بتيهرت سنة 200 هـ (816م) وكان حافظا للحديث ونابغة في الشعر مما جعله يصاحب أدباء تصدروا الطليعة في ميدان القريض كأبي تمام، ودعبل الخزاعي، وعلي بن الجهم،

---

[1]- الأبلخ : هو العظيم في نفسه، الجريء على ما أتى من الفجور. ينظر: محمد بن منظور، لسان العرب. مادة (بلخ)، ج3، ص: 9.

ومسلم بن الوليد.

خلف الرجل ديوانا شعريا بعنوان "الدر الوقاد"، وتزعم الحركة الزهدية في الأدب المغاربي، كما كان يتزعمها أبو العتاهية في المشرق.

ومن شعره في الزهديات:

لقد جمحت نفسي فصدت وأعرضت = = وقد مرقت نفسي، فطال مروقها

فيا أسفـــي من جنح ليـــل يقودها = = وضوء نـهار لا يـــزال يسوقهـــا

إلى مشهـــد لا بد لي من شهـــوده = = ومن جزع للموت سوف أذوقهـــا

ستأكلها الديدان في باطـن الثـــرى = = ويذهب عنها طيبها وخلوقهـــا[1]

ومن شعره في رثاء ولده:

بكيت على الأحبة إذ تولـــوا ولو أني هلكت، بكـــوا عليـــا

فيا نسلي بقاؤك كـــان ذخـــرا وفقدك قد كوى الأكبـــاد حيا

كفى حزنا بأني منـــك خلـــو وأنـــك ميـــت وبقـــيـــت حيـــا

ولم أك أيسا فيئســـت لمـــا رميت الترب فوقك مـــن يديـــا

فليت الخلق إذ خلقوا أطالـــوا وليتك لم تكُ يا بكر شيَّـــا

تسرُّ بأشهرٍ تمر سراعًـــا و تطوي في لياليهن طيَّـــا...

فلا تفرح بدنيا ليس تبقـــى ولا تأسف عليها يا بنيَّـــا

فقد قطع البقاء غروب شمس و مطلعها عليَّ يـــا أخيَّـــا

وليس الهم يجلوه نهـــار تدور له الفراقـــد والثريَّـــا[2]

نخلص إلى أن ميلاد الأدب في الجزائر كان مع أمراء بني رستم، وأن أول دولة جزائرية مستقلة عن الخلافة العباسية في بغداد، بعد اعتناق الجزائريين الإسلام، كان قادتها مثقفين، متعلمين بل أدباء مبدعين[3].

---

[1] تاريخ الأدب الجزائري . محمد الطمار،. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص: 36.

[2] الدر الوقاد . بكر بن حماد التاهرتي ، تقديم وجمع وشرح محمد بن رمضان شاوش، ط1، المطبعة العلوية، مستغانم، 1966، ص:87.

[3] الأدب الجزائري القديم . عبد الملك مرتاض، دراسة في الجذور، دار هومه، ص:71.

*** القرآن الكريمٌ برواية ورش .**

المصادر والمراجع:

1-ابن جرير الطبري. تاريخ الطبري.

2-ابن بسام الشنتريني. الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، 1979م.

3- ابن حزم الأندلسي . جمهرة أنساب العرب. تحقيق: عبد السلام محمد هارون.ط5. دار المعارف .

4- ابن خلدون، عبد الرحمن .المقدمة ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 2006.

5- ابن خلكان،أحمد بن محمد بن أبي بكر. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. تحقيق: إحسان عباس، دار صادر بيروت، 1972م.

6- ابن سعيد،علي. المقتطف من أزاهير الطرف، مستلة من كتاب " أعمال مهرجان ابن خلدون".القاهرة، 1962م.

7- ابن عبد البر. بهجة المجالس وأنس المجالس. تحقيق: محمد مرسي الخولي،ج3.

8- ابن عبد ربه . العقد الفريد، تحقيق: عبدالمجيد الترحيني ط1. 1404هـ.

9- ابن قتيبة،أبو محمد عبد الله بن مسلم. الشعر والشعراء، حققه: مفيد قميحة. ط1. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،1981م .

10-ابن قزمان .الديوان، حققه: فيدريكو كورينطي،المعهد الأسباني العربي للثقافة،مدريد،اسبانيا، 1980م.

11-ابن كثير. البداية والنهاية، ج9، تحقيق: أحمد عبد الوهاب فتيح، دار الحديث، القاهرة.

12-ابن منظور،أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم. لسان العرب،ج16.ط1.دار صادر، بيروت، 1374هـ-1955م .

13- أبو العباس المفضل بن محمد الضبي. المفضليات،تحقيق:عمر فاروق الطباع، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت لبنان .

14-أبو العتاهية، إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان العنزي.الديوان،شرح:وفاء الباني قمر، بإشراف: حنا الفاخوري.ط1.دار الجيل للطباعة والنشر،بيروت، لبنان،1424هـ-2004م .

15- أبو تمام،حبيب بن أوس بن الحارث الطائي .الديوان،ج3. شرح: الخطيب التبريزي . تحقيق: محمد عبده عزام. ط2. دار المعارف، القاهرة ، 1970م .

16- أبو فراس الحمداني الديوان. تحقيق وشرح: محمد ألتونجي، دمشق، 1408هـ.

17- أبو نواس، الحسن بن هانئ الحكمي. الديوان، حققه وشرحه وفهرسه: سليم خليل قهوجي، دار الجيل، بيروت، لبنان،1422هـ/2002م .

18- إحسان النص. حسان بن ثابت، حياته وشعره ، دار الفكر الحديث، لبنان.

19-إحسان عباس. تاريخ الأدب الأندلسي(عصر الطوائف والمرابطين)،ط5.دار الثقافة، بيروت، لبنان.1978م.
20- احمد احمد بدوي. أسس النقد الادبي. دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة 1994م.
21- أحمد الضبي. بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس. مصر، دار الكتاب العربي، 1967م.
22- مصطفى الشكعة الأدب الأندلسي. موضوعاته وفنونه ، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، 1979.
23-مصطفى الشكعة. الأدب في موكب الحضارة الإسلامية كتاب الشعر، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
24-الإصفهاني، راغب. مفردات ألفاظ القرآن،تحقيق: صفوان عدنان داودي، طليعة النور، ط2، قم، إيران، 2006 م .
25- الأعشى، ميمون بن قيس. الديوان. دار بيروت للطباعة والنشر، لبنان،1406هـ-1986م.
26- امرؤ القيس، حجر بن الحارث الكندي. الديوان،تحقيق: درويش الجويدي.(د،ط).المكتبة العصرية، صيدا، بيروت،(د، ت).
27- آنخل جنثاث بالنثيا. تاريخ الفكر الأندلسي ، تحقيق: حسين مؤنس، القاهرة، 1955.
28- إنعام الجندي. دراسات في الأدب العربي. ط2.
29- إيميليو غرسيا غومث . مع شعراء الأندلس والمتنبي ، ترجمة: الطاهر أحمد مكي،القاهرة، دار المعارف، ط2، 1978،
30- البحتري، أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى التنوخي الطائي.الديوان..ط3.تحقيق: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، مصر.
31-البستاني، فؤاد أفرام. منجد الطلاب،ترجمة: محمّد بندر ريگي،مطبعة حيدري،ط17، طهران، إيران،2002 م.
32- بعلبكي روحي. موسوعة روائع الحكمة والأقوال الخالدة، دار العلم للملايين، ط12، بيروت، لبنان،2008م.
34- بكر بن حماد التيهرتي. الدر الوقاد ، تقديم وجمع وشرح محمد بن رمضان شاوش، ط1، المطبعة العلوية، مستغانم، 1966.
35- بلاشير.تاريخ الادب العربي ، ترجمة: ابراهيم الكيلاني، دارالفكر دمشق، دارالفكر المعاصر، بيروت، 1419هـ|1998م.
36- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. الحيوان.ج3، تحقيق:عبد السلام محمد هارون. ط1.القاهرة ، 1938م .
37- جبّور عبد النور . المعجم الأدبي. ط1. دار العلم للملايين.

38-جرجي زيدان. تاريخ آداب اللغة العربية، المجلد الاول، دارالفكر،دمشق،الطبعة الاولي 416ه/1996م.
39- حسان بن ثابت .الديوان، شرح : يوسف عيد، دار الجبل، بيروت، لبنان .
40- الحسن السكري. شرح ديوان كعب بن زهير. دار الكتب الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة 1369 ه 1950 م .
41- الحسن بن مسعود بن محمد، أبو علي، نور الدين اليوسي. زهر الأكم في الأمثال والحكم. ط1. تحقيق:محمد الأخضر، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب،1401ه/1981م.
42- حسين عطوان . مقدمة القصيدة العربية في العصر الجاهلي، دار الجيل. ط2. 1987م.
43- الحطيئة . الديوان. الموسوعة العالمية للشعر العربي.
44- الحلي، صفي الدين .العاطل الحالي والمرخص الغالي.تحقيق:ولهلم هونرباخ، مطبعة فرانتز شتاينر، فيسبادن، 1955.
45- الحموي، ابن حجة . بلوغ الأمل في فن الزجل،تحقيق: رضا محسن القريشي، دمشق 1974.
46- خير الدين الزركلي. الأعلام. دار العلم للملايين،ج5. بيروت، 1984م.
47- الزمخشري، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر. أساس البلاغة. تحقيق:عبد الرحيم محمود. دارالمعرفة، بيروت،(د، ت).
48- الزَّوْزَني،عبد الله بن محمد بن يوسف العبد لكاني.حماسة الظرفاء من أشعار المحدثين والقدماء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
49- سامي العاني. دراسات في الأدب الأندلسي ، العراق، 1978.
50- السجستاني، أبوسليمان. صوان الحكمة وثلاث رسائل، حققه:عبد الرحمن بدوي، انتشارات بنياد فرهنگ إيران، طهران، 1974.
51- سهير القلماوي. أدب الخوارج في العصر الاموي .
52- شكري فيصل. أبو العتاهية أشعاره وأخباره .
53-الشنفرى. الديوان، جمع وتحقيق: إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي بيروت،1966.
54- شوقي ضيف . الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، القاهرة، دار المعارف، ط7، 1969.
55-شوقي ضيف. تاريخ الأب العربي،عصر الدول والإمارات(الأندلس).ط1.دارالمعارف،مصر، (د،ت).
56-شوقي ضيف. تاريخ الأدب العربي(العصر الجاهلي).ط2.دار المعارف، مصر،1965
57-شوقي ضيف. تاريخ الأدب العربي(العصر العباسي الثاني). ط4.دار المعارف، مصر،(د، ت).
58-شوقي ضيف. عصر الدول والإمارات(الجزيرة العربية والعراق وإيران).جامعة حلب،1994م.
59- شوقي ضيف . تاريخ الأدب العربي(العصر الإسلامي) . ط12. دار المعارف .

60-طرفة بن العبد، بن سفيان بن سعد أبو عمرو. الديوان، شرح: الأعلم الشنتمري،تحقيق:درية الخطيب، ولطفي الصقال.مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق،1970م
61- طه حسين. من تاريخ الادب العربي،المجلد الاول، ط4، دارالعلم للملايين،بيروت، 1982م.
62-طه حسين. من تاريخ الأدب العربي(العصر الجاهلي والعصر الإسلامي)،دار العلم للملايين بيروت.
63- طه حسين . مع أبي العلاء في سجنه .ط14. دار المعارف.
64- العاكوب، عيسى. تأثير الحكم الفارسية في الأدب العربي (العصر العباسي الأول)، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط1، دمشق،سورية، 1989م.
65- عائشة عبدالرحمن . مع أبي العلاء في رحلة حياته ، دار المعارف.
66- عبد الحليم حنفي. شعر الصعاليك منهجه وخصائصه.
67- عبد العزيز الأهواني. الزجل في الأندلس. القاهرة،1967م.
68-عبد العزيز عتيق . الأدب العربي في الأندلس ، بيروت، ط2، 1976م.
69-عبد القادر بن عمر البغدادي. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب.ج1.تحقيق: عبد السلام هارون.
70- عبد الملك مرتاض .الأدب الجزائري القديم . دراسة في الجذور، دار هومه.
71- عبد الوهاب الكيالي . الموسوعة السياسية ج2.
72- العسقلاني. أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر .الإصابة في تمييز الصحابة. تحقيق:عادل أحمد عبد الموجود على محمد معوض. ط1.دار الكتب العلمية،بيروت، لبنان، 1415 هـ/1995م.
73- علي محمد محمد الصلابي .السيرة النبوية. ط1، 1424هـ.
74-عمر رضا كحالة .أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام،ج:1،مؤسَّسة الرسالة، مصر.
75- عمر فروخ. تاريخ الأدب العربي.ط3. دار العلم للملايين، بيروت،1981م.
76- عيسى سلمان درويش المعموري . شعر الزهد والتصوف.
77-الفراهيدي،الخليل بن أحمد.العين،ج1، تحقيق:مهدي المخزومي و ابراهيم السامرائي، لبنان،1988م.
78- الفرزدق، همام بن غالب بن صعصعة الدارمي التميمي. الديوان. دار صادر.
79- كارل بروكلمان . تاريخ الأدب العربي ج1. ترجمة : عبدالحكيم النجّار.
80-كارل بروكلمان. تاريخ آداب الشعوب العربية ،ج1.
81- كعب بن زهير، بن أبي سلمى المزني أبو المضرب .الديوان. قراءة: محمد يوسف نجم،دار صادر، بيروت، لبنان.
82- الكميت بن زيد، بن خنيس بن مجالد بن ذؤيبة . الهاشميات .
83-المعجم الوسيط. مجمع اللغة العربية. القاهرة، مصر.1379هـ/1960م.
84- محمد إبراهيم سليم. نوادر الحطيئة. دار الطلائع، مصر.
85- محمد الطمار. تاريخ الأدب الجزائري. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

86- محمد بن سلَّام الجمحي. طبقات فحول الشعراء.تحقيق: محمود محمد شاكر،مطبعة المدني، القاهرة
87- محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن .فوات الوفيات،ج1. تحقيق: إحسان عباس ، بيروت، 1974م.
88- الاستاذ مرتضى المطهري.الاسلام ومتطلبات العصر.
89- المسعودي، علي بن الحسين بن علي . مروج الذهب ومعادن الجوهر. مؤسسة دار الهجرة.
90-المقري، أحمد بن محمد التلمساني. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس،الناشر :دارصادر :بيروت،لبنان،السنة:1968م.
91-مصطفى السقا. المختار من الموشحات، تحقيق: حسين نصار،الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر.2008 م
92- المعري، أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي.الديوان، دار بيروت،لبنان، 1406هـ/1986م.
93- معلوف لويس . المنجد.ط2. مطبعة معراج، طهران، إيران،1367هـ/1988م.
94- مغنية، محمّد جواد .تفسير الكاشف،مؤسسة دار الكتاب الإسلامي،ط4، قم، إيران،2007م.
95- مقداد رحيم. أبحاث في الأدب الأندلسي، دار ومكتبة الشعب، مصراته، ط1. 1994م.
96- الميداني، أبو الفضل أحمد. مجمع الأمثال، قدم وعلّق عليه: نعيم حسين زرزور، نشر دار الكتب العلمية، ط2،ج1، بيروت، لبنان،2004 م.
97- الشيخ غدير. ديوان جرير. ط 1.مؤسسة الأعلمي، بيروت،1420هـ-1999م.
98-نرجس توحيدي فر . أبو العلاء دراسة في معتقداته الدينية، دار صادر بيروت، لبنان.
99- النعمان عبد المتعال القاضي. شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام.ط1. مكتبة الثقافة الدينية،1426هـ/2005م .
100- ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي شهاب الدين أبو عبد الله . معجم البلدان، ،ج4، دار صادر،1397هـ-1993م.
101- ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي شهاب الدين أبو عبد الله. معجم الأدباء ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ج3.
102-عنترة بن شداد. الديوان. ط1. ترجمة وتحقيق: يوسف عيد، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع.

المراجع الأجنبية:

Reynold Alleyne Nicholson, 1962,*A Literary History of the Arabs*, Routledge

الرسائل الجامعية:

آل غالبعلى رضا.الحكمة الهندية فى الاعصر العباسية. رسالة ماجستير،جامعة آزاد الاسلامية، آبادان،ايران2009م.

فهرس المحتويات

مقدمة 02
الشعر العربي القديم تاريخيا وجغرافيا.....04
المعلقـــات مضامينهـــا وأساليبهـــا(نصوص مـــن معلقـة زهيـر بن أبـــي سلمـــى . معلقـــة امرئ القيـــس . معلقـــة عنتـــــرة).....09
شعر الصعاليك (نصوص...لامية العرب للشنفرى.....26
الشعر في صدر الإسلام شعر الفتوحات.....33
المراثي النبوية.....47
شعر النقائض.....52
الشعر العذري والشعر العمري.....61
شعر الزهد والتصوف(نصوص من المشرق والمغرب. ابو العتاهية. ابن الفارض.....67
شعر الحماسة :نصوص لأبي تمام. البحتري. الزوزني. الشاطبي. الحماسة المغربية لأبي الحجاج يوسف البياسي..الكوراني.....76
الشعر السياسي في المشرق والمغرب (الفتوحات.الخوارج.الشيعة.السجون..رثاء المدن.....81
الشعر الفلسفي وشعر الحكمة.....91
الموشحات والأزجال..... 101
الشعر الأندلسي. (نصوص من أشعار ابن زيدون...).....114
نصوص من الشعر الجزائري القديم. بكر بن حماد التيهرتي.....123
قائمة المصادر و المراجع.....125
فهرس المحتويات 130